

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بجسة التعريف بالأبسلام

خلفاء الراشدين
الأمام الحسين علي

الاستاذ
سركان الملهطوى

الفاهرة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ، وَمَن يَعْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) .

قرآن کریم

« إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَصْلَحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

حدیث شریف رواہ البخاری

مقدمة

الى سيدى أمير المؤمنين أبى محمد الحسن السبط رضى الله عنه :

أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، وأصلى وأسلم على مولانا رسول الله جدك المصطفى الذى سماك من ابتكاره حسنا ، ولم يكن ذلك الاسم الجميل معروفا من قبل ، كما نسبك اليه بالنبوة ، وان كنت من صلب أهلك الامام على ، ولقبك بالسيد ، فلت بذلك كله شرفا لم ينله معك الا أخوك الامام الحسين ، صلوات الله وسلامه على سيدى رسول الله وآله وصحبه وأزواجه ، ورضوان الله على من اقتنى أثره الى يوم الدين وبعد .

فقد وصفك الواصفون ، فقالوا انك كنت أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونشأت عفا كريما ، حليما ، عليما ، خطيبا ، فارسا ، عابدا ، زاهدا ، راشد الراى ، ولقد صورك للناس أخوك الامام الحسين رضى الله عنه ، حين قال فى تأبينك مع حزنه عليك ، ووحشته بفراقك :

« رحمك الله أبا محمد ، ان كنت لناصرا للحق ، وتؤثر الله عندمداحض الباطل ، فى مكان التقية بحسن الروية ، وتستشف جليل معازم الدنيا بعين حاذرة ، وتقبض عليها بيد طاهرة ، وتردع ما يريد أعدائك بأيسر المؤنة عليك ، وأنت ابن سلالة النبوة ، ورضيع لبان الحكمة ، فالى روح وريحان وجنة نعيم ، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه ، ووهب لنا ولكم السلوة وحسن الاساء عليه » .

فأى شرف أحاط بك ياسيدى السبط ، فى محتدك ، وفى اسمك ، وفى رسمك ، وفى خصالك ، وقديما قالوا :

ليس على الله بمستتكر
أن يجمع العالم فى واحد

سيدى السبط الكريم :

كان من بركات أخيك الامام الحسين ، أن دفعنى الى انكتابة عنك ،
فما كاد القراء يطلعون على كتابى « الامام الحسين بن على » الذى نشره
المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى ١٥ من شوال ١٣٨٥ (الموافق ٥
فبراير ١٩٦٦) ، حتى ألحوا على فى الكتابة عنك ، وها أنا ذا ألبى رغبتهم
سعيدا بك كما سعدت به ، فسلام الله عليكما وعلى سائر سادتى آل البيت
ورحمته وبركاته ، ولكما منى الاكبار والاعجاب ، ما أكبر الحق وانصف
أهله المنصفون .

سيدى السبط الكريم :

لقد وقتت على تاريخك العاطر ، فرأيت أن العناية الربانية قد هيأتك
لأن تكون اماما كاملا ، فوعيت فى طفولتك الباكرة أحاديث عن جدك صلى
الله عليه وسلم ، أخذها عنك الرواة ، مع أنك لم تعاشره أكثر من سبعة
أعوام ونصف .

ورأيتك ملازما لأبيك ، تغرف من بحره الزاخر وترتوى ، ويمدك
يمكنون اللالىء والدرر ، وهو الذى تربى من صباه فى حجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأخذ عنه الكتاب والحكمة ، فامتلا علما ونورا ، وقال
فى ثقة بالله : أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما من آية فى كتاب
الله نزلت الا وأنا أعلم أبليلى نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل .

ورأيتك معلما للناس وللناشئة من أهل بيتك ، مما علمك الله ، فكنت
منهم الامام ، وكانوا هم الائمة من بعدك .

ورأيتك عابدا ، ذا همة خارقة فى عبادتك ، حتى كأنك قطعت الدنيا
الى الآخرة ، وعانيت الغيب ، فرأيت أن الأمر جد لا هزل فيه ، فشد ذلك
من عزمك ، حتى حججت بيت الله عشرين مرة ماشيا على قدميك وابلك
تقاد بين يديك ، وتقول تواضعا لله ، انى أستجى أن أذهب الى بيت الله
الحرام راكبا ، فما أعظم الهيبة ، وما أكبر الهمة .

ورأيتك وفيما بوالديك وأهلك وصحبك وصحب أبويك ، متأثرا بقول
جده المصطفى صلى الله عليه وسلم : حسن العهد من الإيمان .

ورأيتك حسن العشرة لأزواجك على كثرتهم ، وهن ضرائر ، وهو
ما رغب الناس في مصاهرتك مع كثرة طلاقك ، حتى انه حين أمر أبوك
مناديه أن ينادى في الناس الا يزوجوك لأنك رجل مطلق ، كانوا يقولون
للمنادى : نزوجه فان شاء أمسك وان شاء سرح .

وقد انتقد كثرة زواجك بعض الجهال ، وما درى أنه لا تهمة مع
الحلال ، وما درى أن زمانكم غير زماننا ، ومعاييركم غير معاييرنا ، فقد
كان تعدد الزواج في أيامكم مستحسنا ، لربط العصبيات ، والاكتار من
الذرائر المقاتلين ، ولئن كان التعدد مستحبا لغيركم فقد كان فيكم أهل
البيت أكثر استجبابا ، لأن سلالة النبي صلى الله عليه وسلم أمان ورحمة
لأهل الأرض ، كيف لا وهم الطاهرون المطهرون ، الذين يشون الهدى بين
الناس بالقول والعمل والحال .

ورأيتك تحل الطيبات ، وزينة الله التي أخرج لعباده ، لتظهر للناس
نعمة الله عليك وغناك عنهم ، حتى لقد كنت تلبس برنس الخز وسبنجونه
(بالطو) من جلود الثعالب ، وتركب الخيل المسومة .

ورأيتك مواسيا المنكوب في ساعة العسرة ، وان تباعد عنه أحبابه ،
فقد خرجت مع أبيك ومع أخيك ، تودع الصحابي الجليل ، أبا ذر رضى
الله عنه ، وهو خارج الى الربذة مما أثر في نفسه فخاطبكم قائلا رحمكم
الله أهل بيت النبوة ، مالى بالمدينة سكن ولا شجن غيركم ، اذا رأيتمكم
ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ورأيتك سخيا ، تعطى بسؤال وبغير سؤال ، وراك قبلى أبوك في
سخائك وجودك فوصفك قائلا : صاحب جفنة وخوان ، فتى من فتيان
قريش .

ورأيتك حلو الحديث ، عف اللسان ، لا تصدر عنك الكلمات النابية؛
كما كنت تأخذ أمورك بالروية فلا يذهب عنك الرشد بغضب أو تسرع ، كل

ذلك فى هبة ووقار يحسب حسابها صاحب السلطان فى عرشه ، حتى لقد قال معاوية : والله ما رأيتك جالسا عندى الا خفت مقامه .

ورأيتك واصلا لسيداتنا أمهات المؤمنين ، رضى الله عنهن ، تزورهن كل يوم ، وتبرهن وتهدى اليهن ، فملأت عليهن بعض الفراغ الكبير الذى خلفه جدك صلى الله عليه وسلم حين اختار الله له الرفيق الأعلام .

ورأيتك حليما ، حلما شاد به خصومك ، حتى لقد قال مروان ، وهو ممن جرعكم الغيظ ، ان حلمه كان يوزن بالجبال .

ورأيتك جادا فى مواقف الجدد ، فاذا رأيت ما يمس كرامتك ، زارت فى وجه خصمك زئير الأسود ، لا ترهبك سطوته ، ولا يصدك سلطانه .

ورأيتك تثبت عند رأيك ، اذا اطمأنت اليه نفسك ، وهى نفس طاهرة ، فكنت تعتد به وتعزز ، وتقف حياله مدافعا ، حتى مع أيك الذى تحبه ، وأخيك الذى تعزه .

ورأيتك خفت الله فى دماء المسلمين ، فلم ترد أن تلى أمر أمة محمد وتراق فى سبيل ذلك محجمة دم ، كما قلت حين تنازلت عن الخلافة لمعاوية ، على الرغم من معارضيك فى ذلك من أهلك وأنصارك المخلصين .

ورأيتك ملكك الدنيا وزهدت فيها ، فحققت ما قال به الصوفية الذين أخذوا عن أيك المعرفة ، فقد قالوا : ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد ان تتركها من قلبك وهى فى يدك ، وهو ما كان منك بفضل الله .

ورأيتك تدرأ الحدود بالبشبهات ، حين شكوت الى أخيك الامام الحسين ، السم الذى سقيته غدرا ومت به فقال لك أخبرنى من سقاك ، فقلت لتقتله ، قال نعم ، فقلت ما أنا بمخبرك ، ان يكن صاحبى الذى أظن ، فإله أشد قمة ، والا فما أحب أن يقتل بى برىء ، فكنت رجل السلام مرة أخرى فى موطن تغلى فيه الصدور حقدا وانتقاما من الأعداء ، فما أعظم الورع .

وليت الغيب انكشف لخصومكم ، فراؤا ماجر عليهم ، وعلى ذراريهم ،
وعلى الأمة الاسلامية ، الطمع في ملك الدنيا ، فكأنوا تركوا الحق لأهله ،
ولم يردوا على الله يوم القيامة بأوزارهم ، حين تأتونه أتم خفافا ، لكم
لا عليكم .

وقد يظن البعض ، انك خالفت سياسة أبيك ، فجئحت للسلم وحارب
أبوك ، ولو دقق الباحث ، لرأى أن أباك كان رجل السلام ، وقد كان ينشده
ويحاوله ما وسعه الجهد ، حتى مع الخوارج الذين ضلوا السبيل ، فما
قاتل كرم الله وجهه خصومه ، إلا بعد أن بصرهم ونصح لهم وأقنعهم ، ولكن
الأهواء صمت آذانهم عن سماع الحق ، فلم يجد بدا من حربهم ، استعمالا
لحقه ، وصيانة لسلطانه ، ولو أنه كان أراق دماءهم قطرة قطرة ، واستأصل
شأفتهم ، ما كان آثما ، وقد أعذر من أنذر .

وكذلك كان أخوك الامام الحسين ، رجل سلام ، ولكن خصومه أكرهوه
على القتال دفاعا عن نفسه ، وشرف دينه ، وكرامة أمته ، والتاريخ خير
شاهد .

وانك حين سالت معاوية ، لم تخالف أباك ، ولم تقصد الى مخالفته ،
بل اجتهدت رأيك في ظرف غير ظرفه ، فقد بان لك غدر أصحابك بيقين ،
حين اعتدوا عليك وطعنوك ، ونهبوا عسكرك ، فكيف كنت تقبل أن تكون
مأمورا وأنت الأمير ، أو أن تكون تابعا وأنت المتبوع ، وإذا كان ابن عمك
عبيد الله بن عباس ترك لواءك ، وانحاز لمعاوية ليلا حيث اشترى منه ذمته
بالمال ، فقد كان الشراء من غيره أهون على معاوية وأرخص ، وما أصدق
أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين قال : ان فتنة الدنيا طغت على النفوس
طفئانها الذى لا تجدى فيه الحيلة أو المحاولة .

ولقد كان أبوك في حربه بعد المسالمة مجتهدا ، وكنت أنت في سلمك
بعد الاستعداد للقتال مجتهدا ، وكان أخوك في قتاله مكرها مجتهدا ، ذلك
بأن مواقفكم كلها خلت من الأهواء النفسية والأغراض الدنيوية ، وكنتم
تريدون خير الأمة ، وحفظ الدين الذى قام في بيتكم ، فكان قيامه رحما
للعالمين .

وعلى ضدكم ، كان خصومكم ، وانى أقيم الشهادة لله ، فقد تلبسوا بهوى النفوس ، فجانبوا الحق ، وحادوا عن الصراط المستقيم ، ولئن كانت حرمة الصحابة واجبة على كل مسلم ، فحرمة آل البيت أوجب ، خاصة وأن الحق كان على الدوام فى جانبهم كما كانوا هم على الدوام فى جانب الحق ، لا شبهة فى ذلك ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

فاذا كانت قریش قد حاجت العرب والأمصار بالنبوة ، فبنو هاشم كانوا أولى من بنى أمية بالخلافة ، لا بالقرابة فحسب ، ولكن بالسبق فى الاسلام ، والسبق فى الجهاد ، ذلك الى العلم والورع ، وهو أمر لا يسبقهم فيه سابق ، ولا يلحقهم لاحق ، باعتراف بنى أمية أنفسهم ، ولم ينل أمير المؤمنين عثمان الخلافة على أنه أموى . بل نالها بسبقه وجهاده وسخائه ، وهى سجایا شخصية له ميزته عن قومه من بنى أمية ، وحين كان عثمان فى السابقين الأولين ، وفى المهاجرين الهجرتين ، كان معاوية وأبوه من أعداء الاسلام .

واذا كان المهاجرون والأنصار وأهل بدر ، قد بايعوا الامام على بالخلافة فى المدينة ، فقد كان معاوية فى دمشق ملزما بهذه البيعة ، لأن هؤلاء هم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، والتزم معاوية ببيعتهم ، فما باله لم يلتزم ببيعتهم هذه المرة ، وما بال عمرو بن العاص يشاركه الخطيئة فى الخصومة التى قامت على الطلب بدم عثمان ، وكان عمرو من المحرضين على عثمان حتى قال : كنت القى الراعى فأحرضه على عثمان ، وحين علم بقتل عثمان فرح وقال : انا أبو عبد الله ما نكأت قرحة الا أدميتها ، كما كان عمرو أول من أشار على عثمان باعتزال الخلافة ، وثار فى وجهه وقاطعه على ملا من الناس وقال له ، اتق الله يا عثمان فقد ركبت أمورا وركبناها معك ، فما تباكى عمرو على عثمان .

واذا كنا مطالبين بحفظ حرمة الصحابة ، فمعاوية وأعوانه من الصحابة ، مطالبون بكف النفس عن الهوى قبل غيرهم من الأجيال التى تليهم ، حتى لقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين نزل قوله تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) ما كنت أحسب أن أحدا من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية ، ويقول العارفون تعقيا على قوله ذلك : فكان ابن مسعود في هذا المقام فانيا عن الدنيا .

واذا كان خصومكم قد اتخذوا دم عثمان ، رضى الله عنه ، تكأة لهم في موقفهم من أيبك كرم الله وجهه ، فماذا صنعوا هم لقتلة عثمان حين صار لهم الملك والسلطان ، وما بالهم لم يقتصوا من الثوار ، وما بالهم غنموا ملك الدنيا ، وأرضوا ورثة عثمان بالفتات ، وببعض كلمات .

لقد خاصم أباك طلحة والزبير ، وعاوتهما أم المؤمنين عائشة ، رضوان الله عليهم ، ولكنهم رجعوا الى الحق بعد أن تبين لهم ، فانسحب الزبير عن المعركة ، وجدد البيعة لأيبك طلحة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وطلبت سيدتنا عائشة من أيبك المنتصر في واقعة الجمل العفو فعفا ، ودعت له بالمغفرة ، وتردد بعد ذلك عبد الله بن الزبير على مجلس أخيك الحسين ، يسمع منه ، يأخذ عنه ، وكان لم تكن بينكم وبينهم خصومة ، ولا قتال سابق .

أما معاوية ، فأبى من دونهم الا كيدا ونفورا ، وأعلنها حربا شعواء ، صلى المسلمون بنارها ، في صفين حتى كان التحكيم ، وقصة التحكيم ، كانت أخرى ، علم الله ، من قصة الحرب ، فاتفق أبو موسى مع عمرو على شيء ، وأعلنه أبو موسى في براءة ، ونكث عمرو في خديعة ، فخلع عليا كما خلعه أبو موسى ، ولم يخلع معاوية ، كما كان الاتفاق ، بل ثبت معاوية بغير حق من كتاب أو سنة .

ولم يكن معاوية طالب خلافة ، ولو أنه حرص على قيام الخلافة لرأى أن باك كان أحق بها وأهلها لكنه كان يهدف الى ملك الأكاسرة والقيصرة وكان المجتمع قد فتن بزخرف الدنيا ، ولعبت الأموال والمناصب بأفئدة الناس وحين رأى الملك قد استوثق له ، ورثه لابنه يزيد من بعده ، فخرج عن مبدأ الشورى ، وهو من أقدم حقوق الأمة ، كما خرج عما شرطته أنت عليه في شروط الصلح ، أما مستشاره عمرو فقد ورثه معاوية مصر وخارجها ، كما شرط عليه عمرو حين وقف الى جواره يؤازره .

فكيف بالله أجارى من يقول ان معاوية كان مجتهدا ، وهل كان مجتهدا حين أمر ولاته أن يسبوا أباك وأهلك على المنابر علانية على مسمع من الناس وأتم الذين خلدكم بفضلكم كتاب الله الكريم .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد قتل حجر بن عدي بلا ذنب ، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المجاهدين في الفتوحات الاسلامية ، كما قتل أصحاب حجر ، وكان معاوية يندم على قتل حجر ويقول : ما قتلت أحدا الا علمت فيم قتلته الا حجرا ، فإني لا أعلم فيم قتلته ، وقد خالف معاوية في قتل ذلك الصحابي ربه ، كما خالف ما شرطته أنت عليه في الصلح من تأمين أصحابك وأصحاب أيك .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد ألحق معاوية زيادا بأبي سفيان ، وكان لزياد أب معلوم هو عبيد ، والله تعالى يقول : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » .

أو كيف أجارى من يقول انه كان مجتهدا ، وقد أخذ البيعة لابنه يزيد ، نابذا الشورى وراء ظهره مع اشتها يزيد بفسقه وفجوره ، وكان أخوك الامام الحسين علما خفاقا على ظهر الأرض ، يتمنى الناس امامته ، ولم يكن معاوية يجهل أن استخلاف يزيد فيه خروج عن حدود الله ، وفيه خروج على شروط الصلح ، فقد عرض عليك معاوية أن يكون الأمر لك من بعده ، فأبيت أنت الا أن يكون الأمر شورى بين المسلمين .

ولقد أراد معاوية أن يؤسس ملكا خالدا على الزمن لبنى سفيان ، ولكن قدر الله أن يموت يزيد في شبابه بعد اعوام أربعة من حكمه بل أقل ، ثم تحول الملك سريعا الى مروان وبنيه ، ولم يكن ذلك ليسر معاوية ، خاصة وأن مروان عارضه معارضة شديدة في بيعة يزيد وقال له : فأقم الأمر يا ابن أبي سفيان واهدا من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك في قومك نظرا وان لهم على مناوأتك وزرا .

وما كان أقصر الملك في بنى أمية بعد ذلك فقد انتزع العباسيون ملكهم الى غير رجعة بعد ستين سنة من مقتل الامام الحسين ، وبعد ان كان

عبد الله بن الزبير انتزع منهم الخلافة على أكثر بلاد الاسلام في صدر دولتهم حتى قاتلوه وغلبوه وقتلوه .

وقد يسر أمرى في دراسة موقف معاوية بعض أهله من الأمويين المنصفين ، فقد أبطل بلعة السب على المنابر ، أمير المؤمنين الأموي عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فكان عمله هذا شهادة ضد معاوية في باطله .

وحين تنازل معاوية الثانى بن يزيد عن الخلافة (التى بقى فيها أربعين يوما بعد موت أبيه) خطب خطبة زلزل بها دولة بنى أمية ومكن لخلافة عبد الله بن الزبير ، وقال معاوية الثانى فى تلك الخطبة يكشف عن معاوية الأول ويزيد :

« أيها الناس ، ان جدى معاوية ، نازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منه ، لقرايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبى طالب ، وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهينا بذنوبه ، وأسيرا بخطاياها ، ثم قلد أبى الأمر فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه ، واخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار فى قبره رهينا بذنوبه ، وأسيرا بجرمه ، وان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباح الحرم ، وخرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم — خشأناكم أمركم » .

وتلك شهادة أخرى على معاوية الأول من حفيده ، فان طعنوا فى شهادتنا نحن الآخرين ، فتلك شهادة أهله الأولين .

أما عمرو بن العاص ، فقد عاون معاوية ، وعادى أهل البيت ، وشهد بنفسه على نفسه ، وهو يحتضر ، فندم على ما فرط منه ، فقد روى عنه ابن عباس رضى الله عنهما أنه حين احتضر قال : اللهم خذ منى حتى ترضى ، اللهم أمرت فعصينا ، ونهيت فركبنا ، فلا برىء فأعتذر ، ولا قوى فانتصر ، ولكن لا اله الا الله ، يقول ابن عباس فجعل يرددّها حتى فاض .

وانى أقول بعد أن سرحت كارها لمعاوية وعمرو تلك المساوىء كما قلها ثقة المؤرخين : ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم .

أيها السبط الكريم :

ان ما وقع لكم من الدنيا وأهلها ، يحير الأبواب ، لكننا أخذنا عنكم
الرضا بالمقدور ، وان كان مرا ، فذلك من علامات اليقين بالله ، ولقد قال
أخوك الامام الحسين : فاذا أراد ما نكره فيما يحب رضىنا .

كما أخذنا عنكم أن أفعال الله كلها حسنة ، وان خالفت هوانا ، لأن
حكمة الله دقت فخفيت عن العقول ، هذا في باطن الأمر ، أما في ظاهره ، فقد
علل تلميذك وابن أخيك الامام على زين العابدين ما وقع لكم خير تعليل .
حين قال :

عُتِبَ عَلَى الدُّنْيَا فَقُلْتُ إِلَى مَتَى أَكَايِدُهُمَا بِؤْسِهِ لَيْسَ يَنْجَلِي .
أَكَلَ شَرِيفٌ مِنْ عَلَى نَجَّارِهِ حَرَامٌ عَلَيْهِ الْعَيْشُ غَيْرَ مُحَلَّلٍ .
فَقَالَتْ نَعَمْ يَا ابْنَ الْحُسَيْنِ رَمَيْتُكُمْ بِسَهْمِي عِنَادَ مَنْذُ طَلَقْنِي عَلَى .
فأشار الى ما كان قاله أبوك أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو
يخاطب الدنيا : اليك عنى يادنيا ، الى تعرضت ، أم الى تشوقت ، هيهات .
غرى غرى ، لقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها .

أيها السبط الكريم :

لقد خفت الله في دماء المسلمين ، فحفظت دماء خصومك ، كما حفظت
دماء أنصارك ، وصالحت معاوية ، وتنازلت له عن خلافة كانت في يدك بيعة
شرعية ، فهل خافوا الله في دمائك ، كلا والله بل خانوا وما خافوا ، فأماتوك
مسموما ، فما أبعد المدى بينك وبينهم ، حين حرصوا على دنيا سرعان
ما زالت عنهم ، وحرصت أنت على أخرى تدوم ولا تزول .

أيها السبط الكريم :

كذلك حرصت ، وانت تلفظ أنفاسك الأخيرة ، على السلام والوئام ،
كمهدك دائما ، فأوصيت أخاك الامام الحسين أن يدفنك الى جنب جددك
المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فان أبوا فلا يقاتلهم ، وليدفنك الى جنب
أمك السيدة الزهراء ، فالى جنة الخلد ورضوان من الله أكبر .

وأشهد بالله أن المعتدين عليكم ، والسافكين دماءكم الزكية ، قد أسرفوا على أنفسهم ، وجاوزوا الحد في السرف ، فباعوا الدين بالدنيا واستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير ، ولقد صدق ابراهيم النجفى حين كان يقول: لو كنت قاتل الحسين ثم دخلت الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولئن كان ابن عباس رضى الله عنهما قال : أول ذل دخل على العرب موت الحسن ، فقد قال زيد بن أرقم رضى الله عنه بعد ذلك عندما جرى برأس أخيك الامام الحسين الى اللعين ابن زياد : اتمم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة ، فهو يقتل خياركم ويستعمل شراركم .

سيدي السبط الكريم :

حقا لقد فقد المسلمون بفقدكما امامين كان كل منهما فى زمانه وحيد نسجه ، وأحب أهل الأرض الى أهل السماء ، وكفى بها خسارة يجعل عنها العزاء ، الا أن يأتينا من يقينكم ونوركم وبلاغتكم من مثل ما قاله أخوك الامام الحسين مواسيا اختك الطاهرة السيدة زينب رضى الله عنها حين رأى هلعها فى واقعة كربلاء المشنومة حيث قال لها :

اتق الله ، وتعزى بعزاء الله ، واعلمى أن أهل الأرض يموتون ، وأهل السماء لا ييقون ، وأن كل شئ هالك الا وجه الله ، أبى خير منى ، وأمى خير منى ، وأخى خير منى ، ولى ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة .

سيدي السبط الكريم :

لئن عجز بيانى عن الوفاء بحقك فى هذا الكتيب ، فلتغفر لسميك وتابعك عجزه ، ورحم الله أبوى فقد سميانى باسمك ، فأسعدانى بدمعة صارت لى منك ومن سيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أهنأنى بها ،

كما أنى كذلك محب لسادتى آل البيت الكرام وأقول ما قال أستاذى العارف بالله الشيخ على عقل فى الهامه المشرق من كلام طويل .

ومهما ألام على جهنم فلست الفتى خائف اللائم
إذا من نفسي فتور المعاصي بذكرهمو أصبحت هائم
فيا عاذري ثم يا عاذلي سواء رضاك أو اللائم
قل ما تشاء وكن ما تشاء فاني أحبب بنى فاطمه

والسلام عليك ، أيها الخليفة الخامس ، فى الخلفاء الراشدين ، وفى
أمرء المؤمنين ، والتحيات الطيبات لك فى عليين ، ورحمة الله وبركاته عليكم
أهل البيت انه جميد مجيد .

والى كل محب لسادتي آل البيت الكرام ، وناصر للحق وأهله . اقدم
الكتيب ، طامعا فى دعوة سالحة من كل قارئ وقارئة ، وراجيا أن ينفع
الله به ، وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

المؤلف

الباب الأول

تاريخه الشخصي

* جهاده

* نسبه

* أسرته

* علمه

نسبه الشريف رضى الله عنه :

هو أمير المؤمنين الامام أبو محمد الحسن السبط خامس الخلفاء الراشدين رضى الله عنه ، وأبوه أمير المؤمنين على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه ، وأمه السيدة فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى سيدة نساء العالمين طرا .

قالت أم الفضل : يا رسول الله رأيت كأن عضوا من أعضائك فى بيتى ، قال رأيت خيرا ، تلد فاطمة غلاما فترضعيه بلبن قثم ، فولدت الحسن فأرضعته بلبن ابنها قثم .

(وأم الفضل هى السيدة لبابة بنت الحارث الهلالية ، أول امرأة أسلت بعد السيدة خديجة بمكة ، وهى زوج سيدنا العباس بن عبد المطلب ، يقال لها لبابة الكبرى ، أخت السيدة ميمونة أم المؤمنين ، وخالة سيدنا خالد بن الوليد ، وكان النبی صلى الله عليه وسلم يزورها ، ويقيل عندها ، وكانت من المنجبات ، ولدت للعباس ستة رجال ، أحدهم القثم) .

وقد شرفه جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما شرف أخاه الامام أبا عبد الله الحسين السبط بأن نسبهما اليه بالنسوة ، وان كانا من صلب على كرم الله وجهه .

روى الترمذى من حديث أسامة بن زيد قال : طرقت النبی صلى الله عليه وسلم فى بعض الحاجة فقال : هذان ابنائى وابنا ابنتى ، اللهم انى أحبهما ، فأحبهما وأحب من يحبهما .

لذلك يقال لكل من السبطين الحسين والحسين : يا ابن المصطفى ، وكانا رضوان الله عليهما يعتزان بأبوتهم صلى الله عليه وسلم ويهتفان به فيقول كل منهما له صلى الله عليه وسلم « يا أبت » فإذا هتف الحسن بأبيه على قال له : يا أبا الحسين : وإذا هتف الحسين بأبيه قال له : يا أبا الحسن ، فلما انتقل جدهما صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى كانا يقولان لأبيهما « يا أبت » .

كما روى عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه أنه قال فى الحسن والحسين : انهما سيدا شباب أهل الجنة ، لذلك كانت أمهما تتناديهما فتقول :

يا حسنان مرة ويا حسينان مرة أخرى ، من باب المزج التغليب ، رضى الله عنهم أجمعين .

الامام على كرم الله وجهه :

ولد الامام على في الكعبة يوم الجمعة الثالث عشر من رجب سنة ٣٠ من عام الفيل ، وتوفي شهيدا قبل فجر ليلة الجمعة ٢١ من رمضان سنة ٤٠ هـ وهو ابن ثلاث وستين .

وفضائله كرم الله وجهه في الاسلام أشهر من أن تذكر وكفاه شرفا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا في الناس وكانوا قد شكوا اليه عليا فقال : « أيها الناس لا تشكوا عليا ، فوالله انه لجيش في ذات الله » .
وحين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار قال له : « أنت أخى » وياله من شرف كبير .

وقد خلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل بيته في المدينة حين خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك ، فبكى كرم الله وجهه وقال يا رسول الله تخلفني على النساء والصبيان ، لأنه كان يشتاق للجهاد في سبيل الله فيقاتل أعداء الله ، فطيب صلى الله عليه وسلم خاطره وقال له :

أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي .

وفي خير قال صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله ، فتناول لها الصحابة ، حتى قال عمر رضى الله عنه ، ما أحبيت الا مارة الا ذلك اليوم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ادعوا لى عليا ، فأتاه وبه رمد ، فبصق في عينيه ، ورفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

وروى أبو بكر الانباري في أماليه ، ان عليا عليه السلام جلس الى عمر في المسجد ، وعنده ناس ، فلما قام عرض واحد بذكره ، ونسبه الى

التيه والعجب — فقال عمر : حق لئله أن يتيه والله لولا سيفه ، لما قام عمود
الاسلام ، وهو بعد أقضى الأمة وذو ساقبتها وذو شرفها .

وقد كان عبد الله بن عباس تلميذا لامانا على كرم الله وجهه ، وعرف
ابن عباس بالتبحر في العلم حتى وصف بأنه « حبر الأمة وترجمان القرآن » ،
ولما سئل ابن عباس : أين علمك من علم ابن عمك ، قال كنسبة قطرة من
المطر الى البحر المحيط .

وقد قال له عمر رضى الله عنه : لا ابقانى الله بأرض لست بها يا أبا
الحسن ، كما قال : لولا على لهلك عمر .

وقد قال أبو عبيدة رضى الله عنه ، ارتجز الامام على بن أبى طالب
كرم الله وجهه تسع كلمات قطع الأطماع عن الالتحاق بواحدة منهن ، ثلاث
في المناجاة وثلاث في العلم وثلاث في الأدب .

فأما التي في المناجاة فهي قوله : كفانى عزا أن تكون لى ربا ، وكفى بى
فخرا أن أكون لك عبدا ، أنت لى كما أحب ، فوفقنى لما تجب .

وأما التي في العلم فهي قوله : المرء مخبوء تحت لسانه ، فتكلموا
تعرفوا ، ما ضاع امرؤ عرف قدره .

وأما التي في الأدب فهي قوله : أنعم على من شئت تكن أميره ، واستغن
عن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره .

وروى أبو الفرج في كتاب الأغاني أن ابن عباس سمع قصيدة لعمر بن
أبى ربيعة مرة واحدة فحفظها وأعادها وما سمعها قط الا تلك المرة صفحا
(أى مرورا) ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة فقال له بعضهم ما رأيت
أذكى منك قط فقال لكننى ما رأيت قط أذكى من على بن أبى طالب عليه
السلام .

ولا يفوتك أن الامام عليا كرم الله وجهه ، تربى من طفولته فى حجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشملت بركاته من الصبا ، واستمع الى
ما يقوله ابن أبى حديد فى شرح نهج البلاغة فى مناقب امامنا على كرم الله
وجهه :

« اجتمع للامام على بن أبى طالب من صفات الكمال ، ومحمود السمائل والخلال ، وسناء الحسب ، وباذخ الشرف ، مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ، ما لم يتهياً لغيره من أفذاذ الرجال .

« تحدر من أكرم المناسب ، واتمى الى أطيب الأعراق ، فأبوه ، أبو طالب ، عظيم المشيخة من قريش ، وجده عبد المطلب ، أمير مكة ، وسيد البطحاء ، ثم هو قبل ذلك من هامات بنى هاشم وأعيانهم ، وبنو هاشم كانوا ، كما وصفهم الجاحظ « ملح الأرض » وزينة الدنيا وحلى العالم ، والسنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولبات كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم .

« واختص بقرباته القريبة من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فكان ابن عمه ، وزوج ابنته وأحب عترته اليه ، كما كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس الى فصاحته وبلاغته ، وأحفظهم لقوله ، وجوامع كلمه » .

« أسلم على يديه صبيا ، قبل أن يمس قلبه عقيدة سابقة ، أو يخالط عقله شوب من شرك موروث ، ولازمه فتيا يافعا ، فى غدوه ورواحه ، وسلمه وحر به ، حتى تخلق بأخلاقه ، واتسم بصفاته ، وفقه عنه الدين ، وثقف ما نزل به الروح الأمين ، فكان من أفقه أصحابه وأقضاهم وأحفظهم وأوعاهم ، وأدقهم فى الفتيا ، وأقربهم الى الصواب ، وحتى قال فيه عمر : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن » .

« وكانت حياته كلها مفعمة بالأحداث ، مليئة بجلال الأمور ، فعلى عهد الرسول عليه السلام ، فاضل المشركين واليهود ، فكان فارس الحلبة ومسعر الميدان ، صليب النبع جميع الفؤاد.. وفى أيام خلافته كانت له أحداث أخرى ، لقي فيها ما لقي من تفرق الكلمة ، واختلاف الجماعة وانقسام العروة ، ما طوى أضالعه على الهم والأسى ، ولاع قلبه بالحزن والشجن .

وفى بكل ما لقي من أحداث وأمور ، وما صادف من محن وخطوب ، بلى الناس وخبرهم ، وتفتن لمطاوى نفوسهم ، واستشف ما وراء مظاهريهم ، فكان العالم المجرب الحكيم ، والناقد الصيرفى الخبير .

« وكان لطيف الحس ، تقى الجوهر ، وضاء النفس ، سليم الذوق .
مستقيم الرأي ، حسن الطريقة ، سريع البديهة ، حاضر الخاطر ، حولا
قلبا ، عارفا بمهمات الأمور اصدارا وايرادا .

بل كان كما وصفه الحسن البصرى : « سهما صائبا من مرامى الله على
عدوه ، وربانى هذه الأمة ، وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابتها من رسول
الله صلى عليه وسلم . لم يكن بالنثومة عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ،
ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ، ففاز منه برياض موقفة ،
وأعلام مشرقة ، ذاك على بن أبى طالب » .

هذا ، وقد كان امامنا على كرم الله وجهه ، أول هاشمى من أبوين
هاشميين ، فاجتمعت له صفات بنى هاشم التى اشتهروا بها مثل الشجاعة ،
والكرم ، والوفاء ، والمروءة ، والذكاء والعفة والترفع عن الدنيا ، ذلك الى
القوة الجسدية التى ميزتهم واختص بها كثير من رجالاتهم ، وأبرزهم امامنا
على وأبناءؤه ، وخص الى جانب تلك الصفات بنفح الهى ، والهام قدسى ،
فتفجرت من قلبه عيون العلم والحكمة فى بلاغة رائعة ، وبيان محكم ،
ويعده العارفون امامهم الذى يأخذون عنه حتى قال سيد الصوفية فى القرن
الثالث الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه فى شأنه : لو لم تشغله
الحروب لأفادنا فى علمنا هذا معانى جلية ذاك امرؤ أعطى علم اللدنى .

وكان امامنا على كرم الله وجهه أصغر اخوته ، وأكبر منه جعفر وعقيل
وطالب ، وبين كل منهم وأخيه عشر سنين ، ولما أصاب القحط قريشا ، أهاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعميه حمزة والعباس أن يخففوا عن أبى
طالب عباءه ، فأخذ صلى الله عليه وسلم عليا ، وأخذ العباس طالبا ، وأخذ
حمزة جعفرا .

ومن شعر امامنا على الذى يتحدث فيه بنعمة الله عليه قوله :

محمد النبى أخى وصهرى	وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرمى	مشوب لحمها بدمى ولحمى

وسبّط أحمد ابنائى منها فمّن منكم له سهم كسهمى
سبقتمو الى الاسلام طرا صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا فمّن منكم له يوم كىومى

وقد ظل كرم الله وجهه حافظا لبنياهه المكين الذى كان له فى شبابه
حتى ناهز الستين ، حتى انه كان يمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه
فلا يستطيع أن يتنفس ، واشتهر عنه أنه لم يصارع أحدا الا صرعه ، ولم
يبارز أحدا الا قتله ، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه الا رجال ،
ويحمل الباب الكبير فيعبي بقلبه الأشداء ، وقد عجب الصحابة من أنه رفع
باب الحصن فى خير بيد واحدة فشق على عشرات منهم أن يرفعوه جماعة ،
فكلموه فى ذلك فابتسم وقال : انما هو عون الله ومدده ، وكذلك كان يصيح
الصيحة فتتخلع لها قلوب الشجعان .

ولقد قتل فى موقعة الخندق ، عمرو بن ود ، فارس شبه الجزيرة
العربية ، الذى قدره أصحابه وأعداؤه بالف رجل ، فكانت أخت عمرو تواسى
نفسها وتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبدا ما دمت فى الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وكان امامنا على فى واقعة الخندق فتى ناشئا ، فكانت شجاعته من
أندر الشجاعات التى عرفها التاريخ ، وفى فتح مكة استجار رجلان بأخته
أم هانئ فأجارتهما ، ودخل دارها أخوها على ليقتلها ، فقالت له انى قد
أجرتهما ، فهم بقتلها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أهدر دمهها ،
فأمسكت بيده وهو قابض سيفه فلم يستطع أن يفك يده منها الا بعد أن
أفلت منه الرجلان هاربين ، فذهبت تشكو أخاها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وسمع شكواها امامنا على وهو يضحك ، فقال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ، يا رسول الله لقد قبضت على يدى فلم أستطع منها فكাকা
حتى أفلت الرجلان فقال صلى الله عليه وسلم مطيبا خاطرها ، قد أجرتنا من
أجرت يا أم هانئ ، ثم قال لامامنا على : لا سبيل لك عليهما ، وعقب صلى
الله عليه وسلم قائلا : لو ولد الناس كلهم أبو طالب لكانوا شجعانا .

السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها :

كانت السيدة فاطمة رضوان الله عليها أثيرة عند أبيها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فكانت أحب بناته إليه ، ولقبت بالزهراء ، وولدت والكعبة تبني ، والنبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين . وقد توفيت بعد أييها بستة أشهر وقيل بثلاثة أشهر وكانت في الثلاثين من عمرها ، وذلك ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة .

وجاء في الصحاح عن المسور بن مخرمة ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول : « فاطمة بضعة مني ، يربني ماربها ويؤذيها ما آذاها » .

وعن علي كرم الله وجهه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة ، « ان الله يرضى لرضاك ويعضب لغضبك » .

وحدثت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : أقبلت فاطمة تمنى كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مرحبا بابنتي ، ثم أجلسها عن يمينه فأسر إليها حديثا فبكت ، ثم أسر إليها حديثا فضحكت ، فقلت ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض سألته ، فأخبرتني أنه أسر الى فقال ان جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة ، وانه عارضني العام مرتين ، وما أراه الا وقد حضر أجلى ، وانك أول أهلي لحوقا بي ، ونعم السلف أنا لك فبكيت ، فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت .

أقول : ولا يتعارض ذلك مع قول الملائكة لمريم عليها السلام (ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) ، فان مريم عليها السلام كانت مصطفاة على نساء العالمين في زمانها ، واما سيدتنا الزهراء فمصطفاة على نساء العالمين جميعهن ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وكان صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفر قبل ابنته فاطمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يأتي الى باب فاطمة بعد زواجها من الامام علي ، فيأخذ

بعضادتي الباب ، ويقول السلام عليكم أهل البيت ، الصلاة ، الصلاة ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا .

وكان صلى الله عليه وسلم ، اذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم ثنى بييت فاطمة رضى الله عنها ، ثم يأتى بيوت نسائه .

وقد تزوج بها الامام على فى أول محرم سنة سنتين ، وكان قد خطبها أبو بكر وعمر فلم يجبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : أنت لها يا على ، فقال مالى من شىء الا درعى أرهنها فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ، فلما بلغ ذلك فاطمة بكى ، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك تبكين يا فاطمة ، فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علما ، وأفضلهم حلما ، وأولهم سلما ، وفى رواية أخرى قال لها زوجك الله ورسوله فطاب خاطرهما لأن زواجهما كان بوحي الله تعالى .

والى زواجهما بوحي من الله ، يشير العارف بالله سيدى الشيخ أحمد الحلوانى (والد شيخى العارف بالله سيدى عبد السلام الحلوانى) رضى الله عنهما ، من قصيدة طويلة وطريقة فى مدح آل البيت رضى الله عنهم فيقول :

أتى الوحي أن تجلى عروس الحيدر فى شرفا أضحى به الكون مفترقا
ليهن بنيه المجد نظم هكذا نبى الهدى فاطرب وحيدر والزهرا
أقول ، وقد كانت أم امامنا على — وهى السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف التى كفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قميصه رضى الله عنها ، سمته حين وضعته حيدرة والحيدرة هو الأسد ليكون اسمه مشابها لاسم أبيها ، فسماه أبوه « عليا » وبه اشتهر .

وقد حدثت أم رافع عن وفاة السيدة فاطمة الزهراء فقالت ، مرضت فاطمة ، فلما كان اليوم الذى توفيت فيه قالت لى يا أمه ، اسكبى لى غسلا ، فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل ، ثم لبست ثيابا لها جددا ، ثم قالت اجعلى فراشى وسط البيت ، فاضطجعت عليه ، واستقبلت القبلة ، وقالت يا أمه انى مقبوضة الساعة ، وقد اغتسلت فلا يكشفن لى أحد كنفا فماتت ، فجاء على ، فأخبرته فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك .

وقد حزن كرم الله وجهه لفقدائها حزنا شديدا ، وقال فيما عزي به نفسه .

وان افتقادی فاطما بعد أحمد دليل على ألا يدوم خليل
ولا غرابة ، فيما أكرمت به عند وفاتها ، فهي صفية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وهي أم الأئمة في هذه الأمة ، وهي بنت أم المؤمنين السيدة
خديجة التي أقرأها الله السلام ، والاسعاد اعطاء ، كما قال العارفون من
العلماء .

وقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها ، أى الناس أحب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة ، فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان
كان ما علمت صواما قواما .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيم خيمة ، وهو متكئ على قوس عربية ، وفي الخيمة على
وفاطمة والحسن والحسين فقال : « معشر المسلمين ، انا سلم لمن سالم أهل
الخيمة ، حرب لمن حاربهم ، ولى لمن والاهم ، لا يحبهم الا سعيد الجد
طيب المولد ، ولا يبغضهم الا شقى الجد ردىء الولادة » .

وفى هذه المناسبة ، نهى السادة القراء القصيدة التى جادت بها قريحة
الشاعر المسلم العبقري السيد محمد اقبال شاعر الباكستان العظيم ، فى
السيدة الزهراء وآلها وقد ترجمها من الفارسية الى العربية سديقى العلامة
الشيخ الصاوى شعلان :

نسب المسيح بنى لمريم سيرة	بقيت على طول المدى ذكرها
والمجد يشرق من ثلاث مطالع	فى مهد فاطمة فما أعلاها
هى بنت من ، هى زوج من ، هى أم من	منذا يدانى فى الفخار أباهـا
هى ومضة من نور عين المصطفى	هادى الشعوب اذا تروم هداها
هو رحمة للعالمين وكعبة الـ	آمال فى الدنيا وفى آخرها
من أيقظ الفطر النيام بروحه	وكأنه بعد البلى أحيـاها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة	مثل العرائس فى جديد حلاها
ولزوج فاطمة بسورة هل أتى	تاج يفوق الشمس عند ضحاحـا

أسد بحسن الله يرمى المشكلا
ايوانه كوخ وكنز ثرائه
فى روض فاطمة نما غصنان لم
فأمير قافلة الجهاد وقطب دا
حسن الذى صان الجماعة بعدما
ترك الامامة ثم أصبح فى الدنيا
وحسين فى الأبرار والاحرار ما
فتعلموا رى اليقين من الحسين
وتعلموا حرية الايمان من
الأمهات يلدن للشمس الضياء
ما سيرة الابناء الا الامها

ت بصيقل يحو سطور دجاها
سيف غدا يمينه تياها
ينجيهما فى النيرات سواها
ثرة الوثام والاتحاد ابنها
أمسى تفرقها يحل عراها
وامام ألفتها وحسن علاها
أزكى شمائله وما أنداهها
اذا الحوادث أظلمت بدجاها
صبر الحسين وقد أجاب نداها
وللجواهر حسنها وصفها
فت فهم اذا بلغوا الرقى صذاها

هى أموة للأمهات وقدوة
لما شكنا المحتاج خلف رجاها
جادت لتتقذه برهن خملها
نور تهاب النار قدس جلاله
جعلت من الصبر الجميل غذاءها

يترسم القمر المنير خطاها
رقت لتلك النفس فى شنكواها
يا سحب أين نذاك من جدواها
ومنى الكواكب ان تنال ضياها
ورأت رضا الزوج الكريم رضاها

فمها يردد آى ربك بينما
بليت وسادتها لآلى دمعها
جبريل نحو العرش يرفع دمعها
لولا وقوفى عند أمر المصطفى
لمضيت للتطواف حول ضريحها

يدها تدير على الشعير رحاها
من طول خشيتها ومن تقواها
كالطل يروى فى الجنان رباها
وحدود شرعته ونحن فداها
وغمرت بالقبلات طيب ثراها

مولد الامام الحسن رضى الله عنه :

روى ابن ابى حديد بسنده فى شرح نهج البلاغة ، ان الامام الحسن
عليه السلام ولد للنصف الأول من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة ،
وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم « حسنا » .

وروى الامام أحمد بسنده عن على كرم الله وجهه ، قال لما ولد الحسن سميته « حربا » فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتوه ، قال : قلت « حربا » قال بل هو « حسن » فلما ولد الحسين سميته حربا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتوه قلت « حربا » قال : بل هو (حسين) فلما ولد الثالث سميته « حربا » فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال أروني ابني ما سميتوه ، قلت « حربا » قال بل هو (محسن) ثم قال سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر . وروى ذلك الحديث ابن الاثير في أسد الغابة في ترجمة الحسين ، كما رواه الامام أحمد الا أسماء ولد هارون ، ثم قال . وعن عمران بن سليمان قال الحسن والحسين من أسماء أهل الجنة ، لم يكونا في الجاهلية . وقد جاء في الحديث الشريف : « ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب على » .

يوم سابعه رضى الله عنه :

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام ، والعقيقة ذبيحة تذبح ليظمن منها الفقراء شكرا لله تعالى الذى وهب المولود .

وروى جعفر بن محمد عليه السلام ، ان فاطمة عليها السلام خلقت حسنا وحسينا يوم سابعهما ، ووزنت شعرهما فتصدقت بوزنه فضه .

وكانت السيدة الزهراء ترقص الحسن وتقول فى طرب :

أشبهه أباك يا حسن واخلع عن الحق الرسن
واعبد الها ذا منن ولا توال ذا الاحن

شكله رضى الله عنه :

روى البخارى عن عقبة بن الحارث قال : صلى بنا أبو بكر العصر ، ثم خرج ، فرأى الحسن بن على يلعب ، فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول بأبى شبيه بالنبي ، ليس شبيها بعلى ، وعلى يضحك .

وفي الترمذى عن طريق الزهري عن أنس قال : لم يكن أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن .

اللقاب رضى الله عنه :

يلقب رضى الله عنه بألقاب كثيرة وهى : التقى والطيب والزكى والولى والسبط والسيد ، وأمير المؤمنين ، وأشهرها السبط ، وأعلاها السيد ، فقد روى البخارى عن أبى بكر رضى الله عنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على معه وهو يقبل على الناس مرة ، وعليه مرة ، ويقول : « ان ابنى هذا سيد . ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » ، وكذلك السبط ، والسبط فى اللغة ولد الولد ، والأسباط فى بنى اسرائيل تقابل القبائل عند العرب ، فكأنه رضى الله عنه أمة وحده فى خصال الخير .

وقال صلى الله عليه وسلم فيه وفى أخيه الامام الحسين رضى الله عنهما وعن ذويهما : « انهما سيدا شباب أهل الجنة » .

كنيته رضى الله عنه :

يكنى رضى الله عنه بأبى محمد ، كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما جاء فى تهذيب الاسماء .

مكانته رضى الله عنه عند جده صلى الله عليه وآله :

روى البخارى عن أسامة ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسنى والحسن بن على فيقول : « اللهم انى أحبهما فأحبهما » وقد مر عليك ما رواه البخارى عندما لقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيد .

وجاء فى كتاب الاصابة عن عبد الله بن الزبير ، أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم اليه ، الحسن بن على ، رأيت يجرى وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره ، فما ينزل حتى يكون هو الذى ينزل ، ولقد رأيت يجرى وهو راكع فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر .

وروى البخارى ومسلم بسندهما عن البراء أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن بن على على عاتقه يقول « اللهم أنى أحبه فأحبه » .

وروى الترمذى بسننه ~~عن أبيه~~ عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسن بن على على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ونعم الراكب هو » .

والبنوة التى شرفه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وقوله انما هما ابناى وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما ، أيدها القرآن الكريم فى آية المباهلة وهى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) .

فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم ان أنا دعوت فأمنوا ، وقد أبى أهل نجران المباهلة خشية أن يصيبهم عذاب الله ورضوا بدفع الجزية « تفسير الامام القرطبى » .

وعند أحمد من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبى هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه ، وهذا على عاتقه ، وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا ، فقال : « من أحبهما فقد أحببني ومن أبغضهما فقد أبغضني » .

وروى الطبرانى عن جعفر بن محمد عن أبيه ، ان النبى صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، قال ولم يبايع صغيرا الا منا .

مكانة الامام الحسن عند أبيه رضى الله عنهما :

كان امامنا على كرم الله وجهه يعز الحسن والحسين معزة خاصة ، لمكانهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أنه كان يضمن بهما فى الحرب خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض ، فكان يؤخرهما ويقول لاصحابه : املكوا عنى هذين لتلا يهدانى

لأنى أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله في الأرض ، بينما كان يدفع
الراية لأخيها من أييها محمد بن الحنفية ويقول له تقدم ، وأراد
الدساسون أن يستغلوا ذلك استغلالا سيئا فقالوا لمحمد لم يقرر بك أبوك
في الحرب ، ويؤخر الحسن والحسين فقال في نفس زكية طاهرة : وعفل
راشد راجح : انما هما عيناها وأنا يمينه فهو يدفع عن عينيه يمينه .

وكان الامام على كرم الله وجهه ، يفر في رمضان عند ابنه الامام
الحسن يوما وعند ابنه الامام الحسين يوما ، وعند ابن أخيه عبد الله بن
جعفر يوما .

وكان أصحاب الامام على كرم الله وجهه يعلمون مكانة السبطين
الكريمين عند أييها ، فأهدى أحد أصحابه مرة لكل منهما هدية ، ولم
يهد شيئا لأخيها محمد بن الحنفية ، فخشى أبوه أن يتأثر في نفسه ، فوضع
يده على عاتقه وقال مخاطبا له ومطيبا خاطره :

وما شر الثلاثة أمّ عذرو بصاحبك الذي لم تصبحينا
ففهم الرجل الإشارة ، وقدم هدية أخرى لأخيها محمد بن الحنفية
رضى الله عنهم أجمعين ، وقد كان محمد شديد القوى ، حتى انه كان يلوى
الحديد فلا يقيمه غيره ، ومن شابه أباه فما ظلم .

مكانته رضى الله عنه عند أجلاء الصحابة :

كان للسبطين الكريمين مكاتهما الخاصة عند أجلاء الصحابة لأنهم
رضوان الله عليهم ، كانوا يحبون بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويبغضون يبغضه .

وقد مر على القاريء العزيز ان امامنا الصديق رضى الله عنه كان
يحمل الحسن على عاتقه ويقول بأبى شبيه بالنبي ليس شبيها بعلى .

وقد فرض أمير المؤمنين عمر للحسن والحسين عليهما السلام مثل
فريضة أهل بدر ، فقد روى ابن الجوزي : أدخل عمر في أهل بدر ممن
لم يحضروا بدر أربعة : الحسن والحسين وأبو ذر وسلمان ففرض لكل
واحد خمسة آلاف .

وقال أمير المؤمنين عمر لقومه من بنى عدى : والله ما أدركنا الفضل
فى الدنيا الا بمحمد ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها الا بمحمد
صلى الله عليه وسلم ، فهو شرفنا ، وقومه أشرف العرب ، ثم الأقرب
فالأقرب .

مقام الامام الحسن رضى الله عنه فى أهل البيت

كان الامام الحسن رضى الله عنه عميد أهل البيت بعد أبيه ، وقد
اختلف العلماء فى تعريف أهل البيت اختلافا كبيرا كما يستدل من المراجع
الواسعة ، وللإمام الجلال السيوطى بحث مستفيض فى أهل البيت أورده
فضيلة صديقى الصالح العلامة الشيخ أحمد فهمى فى رسالته المباركة عن
السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما .
وانى أقل منه فى ايجاز ما يأتى :

١ — اخرج مسلم والنسائى عن زيد بن أرقم قال : قام صلى الله عليه
وسلم خطيبا فقال اذكركم الله فى أهل بيتى ثلاثا ، فقل لزيد بن أرقم : ومن
أهل بيته ؟ قال : أهل بيته ، من حرم عليهم الصدقة بعده ، قيل ومن هم ،
قال آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس .

٢ — ان أولاد بنات الانسان لا ينسبون اليه ، وان كانوا معدودين
فى ذريته ، حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه ولد البنت .

٣ — ان أولاد البنات لا يشاركون أولاد الحسن والحسين عليهم
السلام فى انهم ينسبون الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد فرق الفقهاء
بين من يسمى ولدا للرجل وبين من ينسب اليه ، ولهذا قالوا لو قال :وقعت
على أولادى دخل ولد البنت ، ولو قال ، وقعت على من ينسب الى من
أولادى لم يدخل ولد البنت .

وقد ذكر الفقهاء من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ينسب اليه
أولاد بناته ، ولم يذكرها ذللك فى أولاد بنات بناته ، فالخصوصية للطبقة
العلوية فقط ، فأولاد فاطمة عليها السلام الأربعة ينسبون اليه صلى الله عليه
وسلم .

وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليهما — فينسبون إليه صلى الله عليه وسلم — أما أولاد زينب وأم كلثوم فينسبون إلى أبيهم عبد الله بن جعفر وعمر بن الخطاب ، لا إلى الأم ولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته ، وإنما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التي ورد الحديث بها ، وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين .

فقد أخرج الحاكم في المستدرک عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل بنى أم عصبه إلا ابنى فاطمة أنا وليهما وعصبتهما » فانظر إلى لفظ الحديث ، كيف خص الاتساب والتعصيب بالحسن والحسين دون اختيهما ، لأن أولاد اختيهما إنما ينسبون إلى آبائهم .

ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفاً ، ولو كانت الخصوصية عامة في أولاد بناته وإن نزلن ، لكان ابن كل شريفة شريفاً تحرم عليه الصدقة وإن لم يكن أبوه كذلك كما هو معلوم .

ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم لابنى فاطمة دون غيرها من بناته ، لأن اختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم تعقب ذكراً ، حتى يكون كالحسن والحسين في ذلك ، وإنما اعقبت بنتاً هي إمامة بنت أبي العاصي بن الربيع ، فلم يحكم لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها في زمنه ، فدل على أن أولادها لا ينسبون إليه لأنها بنت بنته ، وأما هي فكانت تنسب إليه بناء على أن أولاد بناته ينسبون إليه ، ولو كان لزینب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين في أن ولده ينسبون إليه صلى الله عليه وسلم .

٤ — وشرف ذرية السبطين عام ، لا فرق فيه بين أولاد ذكورهما ، وأولاد إناثهما ، لأبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، كتاباً وسنة واجماعاً ، واليك ما وقع بين الحجاج والشعبي :

في مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ، لمحمد بن طلحة ، قال ، قد ثقل إن الشعبي كان يميل إلى آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان

لا يذكرهم الا وهو يقول : هم أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته .

فنقل عنه ذلك الى الحجاج بن يوسف ، وتكرر ذلك عنه ، وكثرقله عنه ، فأغضبه ذلك من الشعبى ، وقهم عليه ، فاستدعاه الحجاج يوما ، وقد اجتمع لديه أعيان المصريين ، الكوفة والبصرة ، وعلماءهما وقراءهما ، فلما دخل الشعبى لم يهش له ، ولا وفاه حقه من الرد عليه ، فلما جلس قال له يا شعبى ، ما أمر بلغنى عنك ، فيشهد عليك بجهلك ، قال ما هو يا أمير ؟

قال ألم تعلم ، أن أبناء الرجل ، هل ينسبون الا اليه ، والأنساب لا تكون الا بالأباء ، فما بالك تقول عن أبناء على انهم أبناء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته ، وهل لهم اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم الا بأمهم فاطمة ، والنسب لا يكون بالبنيات ، وانما يكون بالأبناء .
فأطرق الشعبى ساعة ، حتى بالغ الحجاج فى الانكار عليه ، ووقع انكاره فى مسامعه ، والشعبى ساكت .

فقال ، يا أمير ، ما أراك تكلمنا الا بكلام من يجهل كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، أو يعرض عنهما .

فازداد الحجاج غضبا ، وقال ألتلى تقول هذا ، ياويلك ، قال نعم ، هؤلاء هم قراء المصريين ، حملة الكتاب العزيز .

أليس قد قال الله تعالى « يابنى آدم ، يابنى اسرائيل ، وعن ابراهيم ، ومن ذريته عيسى .

وهل كان اتصال عيسى بالثلاثة الا بأمه ، وقد صح النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا ابنى سيد شباب أهل الجنة .

فخجل الحجاج ، وعاد ينلطف الشعبى .

هذا وقد تعرض ابن أبى حديد ، عند شرحه لقول امامنا على كرم الله وجهه فى آل البيت « وكيف يتاه بكم ، وكيف تعمهون ، وفيكم عترة نبيكم ، وهم أئمة الحق ، وأعلام الدين وألسنة الصدق ، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن ، وردوهم ورود الهيم المطاش » .

الى أن قال كرم الله وجهه مشيرا الى فضله على رعيته :

« قد ركزت فيكم راية الايمان ، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام ، وألبستكم العافية من عدلى ، وفرشتكم المعروف من قولى . وفعلى ، وأريتكم كرائم الاخلاق فى نفسى » .

قال ابن أبى حديد فى شرحه : وعتره رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله الأذنون ونسله ، وليس بصحيح من قال انهم رهطه وان بعدوا ، وإنما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده نحن عتره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضته التى فقت عنه ، على طريق المجاز ، لأنهم بالنسبة الى الأمصار عتره لا فى الحقيقة ، فأراد أبو بكر أنهم عتره أجداده على طريق حذف المضاف .

ثم استطرد ابن أبى حديد قائلا : وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عترته من هى لما قال : انى تارك فيكم الثقلين ، فقال عترتى أهل بيتى ، وبين فى مقام آخر من أهل بيته حيث طرح عليهم كساء ، وقال حين نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) ، اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب الرجس عنهم .

فإن قلت فمن هى العتره التى عناها أمير المؤمنين بكلامه ، قلت نفسه وولده ، والأصل فى الحقيقة نفسه لأن ولديه تابعان له ، ونسبتهم اليه مع وجوده ، كنسبه الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة ، وقد نبه النبى صلى الله عليه وسلم وآله على ذلك بقوله : وأبوكما خير منكما .

وهذا الذى يقوله ابن أبى حديد ، يذكرنا ما قاله الأعور الشنى فى صفين للإمام على وكان من أنصاره الصادقين ، فقد جاء فى شرح نهج البلاغة أنه قال : زاد الله يا أمير المؤمنين فى سرورك وهداك ، نظرت بنور الله فقدمت رجالا وأخرت رجالا ، عليك أن تقول ، وعلينا أن نفعل ، أنت الامام ، فإن هلكت فهذان من بعدك — يعنى حسنا وحسينا عليهما السلام — وقد قلت فى ذلك شعرا :

أبا حسن أنت شمس النهار وهذان في الحادثات القمر
وأنت وهذان حتى الممات بمنزلة السمع بعد البصر
وأنتم أناس لكم سورة تقصر عنها أكف البشر
يخبرنا الناس عن فضلكم وفضلكم اليوم فوق الخبر

فضل اهل البيت ووجوب محبتهم :

أخرج البخارى في تاريخه عن الحسن بن على عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل شيء أساس ، وأساس الاسلام حب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحب أهل بيته » .

وأخرج البخارى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته .

وأخرج الترمذى وحسنه والطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى .

وأخرج الترمذى وحسنه ، والحاكم عن زيد بن أرقم ، رضى الله عنه ، أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى ، كتاب الله ، وعترتى أهل بيتى ، ولن يترفقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » .

وأخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى والحاكم عن المطلب بن ربيعة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا يدخل قلب امرئ مسلم ايمان حتى يحبكم الله ولقرايتى » .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه فى تفاسيرهم والطبرانى فى المعجم الكبير ، عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية : (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) ، قالوا يا رسول الله : من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم « على وفاطمة وولدهما » .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا بنى هاشم انى قد سألت الله لكم أن يجعلكم نجداً رحماً ، وسألته أن يهدى ضالككم ، ويؤمن خائفكم ، ويشبع جائعكم ، والذي نفسى بيده ، لا يؤمن أحد حتى يحبكم بحبى ، أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتى ، ولا يرجونها بنو عبد المطلب » .

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل أهل البيت مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تركها غرق » .

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال من رضا محمد الا يدخل أحد من أهل بيته النار .

وأخرج الديلمى عن على عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة ، المكرم لذريتى ، والقاضى لهم الحوائج ، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه ، والمحب لهم بقلبه ولساقه » .

وأخرج الديلمى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشتد غضب الله على من آذانى فى شترتى » .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أولى رجلا من بنى عبد المطلب معروفا فى الدنيا ، فلم يقدر المطلبى على مكافأته فأنا أكافئه عنه يوم القيامة » .

وأخرج الترمذى والحاكم والبيهقى فى شعب الايمان عن عائشة رضى الله عنها ، مرفعا : « ستة لعنهم الله ، وكل نبى مجاب ، الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط بالجبروت فيعز بذلك من أذل الله ، ويذل من أعز الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك لسنتى » .

وأخرج الديلمي عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خير الناس العرب ، وخير العرب قريش ، وخير قريش بنو هاشم ، ونكتفى بما تقدم من الأحاديث مراعاة للإيجاز ، أما القرآن الكريم فقد قال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) ويشير تلك الآية الكريمة سيدى محيى الدين بن عربى فى قوله :

أرى حب أهل البيت عندى فريضة على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه على هديه الا المودة فى القربى

مناقب الامام الحسن رضى الله عنه

زهد رضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاستيعاب لابن عبد البر أن الامام الحسن رضى الله عنه كان حليما ورعا فاضلا ، دعاه ورعه وفضله الى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ، وقال والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، على أن يهراق فى ذلك محجمة دم .

أقول ، وهذا الذى وقع من امامنا الحسن رضى الله عنه فى تنازله عن الخلافة ، وهو يملك الجيوش الجرارة التى يحارب بها ان شاء ، كان ايثارا لله تعالى ، وحققا لدماء المسلمين ، وهو الزهد بعينه ، وقد قال الصوفية العارفون بحق ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهى فى قلبك ، بل الزهد أن تتركها من قلبك وهى فى يدك .

خوفه من الله تعالى :

وإذا علمت كيف كان يخاف مقام ربه ، لم تعجب لتركه الخلافة ، مع أبهتها وسلطانها ، فقد روى عنه أن رجلا سمعه يناجى ربه ويكى ، فقال له : اتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة ، ابن رسول الله ، وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله التى وسعت كل شىء .

فقال الامام الحسن أما انى ابن رسول الله ، فالله يقول : (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) ، وأما الشفاعة فهو سبحانه يقول : (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) وأما الرحمة التى وسعت كل شىء فالله يقول : (فسأكتبها للذين يتقون) فكيف الامان يا أخا العرب .

عبادته ورضى الله عنه :

كان رضى الله عنه يجاهد نفسه فى العبادة جهادا كبيرا ، فقد حج خمس عشرة مرة وقيل عشرين مرة ماشيا على قدميه ونجائبه تقاد بين يديه ، وكان يقول انى أستحيى من ربى عز وجل ان ألقاه ولم أمش الى بيته .

جوده ورضى الله عنه :

كان رضى الله عنه جوادا ، لا يرد سائلا ، ولا يقول لاحد لا ، قط ، وقد خرج عن ماله لله مرتين ، وقاسم الله تعالى ثلاث مرات ، حتى انه كان يعطى نعلا ويمسك نعلا .

وقد قيل للامام الحسن رضى الله عنه ، لأى شىء نراك لا ترد سائلا ، وان كنت على فاقة ، فقال ، انى لله سائل ، وفيه راغب ، وأنا استحي أن أكون سائلا ، وأرد سائلا ، وان الله تعالى عودنى عادة ، عودنى أن يفيض نعمة على ، وعودته أن أفيض على الناس ، فأخشى ان قطعت العادة أن يمنعى العادة ، وأنشد يقول :

إذا ما اتانى سائل قلت مرجبا بمن فضله فرض على معجل
ومن فضله فضل على كل فاضل وأفضل أيام الفتى حين يسأل

وقد وصفه أبوه بالكرم والمسالمة ، فقد روى أبو جعفر محمد بن حبيب عن المسيب التزارى ، قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أنا أحدثكم عنى وعن أهل بيتى ، أما عبد الله ابن أخى (أى ابن جعفر زوج السيدة زينب) فضاحب لهو وسماح ، وأما الحسن فصاحب جفنة وخوان فتى من فتیان نريش ، ولو التقت حلقتا البطلان (مثل يضرب للأمر اذا

اشتد وجاوز الحد) لم يعن عنكم شيئاً في الحرب ، وأما أنا وحسين فنحن منكم وأنتم منا .

هيئته رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه ذا هيبة ووقار ، حتى لقد كان معاوية وهو في سلطانه يهابه ويخشاه وصرح لجلسائه بذلك .

ولا تعجب من ذلك ، فقد حدثت زينب بنت أبى رافع فقالت ، أتت فاطمة عليها السلام بابنهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شكوة (مرضه) الذى توفى فيه ، فقالت يا رسول الله هذان ابناك ، فورثهما شيئاً فقال : أما حسن فإن له هيئتي وسؤددى ، وأما حسين فإن له جراتى وجودى .

وهذا يفسر لك ما قاله ابن عباس رضى الله عنهما حين مات الامام الحسن : أول ذل دخل على العرب موت الحسن عليه السلام ، وأنت تدرك من كلمة ابن عباس هذه أى مكانة كانت للامام الحسن فى المجتمع وأى فراغ كان يملؤه فى الناس .

نقش خاتمه رضى الله عنه :

كان نقش خاتمه رضى الله عنه : « العزة لله » .

جراته فى مواقف الجد :

ولا تظن أن حبه للمسالمة كان عن ضعف منه ، أو جبن فيه ، إنما سالم ابتغاء رضوان الله ، ودفعاً للضرر عن الأمة ، ويقول الأصوليون ، دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة .

لذلك كان مع مسالته ، يصون كرامته ، بجذ لا يعرف الهزل ، وبحمية هاشمية ، لا تعرف التردد ، وتلك عزة المؤمن التى يحبها الله ورسوله ، وقد أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنشده النابتة الجعدى من قصيدة طويلة :

ولا خير في حلم اذا لم يكن له بؤادر تحمى صفوه أن يسكدر
ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا يفضض الله فاك ،
فعر طويلا ولم تقع له سن ، واليك مثالا من جرأة الامام الحسن .

روى ابن أبي حديد بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دخل
الحسن بن على ، على معاوية ، بعد عام الجماعة ، وهو جالس في مجلس
ضيق ، فجلس عند رجليه ، فتحدث معاوية ما شاء أن يتحدث ، ثم قال عجباً
امائتة ، تزعم أنى في غير ما أنا أهله ، وأن الذى أصبحت فيه ليس لى
بحق ، ومالها ولهذا ، يغفر الله لها ، انما كان ينازعنى في هذا الأمر أبو
هذا الجالس وقد استأثر الله به .

فقال الحسن : أو عجب ذلك يا معاوية ، قال أى والله ، قال أفلا أخبرك
بما هو أعجب من هذا ، قال ما هو ، قال جلوسك في صدر المجلس وأنا
عند رجلك .

فضحك معاوية وقال يا ابن أخى ، بلغنى أن عليك ديناً ، قال ان لعلى
ديناً ، قال كم هو ، قال مائة ألف ، قال قد أمرنا لك بثلاثمائة ألف ، مائة منها
لديك ، ومائة تقسمها في أهل بيتك ، ومائة لخاصة نفسك ، فقم مكرماً
واقبض صلتك .

فلما خرج الحسن عليه السلام ، قال يزيد بن معاوية ، تالله ما رأيت
رجلاً استقبلك بما استقبلك به ، ثم أمرت له بثلاثمائة ألف ، قال يا بنى
ان الحق حقهم ، فمن أذاك منهم فاحت له .

أقول ، وانما كانت ديون الامام الحسن تأتيه من كثرة بذله للمحتاجين ،
وقد بلغ من سماحته ومروءته أنه كان يشتري البستان من أصحابه ويدفع
لهم الثمن ، فاذا علم أنهم في حاجة اليه رده اليهم ثانية بلا مقابل ، ولا يسترد
الثمن الذى كان دفعه .

وكذلك جابه معاوية بأشد مما تقدم ، حين قام معاوية خطيباً على
المنبر فتهكم على أمير المؤمنين على وقال : ومن على ؟ فقال الامام الحسن

فحمد الله واثى عليه ثم قال : ان الله لم يبعث نبيا الا جعل له عدوا من المسلمين قال تعالى « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين » وأنا ابن على وانت ابن صخر ، وأمك هند وأمى فاطمة ، وجدتك قتيلة وجدتي خديجة ، وجدى رسول الله وجدك عقبة بن ربيعة ، فلعن الله الأمتا حسبا وأخملنا ذكرا ، وأقدمنا كبرا ، وأشدنا تفاقا ، فصاح أهل المسجد آمين ، قال الفضل ، قال يحيى بن معين ، وأنا أقول آمين .

فقطع معاوية كلامه وفر الى منزله .

مكارم أخلاقه رضى الله عنه :

يقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » كان الامام الحسن رضى الله عنه عذب الروح ، حلو الحديث ، كريم المعاشرة ، حسن الألفة ، محببا الى الناس ، ويحبه أتراه من شباب قریش والأنصار لهذه الخصال ، ولمكانه من النبى صلى الله عليه وسلم ، ويحبه عامة الناس لكل هذا ولسخائه وجوده ، واعطائه المال حين يسأل وحين لا يسأل .

وروى ابن أبى حديد بسنده انه كان مشهورا بالحلم ، حتى انه لما مات عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان بن الحكم سريره فقال له الامام الحسين عليه السلام ، تحمل اليوم جنازته وكنت بالأمس تجرعه الغيظ ، قال نعم ، كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال .

وعرف رضى الله عنه بحسن عشرته لأزواجه ، فكان يمسكن بمعروف ويسرحن باحسان ، وعلى كثرة زواجه وطلاقه ، كان الناس يرغبون فى مصاهرته ، حتى لقد روى أن أباه كرم الله وجهه أمر مناديا ينادى فى أهل الكوفة ، لا تزوجوا الحسن فانه مطلق ، قالوا ، فما مر المنادى بأحد الا قال : بل نزوج ، فما رضى أمسك وما كره طلق .

ويعيب بعض قصار الادراك ، كثرة زواجه وطلاقه ، رضى الله عنه ، مع أن زمانهم غير زماننا ، وقد كان الزواج فى زمانهم يربط العصبيات ويزيد فى قوة القبائل ، وكان تعدد الزواج أمرا مألوفا بل ومستحبا ، وهو

فى بيت النبوة أكثر استجابا ، وليس مع الحلال تهمة ، وما أحوج المجتمع
للأئمة الهدى ، الذين يمشون بين الناس بنور الايمان ، الذى يرثونه من
عرقهم الطاهر المطهر ، وينمونه فى بيتهم التقية الصالحة ، وصدق امامنا
على كرم الله وجهه حينما قال فى السادة آل البيت الأطهار : أين الذين زعموا
أنهم الراسخون فى العلم دوننا ، كذبا وبغيا علينا ، ان رفعنا الله ووضعهم ،
وأعطانا وحرّمهم ، وأدخلنا وأخرجهم ، بنا يستعطى الهدى ، ويستجلى
العمى .

وصدق الفرزدق الشاعر رحمه الله حين قال فيهم :

ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير اهل الأرض قيل همو

علمه ورضى الله عنه :

جاء فى كتاب الاصابة لابن حجر أن الامام الحسن عليه السلام روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث حفظها عنه ، وروى الحسن أيضا عن
أبيه وأخيه الحسن وخاله هند بن أبى هالة (أخو السيدة فاطمة لأمها) ،
وروى عنه ابنه الحسن وعائشة أم المؤمنين وابن أخيه على بن الحسين
« زين العابدين » وابناه عبد الله والباقر ، وعكرمة وابن سيرين وجبير بن
نفير وغيرهم .

أقول ، ولئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه صغيرا (دون
الثامنة) فانه كان من الذكاء بحيث وعى وحادث ، وقد قام على تربيته
وتقافته العلمية بعد جده أبوه الامام على كرم الله وجهه ، وكان فى العلم
بحرا زاخرا ، حتى قال ابن عباس الذى أخذ العلم عنه ، لقد أعطى على بن
أبى طالب تسعة أعشار العلم ، وإيم الله لقد شارككم فى العشر العاشر .

وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عليا عليه السلام نشأ فى الاسلام منذ
طفولته ، وتربى فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم ، وغرف علمه من بحر
النبوة الأصفى حتى امتلا ، وصار كما قال الامام الحسن البصرى ، ربانى
هذه الأمة ، وكان يتحدث بنعمة ربه فى ثقة به تعالى فيقول : أيها الناس ،

سلونى قبل أن تفقدونى ، فوالله ما من آية فى كتاب الله عز وجل ، الا وأنا أعلم أبليلى نزلت أم بنهار ، أم فى سهل أم فى جبل ، وقد مر عليك أن أمير المؤمنين عمر كان لا يطمئن الا لفتواه وكان يقول : لولا على لهلك عمر .

لذلك كان علم الامام الحسن موروثا ومغروفا من المنبع الأصفى ، فكان علما خالصا ، حرص عليه وثق به ، وقدره قدره ، حتى روى عنه أنه كان يقول لبنيه وبنى أخيه الامام الحسين : تعلموا العلم ، فان لم تستطيعوا حفظه فاكتبوه ، وضعوه فى بيوتكم ، وستدلك أقواله وخطبه على رسوخ علمه وقوة منطقته وعمق فصاحته .

ونذكر للقارئ الكريم بعض الأمثلة التى تدل على صفاء ذهنه ، وحضور بديته ، وعلو فكره ، ورسوخ علمه ، رضى الله عنه :

١ - فى معرفة الله :

سئل رضى الله عنه ، بم عرفت ربك ، فقال : بفسخ العزيمة ، وقصر المشيئة ، وضعف الأركان ، وتحويل الحالات والأزمان .

٢ - فى القضاء والقدر :

كتب الحسن البصرى الى الامام الحسن بن على رضى الله عنهما يسأله عن القضاء والقدر ، فكتب الامام الحسن بن على يقول :

من لم يؤمن بقضاء الله وقدره ، خيره وشره ، فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر ، وان الله تعالى لا يطاع استكراها ، ولا يعصى بغلبة ، لأنه تعالى مالك لما ملكهم ، وقادر على ما أقدرهم ، فان عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا ، فان لم يفعلوا فليس هو الذى أجبرهم على ذلك ، ولو أجبر الخلق على الطاعة لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم فان ذلك عجزا فى القدرة ، ولكن الله له فيهم المشيئة التى غيبتها عنهم ، فان عملوا بالطاعة فله المنة عليهم ، وان عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم .

وانما للفائدة في القدر نذكر ان رجلا سأل أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه عن القدر ، فقال طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر فقال بحر عميق لا تعض فيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، فقال سر خفي لا تفضيه ، فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر ، فقال ان الله تعالى خلقك كما يشاء أو كما شئت ، فقال كما شاء : قال ألك مشيئة مع الله ، أو فوق مشيئة الله ، أو دون مشيئة الله ، أما ان قلت مع مشيئته فقد ادعيت الشراكة معه ، وان قلت دون مشيئته ، استغنيت عن مشيئته ، وان قلت فوق مشيئته ، كانت مشيئتك غالبية على مشيئته .

٣ - بينه وبين سائل :

جاء رجل يسأله صدقة ، ولم يكن عنده ما يعطيه ، فاستحيا أن يرده فقال للرجل ، ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر ، فقال الرجل ماذا ، قال ان ابنة الخليفة ماتت فاذهب اليه وقل له : الحمد لله الذي سترها بوقوفك على قبرها ، ولم يهتكها بوقوفها على قبرك .

فذهب الرجل وعزى الخليفة بهذه التعزية ، فلما سمعها ذهب عنه الحزن ، وأمر للرجل بجائزة ، وقال له ، بالله عليك ، أكلامك هذا ، فقال بل كلام الحسن بن علي ، فقال صدقت ، انهم معدن الفصاحة ، وأمر له بجائزة أخرى .

٤ - تحية المفتسل :

ومن لطائفه أنه كان يوما خارجا من الحمام ، فقال له رجل طاب استحمامك ، فقال يا لكع وما تصنع الأست هنا ، قال الرجل ، طاب حمامك ، فقال اذا طاب الحمام اذن فما راحة البدن ، قال ، طاب حميمك ، قال ويحك ، أما تعلم أن الحميم هو العرق ، قال فكيف أقول ، قال : قل طاب ما طهر منك ، وطهر ما طاب . ودخل مرة غديرا يستحم ، وعليه برد متوشحا به ، فلما خرج سأله ، فقال انما تسترت ممن يراني ولا أراه ، يعنى من ربي والملائكة .

٥ - بينه وبين يهودى :

ورآه مرة رجل يهودى فى أبهى بزة وأجمل زى ، وكان اليهودى فى حالة سيئة ، وثياب رثة ، فقال للحسن رضى الله عنه ، أليس قد قال نبيكم الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ، هذا حالى ، وهذا حالك ، فقال رضى الله عنه ، لو رأيت ما وعدنى الله من الثواب ، وما أعد لك من العقاب ، لعلمت أنك فى الجنة ، وأنا فى السجن .

ايشاره الله تعالى :

كان الامام الحسن رضى الله عنه رجل السلام بحق ، وهو حين سالم ، انما سالم ابتغاء مرضاة الله ، لا خوف الناس ، ولا خوف الحرب .

وقد شرح وجهة نظره فى المسألة حين أشار عليه المسيب الفزارى أن ينقض صحيفة الصلح الذى أبرمه مع معاوية ، وسيأتيك نبأ فيما بعد ، فقال رضى الله عنه : يا مسيب ، انى لو أردت بما فعلت الدنيا ، لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء ولا أثبت عند الحرب منى ، ولكنى أردت صلاحكم وكف بعضكم عن بعض ، فارضوا بقدر الله وقضائه ، حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

ثباته فى الراى رضى الله عنه :

عندما رأى ، رضى الله عنه ، بنور الله ، أن يسلم الأمر لمعاوية بعد أن بقى فى الخلافة سبعة أشهر استشار أهله وخاصته ، فمنهم من رضى رأيه ومنهم من خالفه ، وقد رضى رأيه عبد الله بن جعفر ودعا له .

وحين عرض رأيه على أخيه الامام الحسين ، رأى أن يبين له أسباب رأيه ، وكانما كان يحس بمعارضة الامام الحسين مقدما .

فقال الامام الحسن لأخيه الامام الحسين : أى أخى انى رأيت رأيا ، وأحب أن تتابعنى عليه فقال ما هو ؟ قال ، رأيت أن أعمد الى المدينة فأنزلهما ،

وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث ، فقد طالت الفتنة ، وسفكت فيها
الدماء ، وقطعت الأرحام ، وعطلت السبل ، وعطلت الثغور .

فقال الامام الحسين : أعيذك بالله أن تكذب عليا في قبره ، وتصديق
معاوية ، فقال الحسن عليه السلام : والله ما أردت أمرا الا خالفتنى الى غيره ،
والله لقد هممت أن أقذفك فى بيت فاطينه عليك حتى أقضى أمرى .

فلما رأى الامام الحسين غضبه ، قال فى أدب رفيع ، أنت أكبر ولد
على ، وأنت خليفتى ، وأمرنا لأمرك تبع ، فافعل ما بدا لك ، وهكذا ثبت
الامام الحسن عند رأيه ، وتحققت على يده معجزة رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين قال :

« ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من
المسلمين » .

اجلال الامام الحسين للامام الحسن رضى الله عنهما :

ولا تظن أن الامام الحسين رضى الله عنه ، حين عارض رأى الامام
الحسن فى الصلح ، انه كان يستهين برأيه ، انما هى وجهات نظر ، فى مسائل
كبيرة ، تتصل بالصالح العام ، وتختلف فيها الآراء ، وكل منهما مجتهد
فيما رآه وله أجره ، لأن رأى كل منهما ليس مشوبا بهوى النفس الذى
يضل صاحبه عن سبيل الله ، بل هو رأى خالص لوجه الله ، وقد اختلف
السادة الصحابة حين استشارهم صلى الله عليه وسلم فى أسرى بدر ، فمنهم
من رأى أخذ الفدية ، ومنهم من رأى قتل الأسرى ، وأقر الله اجتهادهم
حيث لم ينزل وحى فقال تعالى : « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » وكانوا
قد تخرجوا من الأكل من الفدية حين نزل قوله تعالى (ما كان لنبى أن
يكون له أسرى حتى يشخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد
الآخرة) .

ويشهد باجلال الامام الحسين لأخيه الامام الحسن كلمة التأين الرائعة
التي قالها امامنا الحسين رضى الله عنه على قبره ، مع انه كان في موقف
الحزن الذى يشتت الفكر ويعقد اللسان ، وقد أوردناها فى المقدمة .

نظام اوقاته رضى الله عنه :

قال الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » ان الامام الحسن رضى
الله عنه كان يصبح فيصلى الصبح ويجلس فى مكانه حتى اذا ارتفعت
الشمس ، طاف بأمهات المؤمنين ، زائرا لهن ، متحدثا اليهن ، يبرهن ويبررنه
ويهدى اليهن ويهدين اليه ، ثم يفرغ لبعض شأنه .

فاذا صليت الظهر ، جلس للناس فى المسجد ، فأطال الجلوس ، يسمع
منهم ، ويقول لهم ، يعلم من احتاج منهم للعلم ، ويؤدب من احتاج منهم
للأدب ، ويسمع من شيوخ الصحابة ما يفيده علما وأدبا ، وكذ فى أثناء
ذلك كله اذا ذكر السلطان ، أو ذكر السلطان عنده ، يعرف الخير ، وينكر
الشر ، فى أرق لفظ واعذبه .

ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة ، ان ذكر أبوه بغير ما يجب ، أو
لقى من بنى أباه الفوائل ، أو سعى اليه بمكره ، وكان بعد هذا كله يحسن
كما أحسن الله اليه ، ولا ينس نصيبه من الدنيا .

وفاؤه بأهله وصحبه رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه وفيا لأهله وأصحابه أحسن الوفاء ، حتى انه شرط
على معاوية الا يؤذى أحدا منهم ، ولما أراد معاوية أن يستثنى أحدا منهم
(مثل قيس بن سعد) هددته الامام الحسن بالعدول عن الصلح ، فاضطر
معاوية أن ينزل عند رغبته .

ولما أراد زياد أن يسيء الى بعض أصحاب الامام الحسن كاتب الامام
الحسن معاوية فأمر زيادا أن يكف عنهم .

جهاده رضى الله عنه فى سبيل الله

١ - جهاده فى فتح شمال افريقيا :

كان رضى الله عنه هو وأخوه الامام الحسين فى المدد الذى أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى سنة ٢٦ هـ لنجدة عبد الله بن أبى السرح وهو يغزو شمال أفريقيا .

٢ - جهاده فى فتح طبرستان :

كما كانا رضوان الله عليهما فى الجند المقاتلين عندما غزا سعيد بن العاص طبرستان بأمر أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه سنة ٣٠ هـ .

٣ - الدفاع عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه :

وكان هو وأخوه الامام الحسين أول المدافعين عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه حين هاجمه الثوار ، فقد أمرهما أبوهما أن يحمياه بسيفيهما ففعلا ، ولم يستطع الثوار أن يدخلوا عليه من الباب فتسوروا عليه الدار وقتلوه ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

٤ - جهاده مع أبيه فى معارك الجمل وصفين والخوارج :

وحضر هو وأخوه الامام الحسين وأخوهما لأبيهما محمد بن الحنفية معارك الجمل ، وصفين ، والخوارج ، مع أبيهم ، وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين عليا كان ينهى الحسن والحسين على القتال ، خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأرض فانهما شاركا فى الحروب مشاركة فعلية ، كما يستدل من تاريخ تلك المعارك .

مشاركته لأبيه الراى فى المسائل العامة :

لما توجه طلحة والزبير ومعهما السيدة عائشة رضى الله عنهم الى البصرة ، كما سترى من التفاصيل فيما بعد ، جاء الامام الحسن لأبيه أمير المؤمنين على رضى الله عنهما ، بعد صلاة الصبح فقال له :

قد أشرت عليك فعصيتني ، تقتل غدا بمعصية لاناصر لك فيها ،فسأله
وما الذى أشرت به فعصيتك .

قال الامام الحسن : أشرت حين أحيط بعثمان رضى الله عنه ، أن تخرج
من المدينة فيقتل ولست بها .

ثم أشرت يوم قتل الاتباع حتى تأتيتك وفود العرب ، وبيعة أهل كل
مصر ، فانهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت .

ثم أشرت حين فعل هذان الرجلان (أى طلحة والزبير) ما فعلا ، ان
تجلس فى بيتك حتى يصطلحا فان كان الفساد كان على يد غيرك ،فعصيتني
فى ذلك كله .

فلم يأنف أمير المؤمنين أن يساجل ابنه الامام الحسن الرأى ليقنعه
ويريح صدره فقال له :

أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط
بنا كما أحيط به .

وأما قولك لا تباع حتى تأتى بيعة الأمصار ، فان الأمر أمر أهل
المدينة وكرهنا أن يضبع هذا الأمر .

وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فان ذلك كان وهنا على أهل
الاسلام .

وأما قولك اجلس فى بيتك فكيف لى بما قد لزمنى ، ومن تريدنى ،
أتريد أن أكون مثل الضبع التى يحاط بها ، ويقال لها دباب ، دباب .. ليست
هنا حتى يحل عرقوبها ثم تخرج ، واذا لم أنظر فيما لزمنى من الأمر
ويعنينى ، فمن ينظر فيه ، فكف عنى أى بنى .

وهذا المثل يريك حسن استماع أليه لرأيه وحسن معاملته واقناعه
بالحجة دون استصغار رأيه ، ولولا أنه رأى وزنا لآرائه ، لما قارعها بحجته
العلوية القوية ، وفوق كل ذى علم عليم .

أزواجه وأولاده رضى الله عنه :

قل ابن أبى حديد عن المدائنى قال : كان الحسن كثير التزوج ، تزوج خولة بنت منظور الفزارية ، فولدت له الحسن بن الحسن ، وتزوج أم اسحق بنت طلحة بن عبيد الله فولدت له ابنا سماه طلحة ، وتزوج أم بشر بنت أبى مسعود الانصارى فولدت له زين بن الحسن ، وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس وهى التى سقته السم ، وتزوج هند ابنة سهيل بن عمر ، وحفصة ابنة عبد الرحمن بن أبى بكر ، وتزوج امرأة من كلب ، وتزوج امرأة من بنات عمرو بن أهتم ، وامرأة من ثقيف فولدت له عمرا ، وتزوج امرأة من بنات علقمة بن زرارة ، وامرأة من بنى شيبان من آل همام بن مرة ، ف قيل لها انها ترى رأى الخوارج فطلقها ، وقال انى أكره أن أضم الى نحرى جمرة من جمر جهنم .

وجاء فى كتاب الحسن والحسين للأستاذ محمد رضا أن أولاد الامام الحسن هم السادة :

- ١ — زيد
- ٢ — الحسن
- ٣ — القاسم
- ٤ — أبو بكر
- ٥ — عبد الله
- ٦ — عمرو
- ٧ — عبد الرحمن
- ٨ — الحسين الملقب بالأشرم
- ٩ — محمد
- ١٠ — يعقوب
- ١١ — اسماعيل

وقال أصحاب السير أن العقب الصحيح الموجود للآن من الحسن السبط لزيد والحسن بن الحسن (المثنى) لا غير .

وروى أبو الفرج في الأغاني بسنده عن عوف بن خارجة قال ، والله اني
لنجد عمر بن الخطاب رضى الله عنه في خلافته ، اذ أقبل رجل يتخطى رقاب
الناس ، حتى قام بين يدي عمر ، فحياه بتحية الخلافة فقال له عمر من أنت ،
قال أنا امرؤ نصراني ، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبي ، قال فما تريد ،
قال أريد الاسلام فعرضه عليه عليه عمر رضى الله عنه فقبله ، ثم دعا له
برمح ، فعقد له على من أسلم بالشام من قضاة فادبر الشيخ واللواء
يهتز على رأسه ، قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر
على جماعة من المسلمين قبله .

ونهض على بن أبي طالب رضوان الله عليه من المجلس ، ومعه ابنه
الحسن والحسين عليهم السلام ، حتى أدركه فاخذ بشيابه ، فقال له يا عم ،
أنا على بن أبي طالب ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره ، وهذان
ابنau الحسن والحسين من ابنته ، وقد رغبت في صهرك فأنكحنا .

فقال قد أنكحتك يا على المحياة بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسن
سلمى بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس
(أم السيدة سكينة) وقال هشام الكلبي كانت الرباب من خيار النساء
وأفضلهن ، فخطبت بعد قتل الامام الحسين فقالت : ما كنت لأتخذ حما
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجاء في تاريخ الامام على زين العابدين لفضية العلامة الشيخ أحمد
فهمي : انه رضى الله عنه تزوج من السيدة فاطمة بنت الحسن بن على رضى
الله عنه ، وهى التى خلفها من زوجته أم اسحق بنت طاحه .

ولما حضرت الامام الحسن الوفاة ، دعا أخاه الامام الحسين وأوصاه
بها ، وقال له يا أخى ، انى أرضى هذه المرأة لك فلا تخرجن من بيوتكم ،
فاذا انقضت عدتها فتزوجها ، وقد نفذ الامام الحسين الوصية وتزوجها
فأعقب منها فاطمة بنت الحسين التى تزوجها ابن أخيه الحسن بن الحسن .

ويحدث الامام جعفر الصادق عن السيدة فاطمة بنت الحسن التى
تزوجها الامام على زين العابدين فيقول كانت صديقة لم تدرك في آل الحسن
امرأة سواها .

وفي الكافي بسنده عن أبي الصباح عن أبي جعفر محمد الباقر قال كانت أمي قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة فقالت بيدها ، لا وحق المصطفى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لك في السقوط ، فبقي معلقا في الجو حتى جازته ، فتصدق أبي عنها بمائة دينار .
وجاء في كتاب الأغاني ان أول أزواج السيدة سكينة بنت الحسين كان عبد الله بن الحسن بن علي .

مشاهد مباركة بالقاهرة من سلالة الامام الحسن رضى الله عنه :

ومن المشاهد المباركة التي يرتادها الزوار بالقاهرة مشهد سيدي حسن الأنور ، ومشهد السيدة نعيمة ابنته رضى الله عنهما وعن سائر الأشراف .

مناقب سيدي حسن الأنور رضى الله عنه :

كان رضى الله عنه شيخ بنى هاشم في زمانه ، وجاء في تاريخه أنه روى عن أبيه زيد الأبلج بن الحسن بن علي ، وابن عمه عبد الله بن الحسن بن الحسن ، وعن عكرمة وغيرهم .

وقد ولاه أبو جعفر المنصور امارة المدينة المنورة ، ثم عزله وجبسه ، لو شاية كاذبة اتهموه فيها أنه يسعى للخلافة ، واستمر في جبسه الى أن ولى المهدي الخلافة العباسية ، فأمر باخراجه ورد اليه ماله .

وكان رضى الله عنه ، متواضعا لله مع علو قدره ومنصبه ، وقد دخل عليه أحد الشعراء فأنشده : الله فرد وابن زيد فرد ، فكره منه ذلك وقال له : بفيك الأئلب ألا قلت : الله فرد وابن زيد عبد ، ونزل عن سرير الامارة وألصق خده بالأرض ، يسبح لله تعالى .

وكان رضى الله عنه سخيا بماله ، حتى قال فيه أحد الشعراء :

إذا أمسى ابن زيد لى صديقا فحسبى من مودته نصيبى
ومن وفائه بأبيه ، أن أباه مات والامام حسن الأنور صغير ، وترك أبوه دينا قدره أربعة آلاف دينار فحلف سيدي حسن الأنور ألا يظل رأسه

سقف الا سقف مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بيت رجل يكلمه في حاجة ، حتى يقضى دين أبيه فوق بنذره ، وأدى الدين أداء لحق الأبوة.

وقد خلف سيدى حسن الأنور رضى الله عنه ، من الذكور تسعة ، ومن البنات اثنتين أم كلثوم ، وقد تزوج بها أبو العباس السفاح ، الخليفة العباسى ، والسيدة نفيسة وقد تزوجت من ابن عمها سيدى اسحق المؤمن ابن سيدى جعفر الصادق .

وغلبت شهرة السيدة نفيسة على سائر اخوتها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

مناقب السيدة نفيسة رضى الله عنها :

أما أم ولد ، أما اخوتها فأمرهم السيدة زينب بنت الحسن بن الحسن ابن على رضى الله عن الجميع .

وجاء فى تحفة الأشراف ، أن الامام زيد بن الحسن رضى الله عنه ، كان يأخذ بيد ولده حسن الأنور ، والد السيدة نفيسة ، ويدخل الى قبر جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ويقول يا سيدى يا رسول الله هذا ولدى الحسن ، أنا عنه راض ، ثم يرجع وينصرف .

فلما كان فى بعض الليالى ، أخذته سنة من النوم ، فرأى فى نومه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : يا زيد اتى راض عن ولدك الحسن برضاك عنه ، والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى عنه .

فلما ولى الحسن المدينة كان يذهب الى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويأخذ بيد ابنته السيدة نفيسة ، وهما بداخل المقام الشريف ، يقول يا سيدى يا رسول الله ، اتى راض عن بنتى نفيسة ، ويرجع آيبا الى داره ، فما زال يكرر ذلك ويقول حتى رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول له : يا حسن اتى راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها،والحق سبحانه وتعالى راض عنها برضاى عنها .

وقد مكن الله السيدة نفيسة ، فحفظت القرآن الكريم ، وألمت بتفسيره وتأويله ، وشغفت بحديث جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فألمت بالسنة ، وروت من الحديث والآثار الكثير عن أبيها ، وآل بيتها ، وعلماء وقتها ، وبخاصة الامام مالك بن أنس بالمدينة ، ومسلم بن خالد الزنجي بمكة .

وأخذت كذلك بحظ وافر من الفقه والعلم ، حتى لقبت بنفيسة العلم ، وسمع منها الحديث الامام الشافعي حين جاء الى مصر كما سمعه منها جمهرة من علماء وقتها ، مثل ذى النون المصرى وعبد الله بن الحكم وولداه محمد وعبد الرحمن ، وعبد الرحمن البويطى ، والريبعان المرادى والجيزى وحرملة ، من أصحاب الامام الشافعي رضى الله عنها وعنهم .

وكانت رضى الله عنها ، عابدة ، ناسكة ، تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وكانت وهى بالمدينة المنورة لا تفارق حرم جدها المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وقد حجت الى بيت الله الحرام ثلاثين حجة ، أكثرها ماشية ، وكانت تتعلق بأستار الكعبة وتقول : الهى وسيدى ومولاي ، متغنى وفرحنى برضاك عنى ، فلا تسبب لى سببا يحجبك عنى .

وقالت بنت أخيها زينب بنت يحيى رضى الله عنهما : خدمت عمتي نفيسة أربعين سنة ، فما رأيتهما قامت الليل ، ولا أفطرت بنهار .

فقلت لها : أما ترفقين بنفسك ، فقالت كيف أرفق بنفسى ، وقدامى عقبات لا يقطعهن الا الفائزون .

وحين اشتكى اليها الناس ظلم أحمد بن طولون فى أول عهده ، قالت لهم متى يركب ، فقالوا فى غد ، فكتبت رقعة ووقعت فى طريقه وقالت له :

يا أحمد بن طولون ، فلما رآها عرفها ، وترجل عن فرسه ، وأخذ
منها الرقعة ، فاذا فيها مكتوب :

ملكتم فأسرتم ، وقدرتم فقهرتم ، وخولتم ففسدتم ، ودرت عليكم
الأرزاق فقطعتم ، وقد علمتهم أن سهام الأسحار نافذة وسيما من قلوب
أجسدها ، وأجسام أعزيموها ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا
فانا بالله مستجيرون ، واظلموا فانا منكم متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا
أى منقلب ينقلبون .

فرجع أحمد بن طولون عن ظلمه ، وعدل من ذلك اليوم في حكمه ،
ومن أراد المزيد من تاريخها الحافل ، فليراجع رسالة العلامة الشيخ أحمد
فهى وعنوانها كريمة الدارين ، وجزى الله المؤلف على مجهوده خيرا كثيرا .

٢ - القاسم بن الحسن بن علي :

وهو أخو أبى بكر المقتول قبله لأبيه وأمه

وروى أبو النرج بسنده عن حميد بن مسلم قال : خرج الينا غلام ،
كان وجهه شقة قمر ، فى يده السيف ، وعليه قميص وأزار ونعلان ، قد
انقطع شسع أحدهما ، ما أنسى أنها اليسرى فقال عمرو بن سعيد بن نفيل
الأزدى : والله لأشدن عليه ، فقلت له سبحانه الله ، وما تريد من ذلك ،
يكفيك قتله هؤلاء ، الذين تراهم قد احتوشوه من كل جانب ، قال والله
لأشدن عليه ، فما ولى وجهه حتى ضرب رأس الغلام بالسيف ، فوقع الغلام
لوجهه ، وصاح يا عماء ، قال فوالله لتجلى الحسين كما يتجلى الصقر ، ثم
شد شدة الليث اذا غضب ، ف ضرب عمرا بالسيف فاتقاه بساعده فأطنها (أى
قطعها) من لدن المرفق ، ثم تنحى عنه ، وحملت خيل عمر بن سعد فاستنقذوه

من الحسين ، ولما حملت الخيل استقبلته بصدورها ، وجالت فتوأتاه ، فلم يرم حتى مات — لعنه الله وأخزاه — فلما تجلت الغبرة ، اذا بالحسين على رأس الغلام وهو ينحصر برجليه ، وحسين يقول بعدا لقوم قتلوك ، خصمهم فيك يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال : عز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك ثم لا تنفعل أجابته يوم كثر واثره ، وقل ناصره ، ثم احتمله على صدره ، وكأنى أنظر الى رجلى الغلام تخطان في الأرض ، حتى ألقاه مع ابنه على بن الحسين ، فسألت عن الغلام فقالوا هو القاسم بن الحسن بن علي صلوات الله عليهم أجمعين .

٣ - عبد الله بن الحسن بن علي :

وأمه بنت السليل بن عبد الله ، أخى جرير بن عبد الله البجلي ، وقيل ان أمه أم ولد ، وروى أبو الفرج عن أبي جعفر بن محمد أن حرمة بن كاهل الأسدي قتله .

فصاحة العلويين وشجاعتهم :

وقد ورث امامنا على ذريته الفصاحة ، كما ورثهم الشجاعة ، فلم تقف فصاحتهم أو شجاعتهم عند الشباب والشيوخ بل كانت في الناشئين منهم ، ونكتفى في التدليل على ذلك بالمثلين الآتين :

المثل الأول : لما أدخل الامام على زين العابدين ، ولم يكن قد بلغ الحلم ، على يزيد في دمشق قال له يزيد :

يا على ، أبوك الذي قطع رحمى ، وجهل حتى ، ونازعنى سلطانى ، فصنع الله به ما قد رأيت .

فقال سيدى زين العابدين ردا عليه : (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) .

فقال يزيد لابنه خالد أردد عليه فما درى خالد ما يرد عليه .

المثل الثانى : دعا يزيد عمرو بن الحسن وهو غلام صغير فقال لعمرو
أتقاتل هذا الفتى (يعنى خالدا ابنه) قال لا ولكن أعطني سكيناً وأعطه
سكيناً ، ثم أقاتله ، فقال له يزيد وأخذه وضعه اليه : شنشنة أعرفها من أخزم ،
هل تلد الحية الا حية . أقول وكذب والله يزيد ، ولو أنصف لقال ان ذاك
الشبل من ذاك الأسد ، وما عاشت الحيات ولا توالدت الا فى بنى أمية
حتى أبادها الله بعدله فاستراح الناس منها .

ولقد قال معاوية يوماً لابن عباس : لماذا تصابون يا بنى هاشم و
أبصاركم فقال وما أبدع ما قال : كما تصابون أتم يا بنى أمية فى بصائركم .

فضلاء بنى أمية :

ومن آيات الله الدالة على أنه يختص برحمته من يشاء أن ثلاثة من بنى
أمية امتازوا بالفضل فى الاسلام عن قومهم وهم : سيدنا عثمان بن عفان
رضى الله عنه ، وسيدتنا أم المؤمنين ، أم حبيبة بنت أبى سفيان ، زوج النبى
صلى الله عليه وسلم ، وهما من السابقين الأولين ومن أصحاب الهجرتين ،
وسيدنا عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الزاهد العادل الذى قلد فى
ورعه جده لأمه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أجمعين ، فهؤلاء
نستنيهم من بنى أمية ، ونشيد بفضل الله عليهم ، لأننا انما نريد الحق
والانصاف ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .

لذلك لا تعجب أن يرى السيد الشريف الرضى أبو الحسن ، عمر بن
عبد العزيز فيقول :

يا بن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك
غير أنى أقول انك قد طببت وان لم يطب ولم يزك ييتك
أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو أتى ملكك دفعا لما نالك من طارق الردى لقديتك

فهذا الشريف من سادات بنى هاشم ينصف الحق وأهله ، على الرغم
من أنه ممتور من بنى أمية ، والحق يعلو ولا يعلى عليه .

وسياتيك نبأ بدعة السب التي بدأها معاوية وأمر ولاته بها ، وأبطلها
عمر بن عبد العزيز ، لأنها كانت من المنكرات التي سائر فيها معاوية هوى
نفسه ، وما مثل الامام على بالذي يسب علانية على أسماع المسلمين
المدينين له بالفضل في حماية الدين .

اهل الشام وسب الامام علي :

ولقد قال المسعودي : ارتقى بأهل الشام الأمر في طاعة معاوية الى أنه
جعلوا لعن على سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير .

وقد حدث بعضهم أنه قال لرجل من زعماء أهل الشام وأهل الرأي .
فيهم : من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام فوق المنبر ، قال أراه لصا من
لصوص العرب ، فانظر الى أي حد بلغ بهم السفه وبلغت بهم الغفلة .

العباسيون واضطهاد بنى الحسن :

وليت البلاء الذي أصاب العترة الطاهرة النبوية ، وقف عند ما أصابهم
على أيدي بنى أمية ، لكنهم ذاقوا من مرارة الاضطهاد والحبس والقتل أيام
العباسيين ما يفتت الأكباد ، مع أن الناس حاربوا مع العباسيين على أنهم
يعملون على اقامة خلافة علوية ، حتى اذا تمت لهم الغلبة ، آثروا بها أنفسهم ،
وجعلوها ملكا عضودا وارثا موروثا .

ولا يتسع مثل هذا الكتيب للتفصيلات ، فليرجع اليها من شاء في
المراجع الكبيرة ، واكتفى بالاشارة الى قليل مما وقع في صدر الدولة
العباسية .

أبو العباس يحسن معاملة عبد الله بن الحسن واخيه الحسن بن الحسن :

ويؤخذ مما رواه أبو الفرج في مقاتل الطالبين أن أبا العباس لما تولى
الخلافة وفد اليه عبدالله بن الحسن بن الحسن ، وأخوه الحسن بن الحسن
فوصلهما ، الا أنه ذكر لعبدالله ابنه محمدا وابراهيم ، وقال ما خلفهما
ومنعهما أن يفدا الى أمير المؤمنين ، وكرر له ذلك مرات .

فقال الحسن بن الحسن لأخيه : اذا سألك عنهما فقل عنهما أعلم الناس بهما ، ففعل ذلك ، فأرسل أبو العباس الى الحسن بن الحسن فقص عليه أمرهما ، فقال : يا أمير المؤمنين أكلمك على هيبة الخلافة أو كما يكلم الرجل ابن عمه .

قال أبو العباس : بل كما يكلم الرجل ابن عمه ، فانك وأخاك عندي بكل منزلة .

قال الحسن بن الحسن : انى أعلم أن الذى هاج لك ذكرهما بعض ما قد بلغك عنهما ، فأنشدك الله : هل تظن أن الله أن كان قد كتب فى سابق علمه أن محمدا وإبراهيم وال من هذا الأمر شيئا ، ثم أجلب أهل السموات والأرض بأجمعهم على أن يردوا شيئا مما كتب الله لمحمد وإبراهيم أكانوا راديه ، وإن لم يكن كتب لمحمد ذلك انهم حائزون اليه شيئا منه .

فقال لا والله ، ما هو كائن الا ما كتب الله

فقال : يا أمير المؤمنين ، فقيم تنغيصك على هذا الشيخ نعمتك التى أوليته وإياها معه .

قال فلست بعارض لذكرهما بعد مجلسى هذا ما بقيت ، الا أن يهيجنى شيء فأذكره ، فقطع ذكرهما وانصرف عبدالله الى المدينة . أقول ولعل مصاهرة أبى العباس لبني الحسن كان لها أثرها فى حسن معاملتهم فقد كان متزوجا - كما مر عليك - من السيدة أم كلثوم بنت سيدي حسن الأنور ابن زيد بن الحسن السبط (أخت السيدة نفيسة) رضى الله عنهم أجمعين .

اضطهاد بنى الحسن أيام المنصور :

قال أبو الفرج فى مقاتل الطالبين ، كان أبو جعفر المنصور قد طلب محمدا وإبراهيم « ولدى عبدالله بن الحسن بن الحسن » فلم يقدر عليهما ، فحبس عبد الله بن الحسن وأخوته ، وجماعة من أهل بيته بالمدينة ، ثم أحضرهم الى الكوفة ، فحبسهم بها ، فلما ظهر محمد قتل عدة منهم فى الحبس .

وكان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم ، وكان مصعب بن الزبير يقوله انتهى كل حُسن الى عبد الله بن الحسن . كان يقال من أحسن الناس فيقال عبد الله بن الحسن ، ويقال من أفضل الناس فيقال عبد الله بن الحسن ويقال من أقول الناس فيقال عبد الله بن الحسن .

حب عمر بن عبد العزيز لآل البيت :

وروى أبو الفرج كذلك بسنده عن سعيد بن أبان القرشي ، قال كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فدخل عليه عبد الله بن الحسن ، وهو يومئذ شاب في أزار ورداء فرحب به ، وأدناه وحياه ، وأجلسه الى جنبه وضاحكه ، ثم غمز عكنة من عكن بطنه ، وليس في البيت يومئذ الا أموى ، فلما قام قالوا له : ما حملك على غمز بطن هذا الفتى قال : انى أرجو بها شفاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قسوة المنصور فى معاملة آل البيت :

قارن بين هذا الذى يقوله الرجل الورع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو أموى ، وبين الذى فعله أبو جعفر وهو هاشمى ، فقد قيدهم فى الأغلال وحبسهم وحين حملوا من المدينة الى الكوفة حملوا على الأقتاب وهم فى القيود الثقالة حتى كانت زينب بنت عبد الله بن الحسن تقول متحسرة على ما ترى من تعذيبهم واعتراة من الحديد والعباء والمحال المرأة .

على بن الحسن وورعه :

وكان من بينهم على بن الحسن بن الحسن بن الحسن ، وكانوا فى ظلام السجن لا يدرون الليل من النهار ولا يعرفون أوقات الصلوات الا بأجزاء من القرآن يقرؤها رضى الله عنه ، وقد توفى وهو ساجد فى حبس أبى جعفر ، فقال عمه عبد الله . أيقظوا ابن أخى ، فانى أراه قد نام فى سجوده قال فحركوه فاذا هو قد فارق الدنيا .

وحدث عنه من كان معه من أهله الحسينيين فقالوا : كانت حلق أقيادنا قد اتسعت فكنا اذا أردنا صلاة أو نوما جعلناها عنا ، فاذا خفنا دخول الحراس أعديناها ، وكان على بن الحسن لا يفعل فقال له عمه : يا بني ما يمنعك أن تفعل قال لا والله ، لا أخلعه أبدا حتى اجتمع أنا وأبو جعفر عند الله ، فيسأله لم قيدني به .

قالوا وكان عدد المحبوسين ثمانية - فلما أدخلوا السجن قال على بن الحسن : اللهم ان كان هذا من سخط منك علينا فاشدد حتى ترضى .
فقال عبد الله بن الحسن : ما هذا يرحمك الله .

سبعة يموتون من آل البيت في السجن :

وحدث عبد الله عن فاطمة الصغرى (بنت الامام الحسين وهي أم عبد الله) عن أبيها عن جدتها فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله : « يدفن من ولدى سبعة بشاطئ الفرات لم يسبقهم الأولون ولا يدرهم الآخرون » ، فقلت نحن ثمانية قال هكذا سمعت فقال فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى الا واحدا ، قال الذي نجا منهم أصابوني وبى رمق وسقوني ماء وأخرجوني فعشت .

قالوا واستمر حبسهم ستين ليلة ، وقد ضجر مرة عبد الله بن الحسن ضجرة قتال لعلى بن الحسن : يا على الا ترى مانحن فيه من البلاء ، ألا تطلب الى ربك عز وجل أن يخرجنا من هذا الضيق والبلاء .
قال فسكت عنه طويلا ثم قال :

يا عم ، ان لنا فى الجنة درجة لم تكن تبلغها الا بهذه البلية ، أو بما هو أعظم منها ، وان لأبى جعفر فى النار موضعا لم يكن ليبلغه حتى يبلغ منا مثل هذه البلية أو أعظم منها ، فان تشأ أن تصبر فما أوشك فيما أصبنا أن نموت فنستريح من هذا الغم كأن لم يكن منه شيء ، وان تشأ أن ندعو ربنا عز وجل أن يخرجك من هذا الغم ، ويقصر بأبى جعفر غاية التمله فى النار فعلنا .

قال : لا ، بل أصبر .

فما مكثوا الا ثلاثا حتى قبضهم الله اليه ، قال أبو الفرج وتوفي على ابن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة ، لسبع بقين من المحرم سنة ست وأربعين ومائة .

ويؤخذ مما قاله أبو الفرج في مقاتل الطالبين أنه كان في الحبس مع عبد الله بن الحسن بن الحسن أولاد اخوته السادة : عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن (آخر السيد على المتقدم ذكره) ، والعباس بن الحسن ابن الحسن بن الحسن ، واسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن ويقال له طبا طبا ، ومحمد ابراهيم بن الحسن بن الحسن ، وعلى بن محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن ، وكان مع هؤلاء كذلك أخوهم لأُمهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، رضى الله عنهم أجمعين .

وقال أبو الفرج كان العباس بن الحسن بن الحسن بن الحسن أحد فتيان بني هاشم وفيه يقول ابن هرمة :

لما تعرضت للحاجات واعتلجت	عندي وعاد ضمير القلب وسواسا
سعت أبني لحاجات ومصدرها	برا كريما لثوب المجد لباسا
هداني الله للحسنى ووقفتنى	فاعتنت خير شباب الناس عباسا
قدح النبي وقدح من أبى حسن	وعن حسين جرى لم يجر أحاسا

وحين أخذوا العباس الى السجن قالت أمه وهى عائشة بنت طلحة دعونى أشمه شمة وأضمه ضمة فقالوا لا والله ما كنت فى الدنيا حية .

وقال أبو الفرج بسنده عن عبد الرحمن بن أبى الموالى وكان فى السجن مع بنى الحسن : كيف كان صبرهم على ما هم فيه ؟

قال : كانوا صبراء وكان فيهم رجل مثل سبيكة الذهب كلما أوقد عليها النار ازدادت خلاصا ، وهو اسماعيل بن ابراهيم ، كانه كلما اشتد عليه البلاء ازداد صبرا .

قال أبو الفرج وكان السبب فى حبس عبد الله بن الحسن وأهله ، ان العوام نهجت بمحمد بن عبد الله تسميه المهدي حتى كان يقال محمد بن عبد الله المهدي .

المنصور وموقفه من محمد بن عبد الله :

وقف أبو جعفر المنصور من محمد بن عبد الله على النقيضين ، فقد كان يجله قبل أن يتطلع أبو جعفر للخلافة ، لا بل انه بايعه بالخلافة مرتين ، كانت احدهما بمكة في المسجد الحرام ولما خرج محمد بن عبد الله من المسجد الحرام أمسك له أبو جعفر بالركاب وقال أما انه ان أفضى اليك الأمر نسييت لي هذا الموقف .

وقد روى أبو الفرج بسنده أن جماعة من بنى هاشم اجتمعوا بالأبواء ، وفيهم ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وأبو جعفر المنصور ، وصالح بن علي ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، وابناه محمد وابراهيم ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان .

فقال صالح بن علي : قد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم اليهم ، وقد جمعكم الله في هذا الموضع ، فاعقدوا بيعة لرجل منكم تعطونه اياها من أنفسكم وتوافقوا على ذلك حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين .

فقال أبو جعفر : لأى شيء تخدعون أنفسكم ، ووالله لقد علمتم ما الناس الى أحد أطول أعناقاً ولا أسرع اجابة منهم الى هذا الفتى - يريد محمد بن عبد الله .

قالوا قد والله صدقت ، ان هذا لهو الذى نعلم ، فبايعوا جميعاً محمداً ومسحوا على يده .

قلق المنصور من محمد بن عبد الله :

لذلك كان أبو جعفر قلقاً من تخلف محمد بن عبد الله عن مجلسه ، لأن له بيعة في عنق أبى جعفر ، وانهى به الأمر الى أن يشدد على عبد الله بن الحسن ويقول له : أين ابنك ؟ قال لا أدري ، قال لتأتينى به ، فقال عبد الله : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، قال يا ربيع ، قم به الى الحبس ، فحبس وحبس مع أهله كما تقدم .

وقد حدث سيدى الحسن بن زيد قال : دخلنا على عبد الله بن الحسن ابن الحسن ، بعثنا اليه رباج « والى المدينة » بكلمة فى أمر ابنه ، فاذا به على حقيقة فى بيت فيه تبن ، فتكلم القوم حتى اذا فرغوا من كلامهم أقبل على فقال : يا ابن أخى والله ليليتى أعظم من بلية ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، لأن الله عز وجل أمر ابراهيم أن يذبح ابنه ، وهو لله طاعة ، قال ابراهيم (ان هذا لهو البلاء المبين) وانكم جئتمونى تكلمونى فى أن آتى بابنى هذا الرجل فيقتلها ، وهو لله جل وعز معصية ، فوالله يا ابن أخى لقد كنت على فراشى فما يأتينى النوم ، وانى على ما ترى أطيب نوما .

قال أبو الفرج ، وكان محمد و ابراهيم يأتیان أباهما معتمين فى هيئة الأعراب ، فيستأذناناه فى الخروج فيقول لا تعجلا حتى تملكا ، ويقول : ان منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ، فلا يمنعكما ان تموتا كريمين .

فضائل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

قال أبو الفرج كان يقال له صريح قرش ، لأنه لم تقم عنه أم ولد فى جميع آبائه وأمهاته وجداته وكان أهل بيته يسمونه المهدي ، ويقدرّون أنه الذى جاء فى الرواية ، وكان علماء آل أبى طالب يرون فيه أنه النفس الزكية وأنه المقتول بأحجار الزيت ، (وجاء فى مروج الذهب أنه كان يدعى النفس الزكية لهذه ونسكه) . وكان من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه فى علمه بكتاب الله ، وحفظه له ، وفقهه فى الدين ، وشجاعته ، وجوده ، وبأسه ، وكل أمر يجعل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدي ، وشاع ذلك له فى العامة ، وباعه رجال من بنى هاشم جميعا من آل أبى طالب ، وآل العباس ، وسائر بنى هاشم .

قالوا ثم ظهر من جعفر بن محمد (أى الصادق) قول فى أنه لا يملك ، وأن الملك يكون فى بنى العباس ، فاتبھوا من ذلك لأمر لم يكونوا يطمعون فيه .

أقول : وقد علمت مما طالعت ، أن كلام سيدى جعفر بن محمد كان ينظر فيه بنور البصيرة ، وكان رضى الله عنه على نور من ربه ، بل لقد أحس

أن محمدا وإبراهيم سيقتلان ولا يليان الخلافة ، وقد قال لأبيهما إن هذا الأمر والله ليس إليك ولا إلى ابنك وإنما هو لهذا - يعني السفاح ثم لهذا يعني المنصور ثم لولده من بعده - لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء ، وكان أبوهما يستبعد قوله ، فكان الأمر كما صرح ، فتولى أبو العباس السفاح الخلافة ومن بعده أبو جعفر المنصور ، لذلك قالوا إن أبا جعفر المنصور هو الذي سماه (الصادق) فاشتهر بجعفر الصادق ، حيث تحقق للمنصور من كشفه ما كان بعيدا عن تصديقه وكان المنصور إذا حدث عنه قال : قال لي الصادق جعفر بن محمد كذا وكذا .

هذا وقد قال أبو الفرج أنه عند مقتل الوليد بن يزيد ، واختلاف كلمة بنى مروان خرجت دعاة بنى هاشم إلى النواحي ، فكان أول ما يظهرونه فضل علي بن أبي طالب وولده ، وما لحقهم من القتل والخوف والتشريد ، فإذا استتب لهم الأمر ادعى كل منهم الوصية لمن يدعو إليه .

ثم قال : فلما ظهرت الدعوة لبنى العباس وملكوا ، حرص السفاح والمنصور على الظفر بمحمد وإبراهيم لما في أعناقهم من البيعة لمحمد ، فتواريا ، فلم يزالا ينتقلان في الاستتار ، والطلب يزعجهما من ناحية إلى أخرى ، حتى ظهرا فقتلا ، صلوات الله عليهما ورضوانه .

ويقول ابن هرمة في محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن :

لا والذي ألت منه نعمة سلفت نرجو عواقبها في آخر الزمن
ما غيرت وجهه أم مهجنة إذ القتام يغشى أوجه الهجن

وكان سيدي جعفر الصادق رضي الله عنه ، إذا رأى محمد بن عبد الله تفرغرت عيناه ثم يقول : بنفسى هو ، إن الناس يقولون فيه أنه المهدي وأنه المقتول . وكان سيدي جعفر الصادق مشهورا في زمانه بكشف كثير من الأمور الغيبية ، والله يختص برحمته من يشاء (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) .

ونكتفى بهذا القدر مما جرى للسلادة بنى الحسن في صدر الدولة العباسية حتى لا يخرج بنا الأمر عن الإيجاز الذي تتوخاه في الكتيب ومن

أراد المزيد فليرجع الى مقاتل الطالبين وتاريخ الطبرى وغيرهما من المراجع
الواسعة . ويرحم الله دعبل الخزاعى حين كان يقول :

أرى أمية معذورين ان قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
وهو لا يقصد أن يعذر بنى أمية عذرا شرعيا ، انما يريد أن يعذرهم في
هوى نفوسهم ، وقد غلبهم على الحق فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل ،
ولم يكن لبني العباس وهم من بنى هاشم أن يقلدوهم فى مسلكهم الضال
المضل .

وأكاد أجزم أنه لو قام عبد الله بن عباس ما تقدم ، على فضله وعلمه ،
أحدا من الحسينيين أو الحسينيين ، فقد دخل مرة على معاوية بعد موت
سيدنا الحسن عليه السلام فقال له معاوية أنت شيخ بنى هاشم ، ، فقال : أما
وأبو عبد الله حى فلا (يقصد سيدنا الحسين عليه السلام) ، وأين السفاح
وأبو جعفر المنصور من جدهم عبد الله بن العباس فى العلم والفضل - وكان
أمر الله قدرا مقدورا .

وفى مناسبة ذكرى دعبل - رحمه الله - تقتطف بعض أبيات من قصيدة
له طويلة (١٢٠ بيتا) أنشدها فى خراسان بين يدى سيدى الامام على الرضا
ابن سيدى موسى الكاظم وتحصر فيها على ما أصاب آل البيت من الاضطهاد
والاغتراب والقتل ونوه بفضلهم وتمسك بحبهم :

ذكرت محل الربع من عرفات	فأجريت دمع العين بالعبرات
وفل عرى صبرى وهاجت صباى	رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة	ومنزل وحى مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى	وبالبيت والتعريف والجمرات
قفا نسال الدار التى خف أهلها	متى عهدا بالصوم والصلوات
وأين الألى شطت بهم غربة النوى	فأمسين فى الأقطار مغتربات
أحب فضاء الدار من أجل حبهم	وأهجر فيهم أسرتى وثقاتى
وهم أهل ميراث النبى اذا اتتموا	وهم خير سادات وخير حماة
أئمة عدل يقتدى بفعالهم	وتؤمن منهم زلة العثرات

فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة . لقد أمنت نفسي بهم في حياتها
 واني لأرجو الأمن بعد وفاتي ألم تر أني من ثلاثين حجة
 أرواح وأغدو دائم الحشرات أرى فيئهم في غيرهم متقسما
 وأيديهمو من فيئهم صفرات سأكبيهمو ما ذر في الأفق شارق
 وفادى منادى الخير بالصلوات وما طلعت شمس وحاظ غروبها
 وبالليل أبكيهم وبالغدوات فلولاً الذي أرجوه في اليوم أو غد
 لقطع قلبي اثرهم حشرات فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري
 فغير بعيد كل ما هو آت ملامك في أهل النبي فانهم
 أحبائي ما عاشوا وأهل ثقاتي تخيرتهم رشدا لأمرى فانهم
 على كل حال خيرة الخيرات فيا رب زدني من يقيني بصيرة
 وزد حبهم يا رب في حسناتي وقد قالوا أنه عندما بلغ فيها قوله :

إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم أكما عن الأوتار منقبضات
 بكى سيدي على الرضا حتى أغمى عليه ، واستعاد ذلك البيت ثلاثا ، وفي
 كل مرة يغمى عليه فلما أفاق ، قال له أحسنت ثلاث مرات ، وأعطاه عشرة
 آلاف درهم مضروبة باسمه في خراسان ، كما أعطاه ثوبا من ثيابه فمريض
 عليه ثلاثون ألفا ثمنا له فأبى وحلف ألا يبيعه أو يعطوه بعض الثوب
 ليكون في كفه فأعطوه ، وقالوا كذلك أنه حين قدم دعبل العراق باع كل
 درهم بعشرة دراهم ، اشتراها منه الشيعة .

وقد طلب منه المأمون انشاد تلك القصيدة وقال له لك الأمان فلا تخف ،
 فصار ينشدها والمأمون يبكي حتى أخضلت (تبللت) لعينته .

وفاة الإمام الحسن بن علي رضي الله عنه :

قال أبو الفرج ، كانت وفاته عليه السلام بعد عشر سنين خلت من إمارة
 معاوية ، وذلك في سنة ٥٠ من الهجرة ، وقال أبو الفدا وابن الأثير الصحيح
 أنه توفي في سنة ٤٩ هـ .

الامام الحسن عليه السلام يموت مسموما :

قال أبو الفرج : دس معاوية السم للامام الحسن حين أراد أن يعهد الى يزيد بعده ، وكذلك دس معاوية السم لسعد بن أبي وقاص ، فماتا منه في أيام متقاربة .

قال أبو الفرج : وكان الذى تولى ذلك من الحسن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس لمال بذله لها معاوية فقد أرسل اليها انى مزوجك بيزيد ابنى ، على أن تسمى الحسن بن على وبعث اليها بمائة ألف درهم ، فقبلت وسمت الحسن ، فسوغها المال ولم يزوجها من يزيد ، فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها ، فكان اذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيروهم ، وقالوا يا بنى مسمة الأزواج .

وروى أبو الفرج بسنده عن عمير بن اسحق ، قال : كنت مع الحسن والحسين فى الدار ، فدخل الحسن المخرج ، ثم خرج فقال : سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة ، ولقد لفظت قطعة من كبدى ، فجعلت ألقبها بعود معى ، فقال له الحسين : من سقاكه ، فقال وما تريد منه ، أتريد أن تقتله ، ان يكن هو فالله أشد قمة منك ، وان لم يكن هو فما أحب أن يؤخذ بى برى .

داى الدكتور طه حسين فى قصة السم :

ويقول عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين تعليقا على قصة السم :

« ولست أقطع بأن معاوية قد دس الى الحسن من سمه ، ولكنى لا أقطع كذلك بأنه لم يفعل ، فقد عرف الموت بالسم فى أيام معاوية على نحو غريب مريب فقد مات الأشر - فيما يقول المؤرخون مسموما فى طريقه الى ولاية مصر ، فخلصت مصر لمعاوية ، وقال معاوية وعمرو « ان لله لجندا من عسل » ومات عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مسموما بحمص فى خبر طويل ، ومات الحسن بين هذين الرجلين مسموما كذلك فى أكبر الظن ، وخلصت الخلافة لمعاوية وابنه يزيد » .

أقول وعلى الرغم من أن جميع المصادر العربية تقول أن الحسن مات مسموماً فإن دائرة المعارف الإسلامية وهي من صنع المستشرقين ، زعمت كاذبة أنه مات بمرض السل لافراطه في الشهوة ، وهذا دأب المستشرقين فيما يكتبون ، فانهم يحاولون دائماً أن يضعفوا الثقة في أئمة المسلمين وسلفهم الصالح ، وهيهات أن يحجبوا نور الشمس بأكفهم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

معاوية يشمت بموت الامام الحسن :

وفد عبد الله بن عباس على معاوية ، قال فوالله انى لقي المسجد اذ كبر معاوية في الخضراء ، فكبر أهل الخضراء ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاخته بنت قرظة بن عمرو بن نوفل من خوخة . لها فقالت : سرك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذى بلغك فسررت به ، قال موت الحسن بن على ، فقالت انا لله وانا اليه راجعون ، ثم بكت وقالت مات سيد المرسلين وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال معاوية : نعم والله ما فعلت انه كان كذلك أهلاً لأن يبكى عليه .

ثم بلغ الخبر ابن عباس رضى الله عنهما فراح فسخل على معاوية ، فقال معاوية : علمت يا ابن العباس أن الحسن قد توفى ، قال أذلك كبرت ، قال نعم ، قال ابن عباس :

والله ما موته بالذى يؤخر أجلك ولا حفرته بسادة حفرتك ، ولئن أصبنا به فقد أصبنا بسيد الأوصياء ، فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة ، فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معداً .

وقد قال أحد الشعراء في شماتة معاوية :

أصبح اليوم ابن هند شامتا ظاهر النخوة اذ مات الحسن
يا ابن هند ان تذق كأس الردى تك فى الدهر كشيء لم يكن
لست بالباقي فلا تشمت به كل حى للمنايا مرتين

ولم تكن شماتة معاوية بموت الامام الحسن مستغربة ، فقد شمت من قبله بموت أبيه الامام على كما سترى فيما بعد .

وقد نسب بعض الرواة دس السم الى يزيد ، ولعلمهم راعوا في ذلك صحبة معاوية فأرادوا أن يجنبوه قتل النفس التي حرم الله الا بالحق، ولكنك ستعلم بعد حين أنه قتل حجر بن عدى وهو صحابى جليل ، وقتل معه أصحاب حجر لا لذنوب الا أنهم كانوا من محبى الامام على وبنيه ، وقد قال تعالى لرسوله داود عليه السلام « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » ، ودع عنك الدماء التي سألت من عشرات الالوف في الجمل وصفين والمعارك التي ترتبت على بيعته يزيد ، وقد ترتبت كلها على موقف معاوية من الامام على وبنيه ، ولم يكن له عذر شرعى فيه .

الامام الحسن يوصى ان يدفن الى جنب جده صلى الله عليه وسلم :

روى أبو الفرج بسنده أن الامام الحسن عليه السلام أرسل الى السيدة عائشة رضى الله عنها أن تأذن له أن يدفن مع النبی صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ما كان بقى الا موضع قبر واحد ، فلما سمعت بذلك بنو أمية ، اشتملوا بالسلاح هم وبنو هاشم للقتال ، وقالت بنو أمية : والله لا يدفن مع النبی صلى الله عليه وآله أبدا .

فبلغ ذلك الحسن فارسل الى أهله ، أما اذا كان هذا فلا حاجة لى فيه ، ادفنوني الى جانب امی فاطمة ، فدفن الى جنب أمه فاطمة عليها السلام بالبقيع ، وصلى عليه سعيد بن العاص وكان أميرا بالمدينة ، قدمه الامام الحسين للصلاة على أخيه وقال لولا أنها سنة ما قدمتک .

وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين :

لما حضرت الامام الحسن الوفاة قال لأخيه الامام الحسين رضى الله عنهما :

يا أخى ، ان أبانا رحمه الله تعالى ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه ، فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبا بكر الوفاة ، تشوف اليها أيضا فصرفت عنه الى

عمر ، فلما احتضر عمر ، جعلها شورى بين ستة هو أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان ، بويع ، ثم نوزع حتى جرد السيف ، وطلبها فما صفا له شيء منها .

وانى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفنك استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك ، وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لى فأدفن فى بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ، وانى لا أدري لعل ذلك كان منها حياء ، فاذا أنا مت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها ، وما أظن الا القوم سيمنعونك اذا أردت ذلك ، فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد .

قالوا ، ولما بلغ أبا هريرة أن مروان منع أن يدفن الامام الحسن مع جده صلى الله عليه وسلم ، قال والله ما هو الا ظلم ، يمنع الحسن أن يدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه لابن رسول الله ، ثم انطلق الى الامام الحسين وناشده الله وقال له : أليس قد قال أخوك ان خفت أن يكون قتال فردونى الى مقبرة المسلمين .

قال ثعلبة بن أبى مالك : شهدت الحسن يوم مات ودفن فى البقيع ، فلقد رأيت البقيع لو طرحت فيه ابرة ما وقعت الا على رأس انسان (لشدة الزحام) .

ولم يشهد جنازته أحد من بنى أمية الا سعيد بن العاص ، وكان يومئذ أميرا على المدينة فتركوه فشهد دفنه فى المقبرة وقال هى السنة ، وخالد بن الوليد بن عقبة ، ناشد بنى أمية أن يتركوه يشاهد الجنازة ، فتركوه فشهد دفنه .

وأنك لتعجب كيف لا يشيع بنو أمية جنازة الامام الحسن ، وهو الذى سالمهم وحقق دماءهم ودماء المسلمين ولعلمهم خافوا سطوة معاوية وها قد رأيت أن أهل المدينة خرجوا لتشييعه حتى لو طرحت فى البقيع ابرة ما وقعت الا على رأس انسان ، وهكذا يفضح الصبح فحمة الدجى .

رثاء أخيه محمد بن الحنفية :

مر على القارىء العزيز ما رثاه به الامام الحسين رضى الله عنه ، وهاك ما رثاه به أخوه لأبيه محمد بن الحنفية رضى الله عنهم أجمعين :

لئن عزت حياتك ، لقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه
كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمن بدنك ، وكيف لا تكون هكذا ، وأنت عقب
الهدى ، وخلف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء ، غدتك بالتقوى
أكف الحق ، وأرضعتك ثدى الايمان ، وربيت فى حجر الاسلام ، فطبت
حيا وميتا ، وإن كانت أنفسنا غير سخية بفراقك ، رحمك الله أبا محمد .
ثم أنشد يقول :

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي	وخدك معفور وأنت سليب
أأشرب ماء الزن من غير مائه	وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
سأبكيك ما ناحت حمامة أيكّة	وما اخضر في أرض الحجاز قضيب
غريب وأكاف الحجاز تحوطه	أأكل من تحت التراب غريب

رثاء رجال من ولد ابى سفيان بن الحارث :

وقام رجل من ولد أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال :
ان أقدامكم قد قلت ، وإن أعناقكم قد حملت الى هذا القبر ، ولما
من أولياء الله ، ليبشر نبي الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبتهج
الحدور العين بقلائه ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجى
والدين فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تحسب المصيبة به .

رثاء الشاعر النجاشي :

ومما قاله الشاعر النجاشي فى رثاء الامام الحسن عليه السلام :

جعدة بكيه ولا تسأى	بعد بكاء المعول الثاكل
لم يسبل الستر على مثله	فى الأرض من حاف ومن ناعل
أعنى الذى أسلمنا هلكه	للزمن المستخرج الماحل

ورثاء شاعر آخر فقال :

تأس فكم لك من سلوة تخرج عنك غليل الحزن
بموت النبي وقتل الوصي وقتل الحسين وسم الحسن

رثاء سليمان بن قتة :

روى أبو الفرج بسنده عن محمد بن علي بن حمزة أن سليمان بن
قتة قال في رثاء الامام الحسن :

يا كذب الله من نعي حسنا ليس لتكذيب نعيه ثمن
كنت خليلي وكنت خالستي لكل حي من أهله سكن
أجول في الدار لا أراك وفي الدار أناس جوارهم غبن
بدلتهم منك ليت أنهمو أضحوا ويني وبينهم عدن

أقول وصدق صلى الله عليه وسلم حين قال « الخلافة بعدى ثلاثون ثم
تصير ملكا عضودا » ، وقد كملت الثلاثون سنة بخلافة الامام الحسن عليه
السلام ، ثم صارت ملكا عضودا ، لم تتسن فيه خلافة الراشدين ، وصدق
امامنا علي بن أبي طالب حين رأى الناس يجنحون الى الدنيا فقال : أردتكم
لله ، وتريدونني لأنفسكم .

من حكم الامام الحسن عليه السلام :

ونسرى قليلا عن القارىء العزيز ببعض من الحكم التي فاض بها
قلب الامام الحسن عليه السلام ، ولا تعجب من علو مستواها فانه شبل
الامام على كرم الله وجهه ، وسترى وصيته له ، وتعرف منها كيف كانت
عناية أبيه بتربيته .

قال الامام الحسن رضى الله عنه : حسن السؤال نصف العلم .

وقال : من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تحيروه .

وسئل عن الصمت فقال ، هو سر العى ، وزين العرض ، وفاعله في
راحة ، وجليسه في أمن .

وقيل له : ان أبا ذر يقول : الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، فقال رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من اتكل على حسن اختيار الله ، لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختارها الله له .

وكان رضى الله عنه يقول :

يا ابن آدم ، عف عن محارم الله تكن عابدا ، وارضى بما قسم الله لك تكن غنيا ، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلا .

وقد سأله أبوه يوما فقال له : يا بني ما السداد ، فقال : دفع المنكر بالمعروف .

قال فما الشرف ، قال : اصطناع العشرة واحتمال الجريرة .

قال فما السماح ، قال : البذل في العسر واليسر .

قال فما اللؤم ، قال : احراز المرء ماله وبذل عرضه .

قال فما الجبن ، قال : الجراءة على الصديق والنكول عن العدو .

قال فما الغنى ، قال : رضى النفس بما قسم الله لها وان قل .

قال فما الحلم ، قال : كظم الغيظ وملك النفس .

قال فما المنعة ، قال : شدة البأس ومنازعة أعز الناس .

قال فما الذل ، قال : الفزع عند الصدمة .

قال فما الكلفة ، قال : كلامك فسا لا يعينك .

قال فما المجد ، قال : ان تعطى في الغرم وتعفو في الجرم .

قال فما السؤدد ، قال : اتيان الجميل وترك القبيح .

قال فما السفه ، قال : اتباع الدناءة ومحبة الغواية .

قال فما الغفلة ، قال : ترك المسجد وطاعة المفسد .

وكان رضى الله عنه يقول : لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياة لمن لا دين له ، ورأس العقل معاشره الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك الداران جميعا .

وكان يقول : هلاك الناس في ثلاث : في الكبر والحرص والحسد ،
فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس ، والحرص عدو النفس وبه أخرج آدم
من الجنة ، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل .

وكان رضى الله عنه كثيرا ما يتمثل :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترارا بطل زائل حمق
وقال رضى الله عنه : لا تأت رجلا الا أن ترجو نواله ، أو تخاف يده ،
أو تستفيد من علمه ، أو ترجو بركته ودعائه ، أو تصل رحما بينك وبينه .
وقال أيضا عليه السلام : علم الناس علمك ، وتعلم علم غيرك ، فتكون
وقد انفقت علمك علمت .

وقال عليه السلام : دخلت على أمير المؤمنين وهو يجود بنفسه لما
ضربه ابن ملجم ، فجذعت لذلك فقال أتجزع ، فقلت وكيف لا أجزع وأنا
أراك في حالك هذه ، فقال ألا أعلمك خصالا أربعا ان أنت حفظتهن نلت
النجاة ، وان انت ضيعتهن فاتك الداران .

يا بنى لا غنى أكبر من العقل ، ولا فقر مثل الجهل ، ولا وحشة
أشد من العجب ، ولا عيش الذ من حسن الخلق .

الباب الثاني

تاريخه السياسي

* كيف بوع الامام على * فتنة الخوارج

* الخلافة والملك * لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة

لا يستطيع القارئ أن يفهم تاريخ الامام الحسن السياسي من غير أن يقف على موجز لتاريخ أبيه الامام على كرم الله وجهه ، لأن الامامين الحسن والحسين عليهما السلام ، شاركا أباهما في سلمه وحربه ، وعاصرا خطوبه التي تتابعت عليه خطبا بعد خطب ، تلك الخطوب التي تهد الجبال من هولها ، كما انهما عاشرا معه أصحابه وأنصاره ، وقاتلا معه أعداءه وخصومه ، وانما كان الذي وقع لهما بعد قتل أبيهما حلقات في سلسلة واحدة يتصل أولها بآخرها .

ونوجز تاريخ أمير المؤمنين الامام على كرم الله وجهه فنقول :

اتتهت الثورة على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه بمقتله ، وكان الثوار قد وفدوا الى المدينة المنورة من مصر والكوفة والبصرة ، وقد قتلوه بعد أن حاصروه في داره أربعين يوما ، ولم يذكروا له أياديه البيضاء على الاسلام والمسلمين ، ولم يذكروا له أن جيوشه صانت مهية الدولة الاسلامية بعد مقتل أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وغزت برا وبحرا وأمنت سلامة الدولة ، وضمت بلادا كثيرة في الشرق والغرب اليها ، كما لم يذكروا له انه جمع المصحف الشريف على ترتيبه الحالي ، وعلى القراءة الغالبة في زمانه ، حتى لا يختلف المسلمون فيقول هؤلاء قرأنا ويقول أولئك قرأنا ، وهذا من أمجد الأعمال وأجرئها بشهادة الباحثين المدققين .

لكن الفتنة كانت صماء عمياء ، وقام بها الدهماء وحركها اليهودي المنافق عبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء ، وكان من رأى امامنا على أن يقاتل دفاعا عن الخليفة المحصور ، واستأذن أمير المؤمنين عثمان في القتال لكنه لم يقبل كما سترى ، وخشى أن تقوم بين المسلمين حرب أهلية تراق فيها الدماء ، فأثر أن يضحي بنفسه ولا يكون سببا في حرب شعواء .

ولم يتخل الامام على عن نصرة أمير المؤمنين عثمان ، بكل ما ملكت يده ، فكان يمدده بالرأى الناصح الأمين ، وأرسل ولديه الامامين الحسن والحسين فقاما بسيفيهما على بابه ليدفعا الثوار من اقتحامه ، وحين منع

الثوار الماء عن أمير المؤمنين عثمان أرسل اليه امامنا على قرب الماء على عجل .

وكان موقف امامنا على من هذه الفتنة في غاية الدقة ، فالثوار كانوا يلجأون اليه ويلوذون به ، وأمير المؤمنين عثمان كان يراجعهم ويشاوره المرة بعد المرة ، وكلما هم أمير المؤمنين عثمان أن يعمل برأى امامنا على ، كان مروان يشككه ويخوفه ، حتى وقع ما قدر الله أن يكون من استشهاد أمير المؤمنين عثمان ، حيث تسور الثوار عليه الدار من الخلف من بيت مجاور لأحد الأنصار وقتلوه ، وقد حزن لقتله سيدنا على ، ولطم ابنه الحسن على وجهه ظنا منه أنهم دخلوا عليه من الباب .

وبقيت المدينة خمسة أيام بعد الاستشهاد يحكمها الغافقي بن حرب زعيم الثوار ، وهم يلتمسون من يجيئهم الى القيام بالخلافة .

وكان هوى أهل مصر مع الامام على ، وهوى أهل البصرة مع طلحة ابن عبيد الله ، وهوى أهل الكوفة مع الزبير بن العوام .

وكان المصريون يلحون على الامام على ، وهو يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيئهم .

فقالوا فيما بينهم ، لا نولى أحدا من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا الى سعد بن أبي وقاص ، فقالوا انك من أهل الشورى ، فلم يقبل منهم ، ثم راحوا الى ابن عمر فابى عليهم ، فحاروا في أمرهم .

ثم قالوا : ان نحن رجعنا الى أمصارنا بقتل عثمان من غير امرة ، اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم ، فرجعوا الى الامام على والحواء عليه ، فأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس ، وكلهم يقول لا يصلح لها الا على وقد أرادوا أن يبايعوه في داره ، فأبى الا أن تكون البيعة علانية في المسجد ، وقال لو تخلف عنى بدرى واحد من أهل بدر لا أقبل الخلافة ، فبايعه المهاجرون والأنصار وأهل بدر ولم يتخلف عنه بدرى واحد .

فلما كان يوم الجمعة ، وصعد المنبر ، بايعه من لم يبايعه بالأمس ، وكان أول من بايعه طلحة ، ثم الزبير .

وأنت ترى من ذلك أن الخلافة جاءت منقاداً راجمة ، ولم يكن غيره يصلح لها على الشروط التي شرطها الثوار ، لذلك كان ، كرم الله وجهه ، صادقاً حين قال : ان العامة لم تبايعني لسلطان غالب ، ولا لعرض حاضر .

وبراءة الامام على من دم أمير المؤمنين عثمان أوضح من الواضح وأظهر من الظاهر ، ولو كان أمير المؤمنين عثمان يشك فيه ولو قليلاً ما فزع اليه كلما تحرجت عليه الأمور ، وقد ساعده في تفريج الأمور ، قصر الناس عن الالتفاف حول طلحة ، وأعطاهم الأموال من بيت المال ، حتى اضطر حين لم يجد المفتاح أن يكسر الباب ليعجل لهم العطاء فتسكن ثأرتهم ، وقد سر عمله هذا أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه ، وقد كان على يقين من اخلاص امامنا علي ووفائه ، يدلك على ذلك أنه اتصل به في أخريات أيامه فقال له : ان أمر الناس ارتفع في شأني فوق قدره وزعموا أنهم لا يرجعون دون دمي ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه :

فان كنت مأكولاً فكن خير آكل .. والا فأدركني ولما أمزق .

وقد حاول امامنا علي ، كرم الله وجهه ، أن يدفع الشر عن الخليفة بكل ما ملكت يده ، حتى غلب قضاء الله ، فقد روى شداد بن أوس أن الامام علياً خرج من داره حين أحاط الثوار ببيت عثمان عليه السلام معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلداً سيفه ، أمامه الحسن وعبدالله بن عمر في نفر من المهاجرين والأنصار حتى حملوا على الناس وفرقوهم .

ثم دخلوا على الخليفة ، فسلم عليه الامام علي ، وقال بعد تمهيد وجيز ، لا أرى القوم الا قاتليك فمرنا فلنقاتل ، فقال الخليفة : أشد الله رجلاً رأى الله حقاً وأقر أن لى عليه حقاً ، أن يهريق في سبيلي ملء محجمة من دم ، أو يهريق دمه في ، فأعاد على القول ، فأعاد الخليفة عليه هذا الجواب .

ثم خرج الامام علي من عنده الى المسجد ، وحضرت الصلاة فنادوه : يا أبا الحسن تقدم فصل بالناس ، فقال : لا أصلى بكم والامام محصور

ولكنى أصلى وحدى ، ثم صلى وحده وانصرف الى منزله ، وترك إبنه الحسن والحسين مع أبناء زمرة الصحابة في حراسة دار الخليفة ، إلا أن الثوار تسوروا الدار من دار مجاورة وقتلوا الخليفة كما مر القول ، فمات شهيدا ، ولو شاء لسفك دماء الثوار قبل أن يمسه بسوء ، بماله من ولاية وسلطان عليهم ، ولكن الله غالب على أمره .

أقول ومن عجب أن يتهم معاوية وأعوانه الامام على بقتل عثمان رضى الله عنه ، وقد بذل كل جهد مستطاع في نصرته وحمايته حتى انه عهد الى ولديه الحسن والحسين أن يقفا مدافعين عنه بسيفيهما مع أنه كان يضمن بهما خشية أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ، ولم يحرك معاوية ساكنا في نصرة عثمان عليه السلام ، وكان معاوية متمكنا في ولايته بالمال والرجال ، وكان حاضرا المؤتمر الذى عقده أمير المؤمنين عثمان من مستشاريه للتفكر في طلبات الثوار ، كما كان عمرو بن العاص حاضرا ذلك المؤتمر ورأوا رأى العين خطر الثورة على الخليفة ، لكن معاوية كان يتطلع في نفسه الى الخلافة اذا أقصى عثمان عنها ، وكان عمرو موتورا من عثمان حيث عزله عن ولاية مصر فكان يحرض عليه ، لا بل انه أول من أشار عليه باعتزال الخلافة فابى عثمان اعتزالها وقال لا أنزع قميصا ألبسنيه الله ، كما أبى أن يخرج من المدينة وقال ، لا أترك جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم .

موقعة الجمل :

ولكن ما الحيلة في مغالطة المغالطين من خصوم الامام على ، فقد رموه بدم عثمان زورا وبهتانا وطالبوه بتسليم قتله أو القود (القصاص) منهم تعجيزا له في بداية خلافته .

أما القتلة فلم يكونوا معروفين على وجه التحديد ، وأما القود فلولى الأمر ، وهم لم يعترفوا بولايته ومن كان منهم بايعه عدل عن بيعته . ذلك بأن طلحة والزبير ، تعللا بمقتل عثمان ، بعد أن كان بايعا أمير المؤمنين عليا ، على ملا من المهاجرين والانصار ، كما تعلل بمقتل عثمان

معاوية حين أبى أن يبايع ، مع أن أهل المدينة من المهاجرين والأنصار عقدوا
لأمير المؤمنين على البيعة ، والناس تبع لهم في سائر الأقطار والأمصار
وجرى الامر على ذلك في خلافة سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان رضى
الله عنهم .

وكان الامام على رضى الله عنه ، من الذكاء بحيث لا تنطلى عليه حيلة
خصومه ، لكنه كان يعامل الله في عباده ، فيخشاه سبحانه ولا يخشى
الناس ، فوسع خصومه بالحلم والمهادنة ، والاقناع قبل أن يجرد فيهم
سيفه ، ليعذره الله في قتالهم بماله من ولاية وسلطان عليهم .

وكان لمعاوية أكبر ضلع في تلك الفتنة المشؤومة ، فانه كتب من الشام
طلحة ولقبه بأمير المؤمنين ولم يكن ذلك جائزا منه ، فان بيعة أهل المدينة،
وقد بايعوا الامام عليا ، قد لزمّت معاوية ، وهو بالشام ، كما لزمته بيعة
الخلفاء قبله ، كما أن معاوية حرض طلحة على مناوأة أمير المؤمنين على .

وقد طلب طلحة والزيير أن يشركهما أمير المؤمنين على معه أو أن
يوليها البصرة والكوفة ، أما اشراكهما في الخلافة فليس بالأمر الطبيعي ،
فالخلافة له وحده ، وأما الولاية ، فانها كانت تمكنهما من مناوأته ، وكانت
العراق موطن المال والرجال ، كما أنها قرية الجوار من بلاد الشام التي
أتت منها مناوأة معاوية .

وقد استأذن طلحة والزيير أمير المؤمنين عليا في الخروج الى مكة ،
وقالا له ، اتنا نريد العمرة ، فقال لهما انكما لا تريدان العمرة بل تريدان
الغدر .

وقد أفلح طلحة والزيير في اقناع السيدة عائشة رضى الله عنها في
الخروج معها الى العراق ، وتأيدهما ، وكان طلحة تيميا من أبناء عمومتها،
وكان الزيير زوجا لأختها السيدة أسماء بنت أبى بكر ، وكذلك رجاها ابن
أختها عبد الله بن الزيير ، وكان ربيبا لها من طفولته ، بل انها كانت تكنى به
ويقال لها « أم عبد الله » ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى
اختار لها هذه الكنية .

خرج طلحة والزبير بجيشهما الى البصرة ، وخرجت مع الجيش السيدة عائشة ، وحين اختلفا في الطريق أيهما يكون اماما قدمت ابن اختها عبد الله ابن الزبير فصلى بالناس .

وقد تحققت في الطريق معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم فانه قال مرة لسيداتنا أمهات المؤمنين : أيتكن صاحبة الجمل الأحذب ، تنبها كلاب الحوآب ، ثم نظر الى السيدة عائشة وقال لها أخشى أن تكونيها ياحميراء .

فقد نبحت كلاب الحوآب ، وكانت سيدتنا عائشة تركب الجمل الأحذب ، ولما علمت بذلك همت بالرجوع ، فأتى لها عبد الله بن الزبير بجماعة من البدو شهدوا زورا بأن هذه الجهة ليست الحوآب ، وكانت هذه بكل أسف ، أول شهادة زور وقعت لله الاسلام .

فسارت مع الجيش مكذوبة ومخدوعة ، رضى الله عنها ، وكان ما قدر الله من التحام جيش طلحة والزبير بقوات أمير المؤمنين على في البصرة في الواقعة التي عرفت بواقعة الجمل نسبة الى الجمل الذي كانت تركبه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

وكان من عادة أمير المؤمنين على ، أن يبدأ باقناع خصومه قبل أن يبدأهم بالقتال كما قدمنا .

فنادى الزبير من بين صفوفهم ، وقال له : أتذكر أنك يوما صافحتني وعاققتني بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لك أتجبه ، فقلت كيف لا أحبه وهو أخى وابن خالى ، فقال لك : أما انك ستقاتله وأنت ظالم له ، فقال الزبير : لقد أذكرتني ما أنسانيه الدهر ، لو ذكرت ذلك ما خرجت والله لا أقاتلك أبدا ، وانسحب من المعركة ، فعيده ابنه عبد الله بن الزبير ، وقال له تعيرنا نساء قريش ، فقال يا بنى لقد أذكرتني ما أنسانيه الدهر ، العار ولا النار .

هذه نفس الزبير ، نفس كريمة ، رجاعة للحق ، والرجوع الى الحق أولى من التماذى فى الباطل .

وقدر الله ، أن يقتل الزبير رضى الله عنه خارج المعركة فى وادى
الجرموز ، فلما من قاتله أن ذلك يرضى الامام عليا ، فذهب برأس الزبير
الى الامام على ، يطلب منه أجره ، فقال له أما انى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول بشر قاتل الزبير بالنار .

والتحمت القوات بعضها ببعض ، وكان القتال عنيفا حول الجمل ، فأمر
امامنا على بعقر الجمل فعقر ، وتم النصر لأمير المؤمنين على خصومه ، وأكرم
معاملة أم المؤمنين فقالت رضى الله عنها له : يا ابن أبى طالب ملكت فأسجج ،
فقال غفر الله لك ، فقالت رضى الله عنها له : وغفر لك .

وقد ندمت السيدة عائشة أشد الندم لخروجها وقالت ، لو لم أسر
مسيرى ذلك لكان أحب الى من أن يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (فقيه المدينة)
كما قالت ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين عاما ، وكانت كثيرا ما تبكى
وتقول (وقرن فى بيوتكن) .

والسيدة عائشة أم ربيعة بأبنائها ، ولا شك أنها تألمت حين رأت قريبا
من عشرين ألف نفس من أبنائها المؤمنين يموتون فى تلك المعركة ، والنفتان
من المؤمنين وعندما تركت رضى الله عنها البصرة الى المدينة ، ودعها الناس ،
فقال لهم انه لم يكن قط بينها وبين الامام على الا ما يكون بين المرأة
وأحمائها (أهل الزوج) .

وتلك نفس السيدة عائشة ، وهى نفس كريمة أوابة .

أما طلحة ، فقد ضربه مروان بن الحكم فقتله ، وأعجب أيها القارىء
الكريم من حليف يقتل حليفه ، فان طلحة كان مروان تحت رايته ، ولكنه
رأى أن يثار منه لعثمان حيث كان الثوار يلتفون حول طلحة بالمدينة ورأى
مروان أنه ربما لا يملك فرصة خيرا من هذه فى الثار منه .

وكانت نفس طلحة نفسا كريمة كذلك ، فانه رأى رجلا قريبا منه وهو
يجود بنفسه ، فسأله من أى الفريقين أنت ، قال من لفريق أمير المؤمنين على ،
فقال أبلغه انى مبايعه ، فلما بلغ الرجل أمير المؤمنين ذلك ، قال أبى الله أن
يدخل طلحة الجنة الا ويبيعنى فى عنقه .

وقد تأثر أمير المؤمنين على حين رأى طلحة قتيلا ، ونفض التراب عن وجهه وقال : أعزز على بأن أراك مجدلا تحت السماء أبا محمد .

وكانت واقعة الجمل أولى المآسي التي قامت في وجه أمير المؤمنين على في بداية خلافته ، وقد جاءته من الحجاز ، لكنك رأيت أن خصومه فيها كانوا ذوى نفوس كريمة رجاعة الى الحق غير متمادية في الباطل ، ولا عجب فطلحة والزبير من العشرة المبشرين بالجنة ، وأم المؤمنين نزلت براءتها في القرآن الكريم (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) . وعلى الرغم من أن الامام عليا تمت له الغلبة ، فانه كان شديد التألم لما وقع ، حتى انه كان يقول : وودت لو أنى مت قبل هذا اليوم بعشرين عاما ، كما كان يقول لو عرفت أن الأمر يبلغ بنا ما بلغ ما دخلت فيه .

الامام الحسن كان يرى بقاء أبيه بالمدينة :

لم يكن من رأى الامام الحسن أن يترك أبوه المدينة ، ويرحل الى العراق للقضاء طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم ، وكان يفضل أن يبقى أبوه مجاورا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكره له أن ينهب الى دار غربة ويتعرض للموت بمضيعة ، حتى لقد بكى الامام الحسن حين رأى ركاب أبيه يؤم العراق ، فقال له أبوه : انك لتحن حنين الجارية .

أما أبوه فكان يرى أن العراق موطن المال والرجال ، وكان أبوه من أشد الناس ميلا الى السلم مع المسلمين ، كما يتبين من تصرفاته مع خصومه ، حتى مع الخوارج ، الا أن المقدر غلب على تقديره ، فكانت الحروب ، ذلك الى أن الامام عليا كان يتوقع وثبة على العراق من معاوية فكان يرى أن يكون قريبا من الشام لمقابلة تلك الوثبة .

امير المؤمنين على كان يضمن بالحسن والحسين عن القتال :

وكان امامنا على يضمن بالحسن والحسين عن القتال في واقعة الجمل ، وقال لأصحابه : املكوا عنى هذين ، لتلا يهداني ، لاني أخشى أن ينقطع بموتهما نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض ، ودفع الراية لابنه

محمد بن الحنفية وهو أخوهما لأبيهما ، وأبلى محمد في المعركة بلاء عظيما
حتى قال قائلهم مادحا له :

أبولك الذي لم يركب الخيل مثله على وسماك النبي محمدا

حروب صفين :

أما المأساة الثانية ، فجاءته من بلاد الشام ، وكانت أشد هولاً ، وراح
ضحيتها عشرات الألوف من الفريقين ، وكنت ترى الرجل في صف معاوية
وابنه في صف أمير المؤمنين ، أو ترى الأخوين ، كل منهما في صف غير
صف أخيه .

وقد حاول أمير المؤمنين على كعاداته أن يعالج الأمر بالاقناع والمراسلة،
ولكن أبي معاوية الا عنادا ، وشد أزره في موقف العناد عمرو بن العاص .

الخلافة والملك :

وقد تعلل معاوية ظاهرا بمقتل عثمان ، الا أنه في الحقيقة كان يصبو
الى الملك ، الذي تهيأ له المجتمع ، حيث فتحت خيرات الدنيا على الناس ،
ففتنوا بها ، وجنحوا الى زخرفها ، وصدق الله تعالى اذ يقول : (كلا بل
تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) .

ان الورع أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء الثلاثة
من بعده ، حجز الناس عن الافتتان بمادة الدنيا ، وان كانوا قد استشرفوا
لها في أخريات أيام عثمان رضى الله عنه ، نتيجة لاتساع الفتوحات واختلاط
العرب بغيرهم في البلاد التي فتحوها واتساع تجارتهم التي درت عليهم
أموالا وافرة لم يكن لهم بها عهد .

وكان الامام على يريد أن يعيد الناس الى سيرتهم الأولى في الورع
والزهد ، وضرب بنفسه المثل الأعلى لهم ، وكان معاوية يدفع بهم الى
ما تصبو اليه نفوسهم من المال والجاه .

وهذا يفسر لك ما كان يحذره الخليفة الأول سيدنا أبو بكر الصديق
رضي الله عنه حين أوصى أمير المؤمنين عمر بعد أن استخلفه على الناس ،
وقال له في وصيته :

« احذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذين انتفخت أجوافهم وطمحت أبصارهم ، وأحب كل امرئ نفسه وإن
منهم الحيرة عند زلة واحد منهم ، فاياك أن تكونه ، واعلم أنهم لن يزالوا
منك خائفين ما خفت الله » .

بين سياستي عمر وعثمان :

وقد التزم أمير المؤمنين عمر هذه الوصية ، فحجّر على أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبرحوا المدينة ، حتى لقد كانوا يستأذنونهم
فى الخروج للقتال ، فكان يقول لهم : كفاكم شرف الجهاد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

أما أمير المؤمنين عثمان ، فقد غير تلك السياسة ، وسمح لأصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضربوا فى الأرض ، فاتسعت تجارتهم ،
وكثر أموالهم ، ولعله كان مدفوعا فى ذلك التغيير بما رآه من مللهم من
شدة أمير المؤمنين عمر ، وكان أمير المؤمنين عمر يلحظ فى أخريات أيامه ملل
قريش منه ويتمنى لو ترك الخلافة ، بل انه تمنى الموت وطلبه من الله فى
رجوعه من الحج الأخير فاستجاب له .

رسائل متبادلة بين الامام على ومعاوية :

وعلى ضوء ما تقدم ، انظر فى الرسالتين التاليتين المتبادلتين بين أمير
المؤمنين على كرم الله وجهه ومعاوية ، لترى المشادة واضحة بين الصديق
والمغالطة ، أو بين الدين والدنيا ، أو بين الخلافة التى يمثلها أمير المؤمنين
على ، والملك الذى ينشده معاوية ، الذى ألف حضارة الشام ، ورخاء
العيش ، ورأى ملوك الرومان المجاورين فى أبهة ملكهم ، وسعة مظاهرهم .

كتب أمير المؤمنين على الى معاوية بعد واقعة الجمل (وقد سبقته كتب كثيرة من المدينة المنورة) :

سلام عليك ، أما بعد فان بيعتى بالمدينة لزمك وأنت بالشام ، لأنه بايعنى الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بوعوا عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه أماما ، كان ذلك لله رضا ، وإن خرج عن أمرهم ردوه الى ما خرج عنه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ، واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وإن طلحة والزبير ، بايعانى ، ثم نقضا بيعتهما ، وكان نقضهما كردهما ، فجاهدتهما ، بعد ما أعذرت اليهما ، حتى جاء الحق ، وظهر أمر الله وهم كارهون .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فان أحب الأمور الى قبلك العافية ، وقد أكثرت فى قتلة عثمان ، فان رجعت عن رأيك وخلافك ، ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم الى ، حملتك وإياهم على كتاب الله .

وأما تلك التى تريدنا — يعنى الخلافة — فهى خدعة الصبى عن اللبن ، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدتنى أبرأ قرش من دم عثمان ، واعلم أنك من الطلقاء (يشير الى أن معاوية وأباه أطلقا من الأسر يوم فتح مكة ، حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقرش ما تظنون أنى فاعل بكم ، قالوا أخ كريم وابن أخ كريم فقال فى سماحته النبوية اذهبوا فاتم الطلقاء) ، الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون فى الشورى . وقد بعثت اليك والى من قبلك ، جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الايمان والهجرة ، فبايعه ولا قوة الا بالله .

وقد رد معاوية قائلا :

سلام عليك ، أما بعد فلعمري لو بايعك الذين ذكرت ، وأنت برىء من دم عثمان ، لكنت كأبى بكر وعمر وعثمان ، ولكنك أغريت بدم عثمان ، وخذلت الأنصار ، فاطاعك الجاهل ، وقوى بك الضعيف .

وقد أبى أهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان ، فان فعلت
كانت شورى بين المسلمين ، وانما كان الحجازيون هم الحكام على الناس
والحق فيهم ، فلما فارقه كان الحكام على الناس أهل الشام ، ولعمري
ما حجتك على أهل الشام كحجتك على طلحة والزبير ، ان كانا بايعاك فلم
أبايعك أنا .

فأما فضلك في الاسلام ، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلست أدفعه .

تعقيب على رسالة معاوية :

وها أنت ترى معنى من رد معاوية كل مغالطة ، وانى لأعجب كيف
تصدر مثل هذه الرسالة من رجل صحابي ، وقد ضمنها مبادئ خطيرة ،
لا يقوم أى حجة صحيحة ، وقد أهدر فيها حقوقا كثيرة ، واليك
ما أراه فيها من الأباطيل :

أولا : انه اتهم أمير المؤمنين بدم عثمان والتحريض عليه ، وهو عكس
ما وقع ، وقد مر عليك أنه دفع عنه بكل الوسائل حتى غلب عليه قضاء الله .

ثانيا : انه أسقط العدالة عن المهاجرين والأنصار ، مدعيا عليهم أن
الحق فارقههم الى أهل الشام ، وهذا محض افتراء على أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وعلى أهل بدر الذين لم يتخلف واحد منهم عن بيعة
أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، ورضاء الله على أهل بدر ثابت ، والامام
على من أبرزهم .

ثالثا : ان معاوية يعترف بفضل الامام على في الاسلام بقوله ، ولا
يعترف به في فعله ، فلو أنه كان صادقا فيما يقول ، لوقف منه موقف المقر
بفضله ، لكنه خاصمه ، وفجر في خصومته ، ولم يقف في الخلاف معه عند
دم عثمان الذى يدعيه ، بل فتح للباطل أبوابا أخرى ، فتسليم قتلة عثمان
لا يكفى ، وشورى الحجازيين والعراقيين لا تكفى ، لأنهم ليسوا على حق ،
وانما أهل الشام هم أهل الحق وحدهم .

وهكذا يصارع باطل المبطلين حق المحققين في غير تحرج أو تأثم ، ولا حول ولا قوة الا بالله .

الحرب بعد المسألة :

ولما لم يجد الاقناع الصادق شيئا ، زحف أمير المؤمنين على بجيشه من الكوفة الى صفين ووجد جيش معاوية على الماء ، فنجاه عنه بقتال بعد أن أبى معاوية أن يخلي السبيل الى الماء ، وهو موقف غير انساني من معاوية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا أن نحسن في الطعام والشراب للحيوان فكيف بالانسان .

وأيّن موقف معاوية الذي ينافي الانسانية من موقف أمير المؤمنين على فانه حين غلب معاوية على الماء لم يعامله بالمثل بل سمح لجيش معاوية بالماء ، ولم يقابل السيئة بالسيئة ، ولو فعل ما كان ملوما في لغة الحرب ، والبادي أظلم .

ثم وقع قتال شديد بين جيش العراق وعلى رأسه أمير المؤمنين على ، وبين جيش الشام ، وعلى رأسه معاوية ، ولاحت كفة النصر لأمير المؤمنين في ليلة الهرير التي بلغ القتال فيها أشده ، وهم معاوية بالفرار مهزوما ، لولا أن عمرو بن العاص أشار عليه بخدعة رفع المصاحف على أسنة الرماح كإشارة الى طلب التحكيم بين الفريقين .

خدعة التحكيم :

وعلى الرغم من أن أمير المؤمنين بين لجيشه أنها خدعة وبين لهم أن خصومهم ليسوا أهل دين مأمون ، الا أنهم ركبوا رءوسهم ، واستحوذ عليهم الشيطان فعاندوا أميرهم ، وطلبوا أن يرسل أمره للأشتر ليتراجع ويوقف القتال ، وكان الأشتر قد دخل عسكر معاوية متقدما منتصرا ، ولما رجا الأشتر أن يمهل ساعة واحدة يكسب فيها النصر على أئمه ، تمرد جيش أمير المؤمنين وزادوا عتوا وعفوقا في ساعة الجدة التي تجب فيها الطاعة ، كما يجب فيها اتحاد الكلمة ، ووصل بهم العقوق أنهم هددوه بتسليمه لمعاوية أو قتله كما قتل عثمان ، وجدّيز بالذكر أن فكرة رفع

المصاحف ، لم تكن من ابتكار عمرو بن العاص بل انها أصلا من ابتكار أمير المؤمنين على فهو الذى رفعها من قبل فى معركة الجمل ، وعنه أخذ الفكرة عمرو فى معارك صفين .

الاشعث بن قيس وموقفه المشين :

وعندئذ أكره أمير المؤمنين على قبول التحكيم الذى لم يكن فى محله ، وكان على رأس العاقين المشاقين ، الاشعث بن قيس الذى خطب فى قومه من كتدة قائلا :

قد رأيتم يا معشر المسلمين ما كان فى يومكم هذا الماضى ، وما قد فنى فيه من العرب ، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ ، فما رأيتم مثل هذا اليوم قط ، الا فليبلغ الشاهد الغائب ، انا ان لم تتواقف غدا لفنيت العرب ، وضيعت الحرمات ، أما والله لا أقول هذه المقالة خوفا من الحرب ، ولكنى رجل مسن أخاف على النساء والذرارى غدا اذا فنيانا .

ويحق للقارىء أن يعجب لمثل هذا الموقف المشين من الاشعث ، وقد كان الأشتر متقدما بجنده داخل عسكر معاوية ، وكانت روح عسكر الشام قد ضعفت حين قتلوا عمار بن ياسر الصحابى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، وكان عمار رضى الله عنه يقاتل بهمة لا تعرف الكلل (رغم شيخوخته) فى صف أمير المؤمنين على ، بل كان يده اليمنى يومئذ وقد جاء فى الحديث الشريف : (ان الجنة تشتاق الى أربع ، عمار وعلى وسلمان وبلال) .

تاريخ الاشعث :

ويزول عن القارىء العجب ، اذا وقف على تاريخ الاشعث بن قيس ، فقد كان ذلك الرجل على رأس كتدة وكان يطمع فى الملك ، ثم ارتد بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، فحاربه سيدنا أبو بكر وحصره فى الحصن ، حتى استسلم على أن يسلم بدمه ودم عشرة من أصحابه ، وجاء ثائبا الى سيدنا أبى بكر ، فقبل توبته وزوجه أخته أم فروة .

اكرهه امير المؤمنين على اختيار أبى موسى الأشعرى فى التحكيم :

وليت الأشعث ترك لأمير المؤمنين أن يختار الحكم الذى يطمئن الى وعيه وصحة رأيه ، حين اختار معاوية عمرو بن العاص من جانبه للتحكيم ، فأراد أمير المؤمنين على أن يقابله بعبد الله بن عباس من جانبه ، الا أن الأشعث عارض وقال : انا رضينا بأبى موسى الأشعرى ، فقال أمير المؤمنين انه ليس لى بثقة ، قد فارقتى وخذل الناس عني « كان ذلك فى واقعة الجمل » ثم هرب حتى أمنتته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس نوليّه ذلك ، قالوا لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ، ليس الى واحد منكما بأدنى من الآخر .

قال فانى أجعل الأشر فقال الأشعث — وهو يحسد الأشر على مكائته وبلائه — وهل سعر الارض غير الاشر أو قال وهل نحن الا فى حكم الأشر .

فلما رأى الامام اصرارهم وقلة أنصاره ، قال قد أبيتتم الا أبا موسى . قالوا نعم ، قال فاصنعوا ما بدالكم .

تعقيب للعلامة العقاد :

واليك ما يعقب به العلامة المرحوم عباس العقاد على موقف ذلك الأشعث فى كتابه « عبقرية الامام على » :
« فهذا رجل من الزعماء ، المطاعين فى جيش على ، لم يدع من وسعه شيئا لتغليب حزب معاوية على حزبه ، واستكثر عليه أن يكون الحكم الذى يختاره نصيرا له ، مؤمنا بحقه وصحة رأيه .

ولا طائل فى البحث عن هذا الخذلان الصريح ، آكان هو الطمع فى الملك بعد فشل على ، أم النعمة على الأشر النخعي فى مكائته وبلائه ، أم التواطؤ بينه وبين معاوية على منفعة مؤجلة ومكافأة موعودة » .

رأى للمؤلف :

وانى أقول تعقبيا على كلام العلامة العقاد ، انى أرجح الاحتمال الثالث وهو الأخير ، وأستند فى ترجيحي هذا الى ما يأتى :

أ) ان الامام الحسن ، كما علمت مات مسموما ، وقد دست له السم زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس ، فكما خذل أبوها أمير المؤمنين عليا ، قتلت هي زوجها لمال أعطى لها ، ووعد بزواجها من يزيد ، فوفى لها المال ولم يأمنوها على حياة يزيد .

ب) ان معاوية كما ستري فيما بعد ، اشترى بماله ذمة عبيد الله بن عباس ، وكان صاحب لواء في جيش أمير المؤمنين الحسن بن علي ، ودفع له معاوية نصف المال الذي وعده به فورا ، ووعد به بدفع النصف الثاني عندما يدخل معاوية الكوفة .

وقد ترك عبيد الله بن عباس لواءه وانحاز الى صف معاوية ، مما اضطر قيس بن سعد بن عبادة أن يصلى بالناس بدله ، واذا كان معاوية قد اشترى ذمة عبيد الله بن عباس وهو من صميم بنى هاشم ف شراء غيره أيسر وأرخص .

وقد ذهب المال وذهب الرجال وسجل التاريخ موقفا مخزيا لكل من معاوية وعبيد الله بن عباس .

ج) ان معاوية أغرى عمرو بن العاص بخراج مصر كلها ان تم له الأمر ، فوقف الى جنبه عمرو الى نهاية الشوط ، وستري موقفا غير مشرف لعمرو في أمر التحكيم ، خان فيه أمانة الله ، وصالح المسلمين العام ، أقول ذلك على أسف بالغ منى ، ولا أستطيع أن أدارى ماتواترت الأخبار الصحيحة به .

امير المؤمنين يصف فساد جيشه :

هذا ونرجع لما كنا فيه فنقول انه لم يخف على امامنا على كرم الله وجهه خبت أنصاره ولا فساد نياتهم فخطبهم قائلا :

أيها الناس ، المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهى الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم .. الى أن قال :

« أصبحت والله لا أصدق قولكم ، ولا أطمع في نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، ما بالكم ما دواؤكم ، ما طبكم ، القوم رجال أمثالكم ، أقولا بغير علم ، وغفلة من غير ورع ، وطمعاً في غير حق » .

عمرو يخدع أبا موسى :

ثم ان الحكمين اجتمعاً في دومة الجندل (بين العراق والشام) وتشاورا ، وبعد جدال وأخذ ورد اتفقا على خلع الزعيمين علي ومعاوية ، وقدم عمرو أبا موسى ليعلن القرار الذي اتفقا عليه ، وكان ابن عباس حذره من كيد عمرو وغدره ، وقال له ان اتفقتما على شيء فليعلنه عمرو أولاً ، لكنه لم يسمع نصيح ابن عباس ، وتقدم أبو موسى ليعلن القرار فقال بعد تمهيد :

« .. أيها الناس ، انا قد نظرنا في أمر هذه الأمة ، فام نر أصلح لأمرها ولا ألهم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه ، وهو أن نخلع علياً ومعاوية ، ونستقبل الأمة بهذا الأمر ، فيولوا منهم من أحبوا عليهم ، واني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم ، وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً » .

وتلاه عمرو فقال بعد تمهيد :

« .. ان هذا قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه ، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه ، وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ، الطالب بدمه ، وأحق الناس بمقامه » .

أبو موسى وعمرو يتبادلان الشتائم :

فغضب أبو موسى وصاح به : ما لك لا وفقك الله ، غدرت وفجرت ، انما مثلك مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .
فابتسم عمرو ، وهو يقول ، انما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا .
وكما قال العلامة العقاد رحمه الله : انتهت المأساة بهذه المهزلة ، وأتتهت المهزلة بهذه المأساة .

موقعة النهروان

فتنة الخوارج :

وبعد التحكيم ، زاد الطين بلة ، فقامت بسبب التحكيم فتنة الخوارج ، وانضافت مأساة ثالثة على عاتق أمير المؤمنين على ، ويرحم الله أمير الشعراء شوقي حين قال له :

يا جبلا تأبى الجبال ما حمل

وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة .

وقد قال الخوارج فيما بينهم ، ان هذين الحكيمين قد حكما بغير ما أنزل الله ، وقد كفر اخواتنا حين رضوا بهما ، وحكموا الرجال في دينهم ، ونحن على الحق من بين هذا الخلق .

وحاول أمير المؤمنين على كعادته أن يسالهم ويقنعهم لعلمهم يرشدون ، لكنهم كانوا متهوسين ، وبلغ بهم الهوس الى أن كفروا الامام وأصحابه ، ورأوا أن يعاملوهم في الحرب والسلم على أنهم كفار .

وعلى الرغم من موقفهم الشائن هذا ، فقد رفع أمير المؤمنين عليه السلام في الساحة راية ضم اليها الف رجل ونادى ، من التجأ الى هذه الراية فهو آمن ، وقال لأصحابه لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ، فصاح الخوارج صيعتهم لا حكم الا لله وان كره المشركون ، وهى الصيحة التى عقب عليها أمير المؤمنين عليه السلام بكلمته المشهورة فقال : « كلمة حق أريد بها باطل » .

وعندئذ لم يجد أمير المؤمنين مناصا من قتالهم في موقعة النهروان ، فما هى الا ساعة ، حتى قتل منهم نحو أربعة آلاف وبقي منهم نحو أربع مائة

أصيبوا بجراح وعجزوا عن القتال ، فأمر بهم أمير المؤمنين فحملوا الى
عشائرهم ، لينظروا من فيه رمق فيدركوه بعلاج .

وماذا بعد قتال الخوارج

الاشعث يعوق الحرب مرة اخرى :

وأراد أمير المؤمنين ، كرم الله وجهه ، أن يسير الى الشام ليلقى جيش
معاوية ، فتصدى له الأشعث بن قيس مرة أخرى ، كما تصدى له من قبل
فى الفرصة السانحة للغلبة وقال له على مسمع من الناس :

« يا أمير المؤمنين ، تغدت نبائنا ، وكبت سيوفنا ، ونصلت أسنة
رماحنا ، فارجع بنا الى مقرنا ، لنستعد بأحسن عدتنا ، ولعل أمير المؤمنين
يزيد فى عدتنا عدة من هلك منا ، فإله أوفى لنا على عدونا » .

وتسلل الجند من معسكرهم ، ولاذ من لاذ بالمدن القريبة منهم ،
وأيقن أمير المؤمنين أن القوم مرقوا من يده ، ولا طاعة له عليهم اذا دعاهم
للقتال .

جيش معاوية فى طاعته :

وعلى عكسه كان معاوية ، فان جنده كانوا فى طاعته ، وأعانه الخوارج
غير عامدين ، فحاربوا أمير المؤمنين ولم يحاربوه ، وطلبوا التوبة من أمير
المؤمنين ولم يطلبوها من معاوية .

واستمر معاوية فى ارسال بعوثة وسراياه ، فلم تنقض سنتان حتى
كانت معه مصر والمدينة ومكة ، وبقي أمير المؤمنين على فى قطاع الكوفة
يائسا منعزلا عن الناس ، ويوجس شرا من أقرب المقربين اليه .

ولست أجد فى وصف أهل العراق وموقفهم من أمير المؤمنين أبلغ من
كلامه هو حين خاطبهم قائلا :

أخلاقكم دقاق ، وماؤكم زعاق ، ودينكم نفاق ، وعهدكم شقاق ،
القائم بين أظهركم مرتين بذنبه ، والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه .

اغتيال أمير المؤمنين غدرا

الخوارج يفدون بأمير المؤمنين :

ثم كان ما قدره الله من اغتيال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه غدرا بيد أحد الخوارج فمات شهيدا راضيا مرضيا .

ذلك بأن ثلاثة من الخوارج هم : عبد الرحمن بن ملجم ، والبرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر التميمي ، وهم من غلاة الخوارج الموتورين ، اجتمعوا وتذاكروا القتل من المسلمين عامة ، وألقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة من الكفار أو أئمة الضلال (في رأيهم السفيه) وهم : على بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، فقال ابن ملجم : أنا أكفيكم على بن أبي طالب ، وقال البرك ، أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان ، وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص .

فأما عمرو بن العاص فقد اشتكى بطنه فلم يخرج من ليلته تلك ، وأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته أن يصلي بالناس ، فقتله عمرو بن بكر وهو يحسبه عمرو بن العاص ، فقال عمرو بن العاص ، أردتني وأراد الله خارجة ، وأمر بقتله .

وأما معاوية فضربه البرك بن عبد الله ، فوقعت الضربة على يتيه فمولى وشفى .

وأما أمير المؤمنين على فضربه ابن ملجم في جبينه بسيف مسموم ، وهو خارج لصلاة الفجر فمات بعد أيام .

ومن ورعه أوصى كرم الله وجهه ، ألا يمثل أهله بقاتله ، وقال لهم « يا بني عبد المطلب لا ألقينكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون قتل أمين المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، إلا لا يقتل أحد الا قاتلي .

« انظر يا حسن اذا أنا مت من ضربته هذه ، فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، « اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور » .

دور المرأة في اغتيال أمير المؤمنين علي :

ومن عجيب الأمور ، أن تلعب امرأة دورها في اغتيال أمير المؤمنين علي ، وأن تلعب امرأة أخرى دورها في سم ابنه الامام الحسن السبط ، وقد وقف القارىء على قصة سم الامام الحسن ، خيانة من خصومه ، وغدرا بيد زوجته جعدة بنت الأشعث .

أما دور المرأة في اغتيال أمير المؤمنين علي فهو أن ابن ملجم لعنه الله والملائكة والناس أجمعون ، كان يحب فتاة من تيم الرباب يقال لها قطام ، قتل أبوها وأخوها وبعض أقربائها في معركة الخوارج ، وكانت توصف بالجمال الفائق ، والشكيمة القوية ، وتدين بمذهب أهلها ، فوق ما في جوانحها من لوعة الحزن على قتل ذويها .

فلما خطبها ابن ملجم لم ترض به زوجها الا أن يشفى لوعتها ، وقال وما يشفيك ، قالت ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة وقتل علي بن أبي طالب.

وشاء الله أن تنتهي حياة الامام علي الغالية في ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة من رمضان سنة ٤٠ هـ على يد الآثم الفاجر ابن ملجم خطيب قطام ، وفي ذلك يقول ابن ابي مياس المرادي .

ولم أر مهرا ساقه ذو سماعة كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسم
فلا مهر أعلى من علي وإن غلا ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

آخر كلمات أمير المؤمنين :

وعلى الرغم من ألم الجراح وشدة سكرات الموت ، فإن أمير المؤمنين كرم الله وجهه ، لم يبرح الدنيا الفانية قبل أن يوصي أبناءه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ، فقد دعا اليه الحسن والحسين رضي الله عنهما وقال لهما :

« أوصيكما بتقوى الله ، ولا تبغيا الدنيا وإن بفتكما ، ولا تبكيا على شيء زوى عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، واغنيا الضائع ، واصنعا

للاخرة ، وكونا للظالم خصما ، وللمظلوم ناصرا ، واعملا بما في كتاب الله ، ولا تأخذكما في الله لومة لائم .

ثم نظر الى أخيهما لأبيهما محمد بن الحنفية رضى الله عنه وقال له : « هل حفظت ما أوصيت به أخويك ، قال نعم ، قال فاني أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، العظيم حقهما عليك ، وتزین أمرهما ، ولا تقطع أمرا دونهما .

ثم قال لهما ، وصيتكما به فانه شقيقكما وابن أيسكما ، وقد علمتما ان أباكما كان يجب فاحياه .

ثم قيل له نبايع الحسن من بعدك ؟ فقال لا آمركم ولا أنهاكم ، أترككم كما ترككم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ذلك أنه أراد أن تكون الخلافة شورى ويختاروا لأنفسهم .

ثم كتب كرم الله وجهه وصيته ، ولم يتكلم الا بلا اله الا الله حتى فاضت روحه الى روح وريحان وجنة نعيم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبأه بما وقع له ، فقد قال له يوما : أتعلم من أشقى الأولين ؟ قال نعم عاقر الناقة ، فقال ألا تعلم من أشقى الآخرين ؟ قال لا ، قال الذى يضربك على هذه فيخضب هذه .

بيعة الامام الحسن بالخلافة بعد ابيه :

روى أبو الفرج بسنده فى مقاتل الطالبين ، ويؤيده ما جاء فى الطبرى وابن الأثير وابن أبى حديد ، أن الامام الحسن خطب بعد وفاة أبيه أمير المؤمنين على عليهما السلام فقال :

« لقد قبض فى هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل ، ولا يدركه الآخرون بعمل ، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقيه بنفسه ، ولقد كان يوجهه برأيه ، فيكتفه جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه ، وقد توفى فى هذه الليلة التى عرج فيها بعيسى بن مريم ، ولقد توفى فيها يوشع بن نون وصى موسى ،

وما خلف صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم بقيت من عطائه ، أراد أن يتناح بها خادما لأهله . ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه .

ثم قال : « أيها الناس ، من عرفنى فقد عرفنى ، ومن لم يعرفنى فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وسلم ، أنا ابن البشير ، أنا ابن النذير ، أنا ابن الداعى الى الله عز وجل بأذنه ، وأنا ابن السراج المنير ، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، والذين افترض الله مودتهم فى كتابه اذ يقول (ومن يقترب حسنة نزد له فيها حسنا) فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت » .

ثم قام ابن عباس بين يديه ، فدعا الناس الى بيعته ، فاستجابوا له ، وقالوا ما أحبه إلينا وأحقه بالخلافة فبايعوه .
ثم نزل عن المنبر .

تراسيس معاوية :

قال ودس معاوية رجلا من بنى حمير الى الكوفة ورجلا من بنى القين الى البصرة يكتبان اليه بالأخبار ، فكشف أمرهما وقتلا .

رسالتان بين الامام الحسن ومعاوية :

قال وكتب الامام الحسن الى معاوية :

أما بعد فانك دسست الى الرجال ، كأنك تحب اللقاء ، وما أشك فى ذلك ، فتوقعه ان شاء الله ، وقد بلغنى أنك شمت بما لا يشمت به ذوو الحجى ، وانما مثلك فى ذلك كما قال الأول :

وقل للذى يبنى خلاف الذى مضى تجهز لأخرى مثلها فكان قد وانا ومن قد مات منا لكالذى يروح ويمسى فى المبيت ليقتدى وأنت تدرك من تلك الرسالة ذكاء الامام الحسن ، وبلاغة ارشاده للشامتين بالموت الذى لا مهرب منه لأى مخلوق .

قال فاجابه معاوية :

أما بعد ، فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ولقد علمت بما
حببت فلم أفرح ، ولم أحزن (؟) ولم أشتت ولم آس ، وإن عليا أباك
لكما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فأنت الجواد وانت الذي إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقاء يضرب منها النساء النحورا
وما مزيد من خليج البحار يعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده فيعطى الألوف ويعطى البدورا
أقول ولئن كان معاوية يقول انه لم يشمت فقد شمت بالفعل كما
نشرى فيما بعد ، وأما قوله انه لم يحزن ، فقد فاته الكياسة في قوله هذا ،
ولو انه اكتفى بنفى الثمالة ، لكان أكيس ، على أنه برغمه امتدح أمير
المؤمنين عليا بالشعر الذي تمثل به ، ولعله أراد أن يلاين الامام الحسن
مضطرا من باب السياسة .

جانب الدنيا في سياسة معاوية :

ولقد غلب على معاوية في سياسته ، جانب الدنيا ، على جانب الدين ،
وهو ما يفسر لك قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : والله ما معاوية
بأدهى منى ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى
الناس .

أما جانب الدنيا الذي غلب على معاوية في سياسته فيفسره قول
مستشاره الأول عمرو بن العاص حين قال : انه لا يصلح لهذا الأمر الا
رجل له ضرسان ، يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وذلك الذي يقوله عمرو
اتبعه معاوية فأكل بضرس وأطعم بالآخر ، ووالأسفاه على دين يرخص، ودنيا
تغلو .

الامام الحسن يكتب لمعاوية مرة اخرى :

قال أبو الفرج ، وكتب الامام الحسن عليه السلام الى معاوية مع
جندب بن عبد الله الأزدي :

بسم الله الرحمن الرحيم . من الحسن بن على أمير المؤمنين الى معاوية بن أبى سفيان سلام الله عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد :

فان الله جل جلاله ، بعث محمدا رحمة للعالمين ، ومنة للمؤمنين ، وكافة للناس أجمعين (لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) فبلغ رسالات الله ، وقام بأمر الله حتى توفاه الله ، غير مقصر ولا وان ، وبعد أن أظهر الله به الحق ، ومحق به الشرك ، وخص به قرىشا خاصة ، فقال له (وانه لذكر لك ولقومك) .

فلما توفى تنازعت سلطانه العرب ، فقالت قرىش : نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ولا يحل لكم أن تنازعونا سلطان محمد وحقه ، فرأت العرب أن القول ما قالت قرىش ، وأن الحجة فى ذلك لهم ، على من نازعهم أمر محمد ، فأنعمت لهم (أى قالت نعم) وسلمت اليهم .

ثم حاجبنا نحن قرىشا بشئ ما حاجبت به العرب ، فلم تتصفنا قرىش النصف العرب لها ، انهم أخذوا هذا الأمر دون العرب ، بالاتصاف والاحتجاج .

فلما صرنا — أهل بيت محمد وأولياؤه الى حاجبتهم ، وطلب النصف (أى الانصاف) منهم — باعدونا ، واستولوا بالاجماع على ظلمنا ومراغمتنا والعنت منهم لنا ، فالموعد الله ، وهو الولي النصير .

واقعد كنا تعجبنا ، لتوثب المتوثبين علينا فى حقنا وسلطان نبينا ، وان كانوا ذوى فضيلة وسابقة فى الاسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المفاققون والأحزاب فى ذلك مغبرا يثلموه به ، أو يكون لهم بذلك سبب الى ما أرادوا من افساده .

فاليوم ، قلبت عجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفضل فى الدين معروف ، ولا أثر فى الاسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قرىش لرسول الله صلى الله عليه وآله

ولكتابيه ، والله حسيبك ، فسترد فتعلم لمن عقبى الدار ، وبالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليجزينك بما قدمت يدك ، وما الله بظلام للعبيد .

ان عليا لما مضى لسبيله ، رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم من الله عليه بالاسلام ، ويوم يبعث حيا ، ولاقى المسلمون الأمر من بعده ، فاسأل الله ألا يؤتينا في الدنيا الزائلة شيئا ينقصنا به في الآخرة مما عنده من كرامة .

وانما حملنى على الكتاب اليك ، الاعذار فيما بينى وبين الله عز وجل فى أمرى ، ولك فى ذلك ان فعلته الحظ الجسيم ، والصالح للمسلمين ، فدع التمدادى فى الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى ، فانك تعلم انى أحق بهذا الأمر منك عند الله وعند كل أواب حفيظ ومن له قلب منيب .

واتق الله ودع البغى ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير فى أن تلقى الله من دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به ، وادخل فى السام والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ، ليطفىء الله النائرة (أى المداوة) بذلك ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين .

وان أنت آيت الا التمدادى فى غبك ، سرت اليك بالمسلمين فحاكمتك ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .

تعقيبى على الكتاب المتقدم :

وأود أن أعقب قليلا على ذلك الكتاب الكريم ، لأيسر للقارىء فهمه اذا لم يكن قد اطلع على تفاصيل التاريخ فى صدر الاسلام ، فأقول وبالله التوفيق :

كان قريش مركزها الاجتماعى بين قبائل العرب فى الجاهلية ، وكسبت مركزها ذلك بمواهب خصوا بها فى أمور الدنيا والدين ، فكانت لهم تجارتهم الواسعة فى رحلتى الشتاء والصيف ، كما كانوا قائمين على شؤون البيت الحرام فى مكة المكرمة ، من سقاية وعمارة وضيافة للوافدين من كل فج ، ثم أراد الله أن يلبسها فوق ذلك كله ، الشرف الخالد ، فاختر من قريش بنى هاشم واختار من بنى هاشم رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل القرآن الكريم بلغة قريش .

واستجاب لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدايتها من عشيرته الأقربين بنو هاشم ، وكان أولهم اسلاما في صباه الامام على كرم الله وجهه ، وكان أول المسلمين من الرجال أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو من بنى تيسم ، وأسلم على يده عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فكان أول من أسلم من بنى أمية ، وكان اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على تمام أربعين انسانا في أظهر الروايات ، وهو من بنى عدى ، وكلهم قرشيون وإن تنوعت فروعهم ، رضى الله عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لبنى هاشم في الجاهلية الشرف والسيادة على غيرهم من بيوتات قريش ، وزادوا في الاسلام شرفا بالرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وعندما أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بقتال الكافرين ، برزت تضحيات امامنا على في شبابه ، كما برزت تضحيات قومه من بنى هاشم واستشهد منهم في نصرة دين الله ، صناديد على رأسهم حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب .

ولما انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى اشتغل بتجهيزه الامام على كرم الله وجهه ، وكان الأنصار قد اجتمعوا بسقيفة بنى ساعدة ليختاروا خليفة له ، واتجهوا الى سعد بن عبادَةَ الخزرجي .

ولما علم سيدنا عمر بن الخطاب بذلك أسرع الى هنالك ومعه سيدنا أبو بكر الصديق ، وبعد أخذ ورد قال سيدنا عمر للحاضرين : من منكم يريد أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد به المرض أمر أن يصلى بالناس أبو بكر ، فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس ، ثم قال سيدنا عمر للحاضرين : لقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، أفلا نرضاه له . فإنا ، امدد يا أبا بكر يدك أبيابك ، فبايعه سيدنا عمر وبايعه الباقدون .

وقد تأخر امامنا على عن بيعه سيدنا أبي بكر ، وقالوا انه بايعه بعد ستة أشهر ، من موت السيدة فاطمة الزهراء .

واختلفوا في أسباب تأخره ، فمن قائل انه كان يرى نفسه أحق بالخلافة ، وكان عمه العباس قد عرض عليه أن يبايعه هو وأبو سفيان ، فيبايعه المهاجرون والأنصار ويقولون غم رسول الله بايع عليا ، وكان للعباس مكانه المرموق فيهم ، وكان معروفا بحصافة الرأي والرشد ، فلم يشأ الامام على أن يترك تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفرغ للبيعة .

ومن قائل انه حرص على شعور زوجته السيدة فاطمة الزهراء ، وكانت طالبت الخليفة أبا بكر الصديق بميراثها في راض فذك التي خلفها أبوها ، فقال لها رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة .

وقد بلغ من حرص سيدنا أبى بكر على مرضاة السيدة الزهراء ، أنه رضى الله عنه هدد بترك خلافة المسلمين ان لم تكن الزهراء راضية عنه .

ومن قائل ان الامام على ساءه أن تعقد البيعة ، في سقيفة بنى ساعدة دون أن يدعى لحضورها .

وكان عذر السلف الصالح واضحا في الاسراع بالبيعة ، قبل أن يشتد الخلاف ، بين المهاجرين والأنصار ، حيث كان كل فريق يرى أنه أحق بها من الفريق الآخر ، واحتج المهاجرون بأنهم أول الناس اسلاما وان كانت نصره الأنصار لا تنكر ، فقد نصروا دين الله بالنفس والمال .

ولما أسرعوا ببيعة سيدنا أبى بكر اطفأوا نار الفتنة ، ودانت سائر الأمصار ببيعة المهاجرين والأنصار بالمدينة وهم أهل الحل والعقد في المسلمين .

وعندما حان أجل سيدنا أبى بكر رضى الله عنه ، خاف أن يتكرر الخلاف بموته ، فاستخلف على المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووافق على بيعته المهاجرون والأنصار .

ولما طعن سيدنا عمر وأحس بأن ضريته قاتلة ، وقيل له أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، فقال رضى الله عنه ، ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى :

عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء ، فإن أصابت الامارة بسعدا ، فهو أهل لذلك ، والا فليستعن به أيكم أمر ، فاني لم أعزله عن عجز ولا عن خيانة .

ثم قال : أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعترف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم ، وأوصيه بالأنصار خيرا ، الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم ، أن يقبل من محسنهم ، وأن يغفو عن مسيئتهم ، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا ، فانهم درء الاسلام وجباة الأموال ، وغيط العدو ، الا يأخذ منهم الا فضلهم ، عن رضاهم ، وأوصيه بالأعراب خيرا ، فانهم أصل العرب ، ومادة الاسلام ، أن يؤخذ من حواشي أموالهم ، ويرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفى اليهم بمعهدهم ، وأن يقاتل من وراءهم ، والا يكلفوا الا طاقتهم .

فلما فرغ من دفن أمير المؤمنين عمر رضی الله عنه (على ما رواه البخاري) اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم . فقال الزبير : جعلت أمرى الى على ، فقال طلحة ، قد جعلت أمرى الى عثمان ، وقال سعد ، قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف .

فقال عبد الرحمن : أيكما تبرأ من هذا فنجعله اليه ، والله عليه والاسلام لينظرن أفضلهم في نفسه . فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن ، أفتجعلونه الي ، والله على الا آلو عن أفضلكم ، قالا نعم ، فأخذ يدا أحدهما فقال لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقدم في الاسلام مائة علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، وان أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ، ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك .

فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان ، فبايعه ، فبايع له على ، وولج أهل الدار فبايعوه .

وجاء في شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد أن أمير المؤمنين عمر كان يحصرها بتقديره في واحد من اثنين ، اما على واما عثمان ، لذلك نصح عليا

فقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى هاشم على رقاب الناس ، كما نصح عثمان وقال له : اذا بويعت فلا تحملن بنى معيط على رقاب الناس ، وقال أيضا : لو ولوها الأجلح (كان سيدنا على أصلع الرأس) لحملهم على الجادة ، فقبل له : فما منعك أن تستخلفه ، قال لا أحملها حيا وميتا ، فليختاروا لأنفسهم .

ثم كانت الثورة التي قامت آخر خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه وانتهت بمقتله ، واتفق رأى الثوار كما مر عليك الى مبايعة الامام على فكان يهرب منهم الى الحيطان (البساتين) ولكنهم الزموا الخلافة ، فأبى الا أن تكون بيعته علانية فى المسجد ، فبايعه الثوار الوافدون من مصر والكوفة والبصرة ، كما بايعه المهاجرون والأنصار وأهل بدر ، وهم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان قبله .

وقد علم القارئ الكريم من موجز تاريخ الامام على الذى قدمناه ، ما كان من أمر حروب الجمل وصفين والنهروان ، وما كان من أمر التحكيم ، وما كان من اغتيال أمير المؤمنين على غدر يد الأثر اللعين ابن ملجم الخارجى ، وما كان من أمر البيعة التى تمت لأمر المؤمنين الحسن بن على ، بعد مقتل أبيه كرم الله وجهه ، وكان لابد من اعطاء فكرة عن الخلافة الاسلامية منذ قامت ، الى أن وليها أمير المؤمنين الحسن بن على ، لارتباط رسالته المتقدمة التى بعث بها الى معاوية ، ولارتباط رد معاوية بها ، وما هو رد معاوية الذى كتب به للامام الحسن .

رد معاوية على الامام الحسن :

من معاوية أمير المؤمنين الى الحسن بن على : سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد فقد بلغنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت به محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضل كله قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلغ وأدى ، ونصح وهدى ، حتى اتقذ الله به من الهلكة ، وانار به من العمى ، وهدى به من الجهالة والضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيا عن أمته ، وصلوات الله عليه ، يوم ولد ويوم بعث ، ويوم قبض ، ويوم يبعث حيا .

وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، وتنازع المسلمين الأمر بعده ،
وتغلبهم على أيك ، فصرحت بتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ،
وأبى عبيدة الأمين ، وحوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصلحاء
المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، أنت امرؤ عندنا وعند الناس غير
الظنين ولا المسيء ، ولا اللئيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والذكر
الجميل .

ان هذه الأمة ، لما اختلفت بعد نبيها ، لم تجهل فضلكم ولا سابقكم ،
ولا مكانكم فى الاسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقرش
لمكانها من نبيها ، ورأى صلحاء الناس من قرش والأنصار وغيرهم من
سائر الناس وعوامهم أن يولوا هذا الأمر من قرش أقدمها اسلاما ، وأعلمها
بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاخاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى
ذوى الدين والفضل ، والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك فى صدوركم لهم التهمة ،
ولم يكونوا متهمين ، ولا فيما اتوا بالمخطئين ، ولو رأى المسلمون أن فيكم
من يغنى غناه ، ويقوم مقامه ، ويذب عن حريم الاسلام ذبه ، ما عدلوا
بالأمر الى غيره رغبة عنه ، ولكنهم عملوا فى ذلك بما رأوه صلاحا للاسلام
وأهله والله يجزيهم عن الاسلام وأهله خيرا .

وقد فهمت الذى دعوتنى اليه من الصلح ، والحال فيما بينى وبينك
اليوم ، مثل الحال التى كنتم عليها ، أتم وأبو بكر بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وآله .

فلو علمت أنك أضبط منى للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن
سياسة ، وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو ، لأجبتك الى مادعوتنى
اليه ، ورأيتك لذاك أهلا ، ولكن قد علمت أنى أطول منك ولابة ، وأقدم
منك بهذه الأمة تجربة ، وأكبر منك سنا ، فأنت أحق أن تجيئنى الى هذه
المنزلة التى سألتنى .

فادخل فى طاعنى ولك الأمر من بعدى ، ولك ما فى بيت مال العراق
بالغا ما يبلغ ، تحمله الى حيث أحببت ، ولك خراج أى كور العراق شئت ،
معوثة لك على تفقتك ، يجيئها أمينك ويحملها اليك فى كل سنة ، ولك الا

نستولي عليك بالاساءة ، ولا نقضى دونك الأمور ، ولا نعصى فى أمر اردت به طاعة الله ، أعاننا الله وإياك على طاعته انه سميع مجيب الدعاء والسلام .
وروى أبو الفرج فى مقاتل الطالبين بسنده عن جندب قال . فلما أتيت الحسن بكتاب معاوية — قلت له أن الرجل سائر اليك ، فابدأه بالمسير ، حتى يقاتله فى أرضه وبلاده وعمله — فاما أن تقدر أن ينتاد لك ، فلا والله حتى يرى منا أعظم من صفين ، فقال أقعل ، ثم قعد عن مشورتى وتأسى قولى .

رسالة اخرى من معاوية للامام الحسن :

قالوا وكتب معاوية الى الحسن :

أما بعد ، فان الله يفعل فى عباده ما يشاء ، لا معقب لحكمه ، وهو سريع الحساب ، فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعا من الناس ، وأياس من أن تجد فينا غمزة ، وان أنت عرضت عما أنت فيه وبايعتنى ، وأفيت لك بما وعدت وأجريت لك ما شرطت ، وأكون فى ذلك ، كما قال
أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وان أحد أسدى اليك أمانة فأوف بها تدعى اذا مت وافيًا
ولا تحصد المولى اذا كان ذا غنى ولا تجفنه ان كان فى المال فانيًا

رد الامام الحسن على معاوية :

فأجابه الحسن عليه السلام :

أما بعد فقد وصل الى كتابك ، تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك ، خشية البغى منى عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أنى من أهله ، وعلى اثم أن أقول فأكذب والسلام .

معاوية يكتب الى عماله على النواحي :

فاما وصل كتاب الحسن عليه السلام الى معاوية قراء ، ثم كتب الى عماله على النواحي بنسخة واحدة :

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين الى فلان بن فلان ومن قبله من المسلمين ، سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو . أما بعد :
فالحمد لله الذي كماكم مؤونة عدوكم ، وقتل خليفتم ، ان الله بلطفه ، وحسن صنعه أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده ، فاغتاله فقتله ، فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم ، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائهم ، فاقبلوا الى حين يأتيكم كتابي هذا بجهدكم وجندكم ، وحسن عدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الصبر ، وبلغتم الأمل ، وأهل الله أهل البغى والعدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتاب معاوية يشهد بشماتته في موت أمير المؤمنين على :

أقول : فكيف نفي معاوية شماتته بموت الامام على في رده على الامام الحسن الذي مر عليك ، وشماتته في كتابه الى عماله ظاهرة ، وهل من الصدق أن ينسب البغى والعدوان للامام على ، ولكنهم قديما قالوا رميتى بدائها وانسلت .

الفئة الباغية :

ولقد قتل جند معاوية في صفين الصحابي الجليل عمار بن ياسر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : تقتلك الفئة الباغية ، كما سلف القول ، فلا حجة لمعاوية فيما يدعيه بغير حق ، من أن الامام عليا وأنصاره أهل بغى .

معاوية تغلبه السياسة على دينه :

وأي شهادة معاوية هذه في امامنا على ، من شهادة امامنا على حين سئل عن معاوية وأصحابه وقيل له : أكفار هم ؟ قال لا من الشرك فروا ، قالوا ، أنما نقول هم ؟ قال لا ، ان الله قال في المنافقين (ولا يذكرون الله الا قليلا) وليسوا هم كذلك قالوا فما حالهم ، قال اخواتنا بغوا علينا .

ومن هنا تعلم أن السياسة لم تغلب الامام عليا كما تغلبت معاوية ، فحافظ الامام على كرم الله وجهه على دينه بينما تهاون معاوية فيه .

الامام الحسن يجمع جيشه :

قالوا ، فاجتمعت العساكر الى معاوية ، فسار بهم قاصدا الى العراق ، وبلغ الامام الحسن خبره ومسيره نحوه ، وأنه قد بلغ جسر منبج ، فتحرك عند ذلك ، وبعث حجر بن عدي فأمر العمال والناس بالتهيؤ للمسير ، ونادى المنادى الصلاة جامعة ، فأقبل الناس يثوبون ويجمعون ، وقال الحسن : اذا رضيت الجماعة ، فأعلموني .

وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال له اخرج .

فخرج الحسن عليه السلام فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه ، وسماه كرها ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين : اصبروا ان الله مع الصابرين ، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون .

بافنى أن معاوية بلغه أننا كنا أزمعنا على المسير اليه ، فتحرك لذلك ، اخرجوا رحمكم الله ، الى معسكركم بالنخيلة ، حتى لنظر وتنظروا ، ونرى وتروا .

قالوا : والله فى كلامه ليتخوف خذلان الناس له ، قالوا فسكتوا فما تكلم منهم أحد ولا أجابه بحرف .

شجاعة عدى بن حاتم ووفاءه :

فلما رأى ذلك عدى بن حاتم قام فقال : أنا ابن حاتم ، سيحان الله ، ما أقبح هذا المقام ، ألا تجيبون امامكم ، وابن بنت نبيكم ، ابن خطباء مضر ، أين المسلمون ، أين الخواضون من أهل مصر ، الذين ألسنتهم كالمخاريق فى اللغة ، فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب ، أما تخافون مقت الله ، ولاعيها وعارها .

ثم استقبل الامام الحسن بوجهه فقال : أصاب الله بك المراءى ، وجنبك المكاره ، ووفقك لما تحمد ورده وصدرك ، قد سمعنا مقاتلتك ،

واتهينا الى أمرك ، وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت ، وهذا وجهي الى معسكري ، فمن أحب أن يوافيني فليواف .

ثم مضى لوجهه ، فخرج من المسجد ودابته بالباب ، فركبها ومضى الى النخيلة ، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه ، وكان عدى بن حاتم أول الناس عسكرا .

نخبة من الأوفياء :

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، ومقل بن قيس الرياحي ، وزياد بن صعصعة التيمي ، فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم ، وكلموا الامام الحسن بمثل كلام عدى بن حاتم في الاجابة والقبول .

فقال لهم الامام الحسن عليه السلام ، صدقتم رحمكم الله ، ما زلت أعرفكم بصدق النية والوفاء والقبول والمودة الصحيحة ، فجزاكم الله خيرا ثم نزل .

وخرج الناس وعسكروا ، ونشطوا للخروج ، وخرج الامام الحسن الى المعسكر ، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وأمره باستحثاث الناس واشخاصهم اليه ، فجعل يستحثهم ويستخرجهم حتى يلتئم المعسكر .

ابن عباس يئدوايه للامام الحسن :

وروى ابن أبي حديد بسنده عن المدائني عن أبي بكر بن الأسود قال : كتب ابن عباس الى الامام الحسن : أما بعد فإن المسلمين ولوك أمرهم بعد على عليه السلام ، فشمز للحرب وجاهد عدوك ، وقارب أصحابك ، واشتر من الظنين دينه بما لا يثلم لك دينا ، ووال أهل البيوتات والشرف ، تستصلح به عشائهم ، حتى يكون الناس جماعة ، فإن بعض ما يسكره الناس — مالم يتعد الحق ، وكانت عواقبه تؤدي الى ظهور العدل وعز الدين — خير من كثير مما يحبه الناس اذا كانت عواقبه تدعو الى ظهور الجور وذل المؤمنين وعز الفاجرين .

واقئتد بما جاء عن أئمة العدل ، فقد جاء عنهم أنه لا يصلح الكذب الا في حرب أو اصلاح بين الناس ، فان الحرب خدعة ، ولك في ذلك سعة اذا كنت محارباً مالم تبطل حقاً .

واعلم أن علياً اباك ، انما رغب الناس عنه الى معاوية ، انه أساء اليهم في الفىء ، وسوى بينهم في العطاء فثقل عليهم .

واعلم أنك تحارب من حارب الله ورسوله في ابتداء الاسلام ، حتى ظهر أمر الله ، فلما وحد الرب ومحق الشرك وعز الدين ، أظهروا الايمان ، وقرأوا القرآن ، مستهزئين بآياته ، وقاموا الى الصلاة وهم كسالى ، وأدوا الفرائض وهم لها كارهون .

فلما رأوا أنه لا يعز في الدين الا الاتقياء الأبرار ، توسموا بسيمى الصالحين ، ليظن المسلمون بهم خيراً ، فما زالوا بذلك حتى شركوهم فى أمانياتهم ، وقالوا حسابهم على الله ، فان كانوا صادقين فاخواننا في الدين ، وان كانوا كاذبين كانوا بما اقترفوا هم الأخسرين .

وقد منيت بأولئك وبأبنائهم وأشباههم ، والله ما زادهم طول العمر الا غياً ، ولا زادهم ذلك لأهل الدين الا مقتاً ، فجاهدوهم ولا ترض دية ولا تقبل خسفاً ، فان علياً لم يجب الى الحكومة حتى غلب على أمره فأجاب ، وانهم يعلمون أنه أولى بالأمر ان حكموا بالعدل ، فلما حكموا بالهوى ، رجع الى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ، ولا تخرجن من حق أنت أولى به ، حتى يحول الموت دون ذلك والسلام .

قالوا : وسار الامام الحسن عليه السلام في عسكر عظيم وعدة حسنة ، حتى نزل دير عبد الرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس .

ثم دعا عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب (أخو عبد الله بن عباس) فقال له : يا ابن عم ، انى باعث اليك اثنى عشر الفا من فرسان العرب وقرأاء المصر ، الرجل منهم يزن الكتيبة ، فسر بهم وألن لهم جانبك ، وأبسط لهم وجهك ، وافرش لهم جناحك ، وأدنتهم من مجلسك ، فانهم بقية ثقات أمير المؤمنين ، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات ، حتى تعبر

مسكن ، ثم امض حتى تستقبل بهم معاوية ، فان أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك ، فاني على أثرك وشيكاً ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، وشاور هذين (يعنى قيس بن سعد وسعيد بن قيس) واذا لقيت معاوية فلا تقاقله حتى يقاقلك ، فان فعل فقاتله ، وان أصبت فقيس بن سعد على الناس ، وان أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس .

قالوا ، فسار عبيد الله حتى انتهى الى شينور حتى خرج الى شامى ثم لزم الفرات والفلوجه حتى أتى مسكن ، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب ، ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة .

فلما أصبح نادى في الناس ، الصلاة جامعة ، فاجتمعوا فصعد المنبر ، وخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد ألا اله الا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، أرسله بالحق وائتمنه على الوحي ، صلى الله عليه وآله أما بعد :

فوالله انى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه ، وأنا أنصح خلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة ، ألا وان ما تكرهون في الجماعة ، خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وانى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم ، فلا تخالفوا أمرى ، ولا تردوا على رأيى ، غفر الله لى ولكم ، وأرشدنى وإياكم لما فيه محبته ورضاه ان شاء الله ، ثم نزل .

قالوا ، فنظر الناس بعضهم الى بعض ، وقالوا ما ترونه يريد بما قال ، قالوا نظنه يريد أن يصلح معاوية ، ويكل الأمر اليه ، كفر والله الرجل ، ثم شدوا على قسطاطه ، فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه الذى على عاتقه ، فبقى جالسا متقلدا سيفه بغير رداء ، فلما بفرسه فركبه ، وأحسق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراداه ولاموه وضعفوه لما تكلم به .

فقال ادعوا لى ربيعة وهمدان ، فدعوا له ، فأطافوا به ، ودفعوا الناس عنه ، ومعهم شؤب (اخلاط) من غيرهم ، فلما مر فى مظلم ساباط (قرب المدائن) قام اليه رجل من بنى أسد ثم من بنى نصر بن قعين يقال له جراح بن سنان ، ويده معول فأخذ بلجام فرسه ، وقال له : الله أكبر يا حسن ، أشرك أبوك ، ثم أشركت أنت ، وطعنه بالمعول ، فوقعت فى فخذه فشقيقته حتى بلغت أرييته (أصل الفخذ) وسقط الحسن عليه السلام الى الأرض بعد أن ضرب الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه ، فخرا جميعا الى الأرض ، فوثب عبد الله بن الأخطل الطائى ونزع المعول من يد جراح بن سنان ، فحضره به ، وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه ، ثم أخذوا له الأجر فشدوا رأسه ووجهه حتى قتلوه .

وحمل الحسن عليه السلام على سرير الى المدائن وبها سعيد بن مسعود الثقفى واليا عليها من قبله ، وقد كان أمير المؤمنين على عليه السلام ولاء المدائن فأقره عليها الحسن عليه السلام ، فأقام عنده يعالج نفسه .

لعر عجيب وكرامة كبرى :

وأقول فى هذه المناسبة ، انى عجبت فى تاريخ الامام الحسين ، أن يقوم المختار بن عبيد الله الثقفى ، وهو ابن أخ لسعيد بن مسعود الثقفى ، فيتزعم الشيعة بعد مقتل سليمان بن صرد الخزاعى ، ويثار للامام الحسين ، ويمكن له الله من قتلة الامام الحسين ، فيوقفهم بين يديه ويأمر بقتلهم أنواعا من القتلات تناسب ما فعلوه ، فمنهم من أحرقه بالنار ، ومنهم من قطع أطرافه وتركه حتى مات ، ومنهم من رمى بالنبال حتى مات ، وكان ممن قتلهم عبيد الله بن زياد ، وشمر بن ذى الجوشن ، عليهما اللعنة الدائمة ، وكان من بينهم عمر بن سعد وابنه حفص ، وقد أرسل برأس ابن زياد الى سيدى على زين العابدين ، وأرسل برأس عمر وحفص الى سيدى محمد بن الحنفية ، وقال المختار حين قتلا ، والله لو قتلت بالحسين ثلاثة أرباع قريش ما وفوا بأمانة من أنامله ، أقول ان هذا الرجل الذى سلطه الله على أعداء الامام الحسين ، كان خصما لأمير المؤمنين على ولأمير المؤمنين الحسن ، ويدل ذلك

على ذلك أنه حين طعن الامام الحسن ودخل المدائن ليعالج جرحه قال المختار لعنه سعيد بن مسعود الثقفي والمتقدم ذكره لو سلمت الحسن الى معاوية لاتخذت عنده اليد البيضاء ، فأجابه عمه فى وفاء ، بشئ ما تأمرنى به .

ألست ترى معى أيها القارىء الكريم أن هذا أمر عجيب ، فقد تحول المختار من عداوة سافرة ، الى صداقة صادقة ، ولله فى خلقه آيات ، وتلك والله لآل البيت من كبرى الكرامات .

ونعود الى التاريخ فنقول :

أما معاوية فإنه وافى حتى نزل قرية يقال لها الحلوية بمسكن ، وأقبل عبيد الله بن عباس حتى نزل بازائه ، فلما كان من غد ، وجه معاوية بخيله اليه ، فخرج اليهم عبيد الله فيمن معه ، فضربهم حتى ردهم الى معسكرهم .

عبيد الله بن عباس يخون الامام الحسن :

فلما كان الليل أرسل معاوية الى عبيد الله بن عباس أن الحسن قد راسلنى فى الصلح ، وهو مسلم الأمر الى ، فان دخلت فى طاعتى الآن ، كنت متبوعا ، والا دخلت وأنت تابع ، ولك ان أجبتنى الآن ألف ألف درهم ، أعجل لك فى هذا الوقت نصفها واذا دخلت الكوفة النصف الآخر .

فانسل عبيد الله اليه ليلا ، فدخل عسكر معاوية ، فوفى له بما وعده وأصبح الناس ينتظرون عبيد الله أن يخرج فيصلى بهم ، فلم يخرج حتى أصبحوا ، فطلبوه فلم يجدوه ، فصلى بهم قيس بن سعد بن عبادة ، ثم خطبهم فثبتهم ، وذكر عبيد الله فنال منه ، ثم أمرهم بالصبر والتهوض الى العدو ، فأجابوه بالطاعة وقالوا له : انهض بنا الى عدونا على اسم الله، فنزل فنهض بهم .

وخرج اليه بسر بن أرطاه ، فصاح الى أهل العراق ، ويعكم هذا أميركم عندنا قد بايع وامامكم الحسن قد صالح ، فعلموا تقتلون أنفسكم . فقال لهم قيس بن سعد ، اختاروا احدى اثنتين ، اما القتال مع غير امام ، واما أن تبايعوا بيعة ضلال ، فقالوا بل نقاتل بلا امام .

بين قيس بن سعد ومعاوية :

فخرجوا ، فضربوا أهل الشام حتى ردوهم الى مصافهم ، فكتب معاوية الى قيس بن سعيد ، يدعوهم ويسئله فكتب اليه قيس : لا والله لا تلقاني أبداً الا بيني وبينك الرمح ، فكتب اليه معاوية لما يش منه .

كتب معاوية الى قيس بن سعد :

أما بعد فانك يهودى بن يهودى ، تشقى نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فان ظهر أحب الفريقين اليك فبذلك وعدوك ، وان ظهر أبغضهم اليك فكل بك وقتلك ، وكان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الحر وأخطأ المفصل ، فجدله قومه ، وأدركه يومه ، فمات بموران طريداً غريباً والسلام .

رد الشجاع قيس بن سعد على معاوية :

فكتب اليه قيس بن سعد

أما بعد فانما أنت وثن ابن وثن ، دخلت فى الاسلام كرها ، وأقمت فيه فرقا ، وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً ، ولم يقدم اسلامك ، ولم يحدث تفاقمك ، ولم تزل حرباً لله ولرسوله ، وحزباً من أحزاب المشركين وعدواً لله ولنبيه وللمؤمنين من عباده .

وذكرت أبى ، فلعمري ما أوتر الاقوسه ، ولا رمى الا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ولا يبلغ كعبه ، وزعمت أنى يهودى ابن يهودى ، وقد علمت وعلم الناس ، أنى وأبى أعداء الدين الذى خرجت منه ، وأنصار الدين الذى دخلت فيه ، وصرت اليه والسلام .

فلما قرأ معاوية كلامه غاظه ، وأراد اجابته ، فقال له عمرو بن العاص ، مهلاً ، فاذك ان كاتبته أجابك بأشد من هذا ، وان تركته دخل فيما دخل فيه الناس ، فمسك عنه .

رسل معاوية الى الامام الحسن :

وبعث معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمره الى الامام الحسن للصلح فدعوا اليه فزهده في الأمر ، وأعطياه ما شرط له معاوية ، والا يتبع أحد بما مضى ، ولا ينال أحد من شيعة على بمكروه ، ولا يذكر على الا بخير ، وهي أشياء شرطها الامام الحسن فأجاباه الى ذلك وستعلم تفاصيل الشروط فيما بعد من كتاب الصلح الذي أرسله الامام الحسن الى معاوية .

وانصرف قيس بن سعد فيمن معه الى الكوفة ، واجتمع الى الامام الحسن عليه السلام وجوه الشبهة ، وأكابر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يلومونه ، ويكون الب . جزعا مما فعل .

نص كتاب الصلح الذي كتبه الامام الحسن :

جاء نص كتاب الصلح في كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لابن طلحة القرشي كما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان ، صالحه على أن يسلم اليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين .

ونسلم معاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهدا ، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين ، وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم وحجازهم وبينهم ، وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم ، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى الله من نفسه ، وعلى أنه لا ينبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غائلة سرا ولا جهرا ، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق ، شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيدا وفلان وفلان والسلام .

معاوية فى طريقه للكوفة :

ونعود للتاريخ ، قال أبو الفرج : وسار معاوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة ، ودخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة .

كيف بايع قيس بن سعد معاوية :

وقال ، فلما تم الصلح بين الحسن ومعاوية ، أرسل الى قيس بن سعد ، يدعوهُ الى البيعة ، فجاءه ، فلما أرادوا ادخاله اليه ، قال انى حلفت ألا ألقاه الا وبينى وبينه الرمح أو السيف ، فأمر معاوية برمح وميشف فوضعا بينه وبينه ليبر يمينه .

قال ، وفى رواية أخرى أن الحسن لما صالح معاوية ، اعتزل قيس بن سعد فى أربعة آلاف فارس ، وأبى أن يبايع ، فلما بايع الحسن أدخل قيس ليبايع ، فأقبل على الحسن فقال ، أفى حل أنا من بيعتك ، فقال، نعم، فالقى له كرسي ، وجلس معاوية على سرير والحسن معه ، فقال له معاوية أتبايع يا قيس ، قال نعم ، ووضع يده على فخذه ولم يمدّها الى معاوية ، فجاء معاوية من سريره وأكب على قيس حتى مسح يده على يده ، وما رفع اليه قيس يده .

الامام الحسن يخطب بعد الصلح :

قال أبو الفرج ، ثم ان معاوية أمر الحسن أن يخطب فظن أنه سيحصر فخطب فقال فى خطبته :

انما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ، وليس الخليفة من سار بالجور ، ذاك رجل ملك ملكا تمتع به قليلا ، ثم تنخمه ، تنقطع لذته ، وتبقى تبعته (وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) .

تعقيب على خطبة الامام الحسن :

أقول والمبدأ الذى أبرزه الامام الحسن فى خطبته تلك ، هو ذات المبدأ الذى أبرزه أبوه الامام على قبله ، حين بين أن السادة آل البيت

لا يطلبون الخلافة لسلطان الدنيا وانما يطلبونها ليردوا بها المعالم من دين الله وليظهروا بها الاصلاح فى بلاد الله ، واليك نص ما قاله الامام على كرم الله وجهه كما ورد فى نهج البلاغة :

« اللهم انك تعلم أنه لم يكن الذى كان منا ، منافسة فى سلطان ، ولا التماس شئ من فضول الحطام ، ولكن لنرد المعالم من دينك ، ونظهر الاصلاح فى بلادك ، فىأمن المظلومون من عبادك ، وتقام المعطلة من حدودك .

« اللهم انى أول من أناب ، وسمع وأجاب ، لم يسبقنى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة ، وقد علمتم أنه لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وامامة المسلمين البخيل ، فتكون أموالهم نهمته ، ولا الجاهل يفضلهم بجهله ، ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ، ولا الخائف للدول فيتخذ قوما دون قوم ، ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة . »

فرحة معاوية بالصلح :

كانت فرحة معاوية بالصلح شديدة ، ولا أدل على ذلك من أنه أرسل صحيفة الصلح بيضاء وموقعة منه على بياض ، وقال للامام الحسن اكتب ما شئت من شروط .

وانى أنه بصفة خاصة، بأن معاوية عرض على الامام الحسن أن يكون له الأمر من بعده ، ولكن الامام الحسن رأى أن يكون الأمر شورى بعد معاوية ، حتى لا يخرج بالأمة عن مبدأ الشورى الذى جرى عليه سلف الأمة المقتدى بهم فى أمر الدين .

وقد بذل أخوه الامام الحسين (كما هو معروف) نفسه الغالية ، وبذل أنفسهم معه اخوته ، وأبنائهم ، وأبنائه أخيه وأبنائه وأبنائه عمومته وصحبه ، من أجل الحفاظ على ذلك المبدأ الذى هو حق مقدس من حقوق الأمة وكان معاوية قد خرج بعد موت الامام الحسن عن مبدأ الشورى

وحمل الناس بالسلطان والسيف على بيعة ابنه يزيد الذي لم يكن أهلاً للخلافة .

وكذلك أنه بان الإمام الحسن اشترط الا يساء أحد من أصحابه أو أضحاب أبيه بأية اساءة والا عدل عن الصلح فاضطر معاوية الى القبول .
لماذا تنازل الامام الحسن عن الخلافة :

ان الامام الحسن حين تنازل عن الخلافة ، لم يكن خوارا ، يتهيب الحرب فقد خاض المعارك الكثيرة مع أبيه ومع غير أبيه كما علمت مما تقدم ، لكنه كان ذا فراسة عميقة بأحوال من حوله ، ودلته فراسته أنه وان كان هو الأصلح للخلافة الا أن أهل العراق يزهدون الخلافة ، بينما معاوية يطلب ملكا يسح المال من جوانبه سحا ، فجرى القوم وراء المال ، واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا الدين بالدنيا ، والخلافة لا تنجح الا فى مجتمع ينشدها . ويرضى حكمها ، ومغالبة الناس لأهوائهم الدنيوية أمر عسير ، وان كانوا نجحوا فيه فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة ، فان استمرار المغالبة كان مستبعدا لأنه ضد الطباع البشرية .

واذا كان معاوية قد استطاع أن يشتري ذمة عبيد الله بن عباس ، وهو ابن عم الامام الحسن ، ف شراء الذمة من غيره كان أهون وأرخص .

وقد رأيت أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه وطعنوه ، فهل كان يرجو من هؤلاء المتمردين خيرا فى ساعة الجد .

ولو قدرنا أنه التحم مع قوات معاوية وانتصر عليه ، فان أهل الشام كانوا يخرجون من المعركة حاقدين موبورين ، ولا تنس ما كان للخوارج من بقية ناوأت حتى بنى أمية مناوأة شديدة فاستعاينوا عليهم بالمهلب بن أبى صفرة وبنه الى أن تمت لهم الغلبة عليهم .

فالامام الحسن كان كآبيه يطلب خلافة الراشدين ، والمجتمع كان ينحط الى الدنيا انحطاطا سريعا ، فلا تتسنى خلافة الراشدين ، وصدق الله تعالى اذ يقول (كلا بل تجيئون العاجلة وتذرون الآخرة) .

عدوى معاوية لاصحابه :

وقد تأثر أصحاب معاوية بمشربه في الخدعة وشراء الذمم ، ومن أبرز ما قرأته الواقعة الآتية :

بين عبيد الله بن عمر والامام الحسن :

كان عبيد الله بن عمر في صفين ، في صف معاوية ، وأثناء وقائع صفين أرسل عبيد الله الى الامام الحسن عليه السلام : ان لي اليك حاجة فالتقي ، فلقية الامام الحسن عليه السلام ، فقال له عبيد الله : ان أباك وتر قريشاً أولاً وآخرها ، وقد شننه الناس ، فهل لك في خلعه ، وأن تتولى أنت هذا الأمر ، فقال كلا ، والله لا يكون ذلك .

ثم قال الامام الحسن عليه السلام يا ابن الخطاب ، والله لكأني أنظر اليك مقتولاً في يومك أو غدك ، أما ان الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقاً بالخلق ، ترى نساء أهل الشام موقوفك ، وسيضرعك الله ، ويبطحك لوجهك قتيلاً .

قالوا ، فوالله ما كان الا بياض ذلك اليوم حتى قتل عبيد الله ، وهو في كتيبة رقطاع ، وكانت تدعى الخضرية ، كانوا أربعة آلاف عليهم ثياب خضر .

فانظر رعاك الله ، كيف مرت عدوى معاوية ، في عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، ووالله ما كان يسر أباه أن يراه في مثل هذا الموقف القبيح الذي غرته فيه دنياه ، وظن أن الامام الحسن مثله تغريه الدنيا الدنية ، وحاشاه .. واني لست في حاجة لأن أسترعي بنظرك لما تحقق من قبل عبيد الله كما تفرس الامام الحسن بنور الله ، فهو ممن جعل الله له نورا يمشي به في الناس .

هل وفي معاوية للامام الحسن :

روى ابن أبي حديده بسنده عن المدائني قال : طلب زياد رجلاً من أصحاب الحسين ممن كانوا في كتاب الأمان فكتب إليه الحسين :

من الحسن بن على الى زياد :

أما بعد فقد علمت ما كنا أخذنا من الأمان لأصحابنا ، وقد ذكر لي فلان أنك تعرضت له ، فأجب ألا تعرض له الا بخير والسلام .

زياد يغضب اذ ينسبه الامام الحسن لأبى سفيان :

فلما أتاه الكتاب ، غضب اذ لم ينسبه الى أبى سفيان ، وكان معاوية قد ألحقه بأبى سفيان بحجة أن أباه كان قد أتى أم زياد فى الجاهلية ، وفى ذلك مخالفة لقوله تعالى (ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آبائهم فاخوانهم فى الدين ومواليكم) وكان الناس يقولون قبل ذلك زياد ابن أبيه ، ورد زياد على الامام الحسن يقولون :

من زياد بن أبى سفيان ، الى الحسن

أما بعد ، فانه أتانى كتابك فى فاسق ، تؤويه الفساق من شيعتك وشيعة أبيك ، وايم الله لأطلبنه بين جلدك ولحمك ، وان أحب الناس الى لحمنا أن آكله ، للحم أنت منه والسلام .

الامام الحسن يبعث كتاب زياد لمعاوية :

فلما قرأ الامام الحسن الكتاب بعث به الى معاوية فلما قرأه غضب وكتب الى زياد :

كتاب معاوية الى زياد :

من معاوية بن أبى سفيان الى زياد

أما بعد فان لك رأيين ، رأيا من أبى سفيان ، ورأيا من سمية (أم زياد) فأما رأيك من أبى سفيان فحلوم وحزم ، وأما رأيك من سمية فما يكون من مثلها .

ان الحسن بن على كتب الى بآئك عرضت لصاحبه ، فلا تعرض له ، فأتى لم أجعل لك عليه سبيلا ، وان الحسن ليس بمن يرمى به الرجوان

(أى لا يستهان به) والعجب من كتابك اليه لا تسبه الى آيه أو الى أمه
فالآن حين اخترت له والسلام .

ومع هذه الشدة التى كتب بها معاوية لزياد ، فإن الوقائع التى جرت
من معاوية ، دلت على أنه لم يف بالشروط التى شرطها الامام الحسن ،
وكان الحصين بن المنذر الرقاشى يقول ، والله ما وفى معاوية للحسن بشيء
مما أعطاه ، قتل حجرا وأصحاب حجر ، وبأيع لابنه يزيد ، وسم الحسن .

الصالحون ينكرون استلحاق زياد بأبى سفيان :

ويقول الدكتور طه حسين فى كتابه « على وبنوه » ان استلحاق زياد
بأبى سفيان أنكره الصالحون حين أعلنه معاوية وحرص عليه زياد أشد
الحرص ، وغضب له موالى زياد من بنى ثقف .

ويروى الدكتور طه عن البلاذرى أن يونس بن سعد قطع على معاوية
خطبة الجمعة وقال له :

اتق الله يا معاوية ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بأن الولد
للفراش وللعاشر الحجر ، وأنت قد جعلت للعاشر الولد وللعاشر الحجر ،
وان زيادا عبد عمى وابن عبدها ، فاردد إلينا ولاءنا .

فقال له معاوية : والله يا يونس لتكنن أو لأطيرن بك طيرة بطينا
وقوعها ، قال يونس ، اليس المرجع بعد بك وبى الى الله عز وجل .
وقال يزيد بن مفرغ يعيب معاوية بهذا الاستلحاق .

الا أبلغ معاوية بن حرب مغفلة عن الرجل اليمان
أنغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زانى
ويرى القارىء من ذلك قوة المعارضة التى لقيها معاوية فم استلحاق
زياد بأبى سفيان .

الامام الحسن يرحل الى المدينة بعد الصلح :

يقول الدكتور طه حسين أن الامام الحسن ارتحل بأهل بيته الى
المدينة بعد الصلح وترك معاوية فى الكوفة يدبر أمر دولته الجديدة كما

يشاء ، وما كابد يبعد عن الكوفة حتى أدركه رسول معاوية يريد أن يرده الى الكوفة ليقاتل طائفة من الخوارج خرجت عليه ، فأبى الحسن أن يعود ، وقال لقد صالحته ، وما أريد الا حقن الدماء واجتناب الحرب .

وانتهى الحسن الى المدينة فلقى من أهلها أثر وصوله اليها من لامة فبى الصلح ، كما لامة فيه أهل الكوفة ، فكان يقول للائمين ، كرهت أنلقى الله عز وجل فاذا سبعون ألفا أو أكثر تشخب أوداجهم دما يقول كل منهم ، ياربى فيم قتلت .

معاوية يلاين أهل العراق ثم يشتد عليهم :

يقول الدكتور طه حسين ان معاوية صانع أهل العراق ورفق بهم حتى يتم له الصلح ويستقيم له الأمر ويخرج الحسن عن العراق ، فلما تم له ما أراد اصطنع الحزم وساس أهل العراق سياسة لم يكونوا يعرفونها من قبل .

فأخرجهم من الدعة التي ألفوها ، وعلمهم أن طاعة الأمراء فرض لا ينبغي التردد فيه أو الالتواء به ، وأن من لم يعط الطاعة لا أمان له ، وقد برئت منه ذمة السلطان ، هنالك عرف أهل العراق أن حياتهم قد تغيرت ، وأنهم سيستقبلون من أمرهم أشد وأقسى مما كانوا يظنون .

وقد جعل أهل العراق ، يذكرون حياتهم أيام على ، فيحزنون عليها ، ويندمون على ما كان من تغريطهم في جنب خليفتهم ، ويندمون كذلك على ما كان من الصلح بينهم وبين أهل الشام ، وجعلوا كلما لقي بعضهم بعضا تلاوموا فيما كان ، وأجالوا الراى فيما يمكن أن يكون ، ولم تكد تمضى أعوام قليلة حتى جعلت وفودهم تغد الى المدينة للقاء الحسن والقول له والاستماع منه .

اختلاف وجهتى النظر فى شروط الصلح :

يقول الدكتور طه حسين : ان الحسن احتفظ بكتاب معاوية عنده ، وأرسل اليه رجلا من بنى عبد المطلب من جهة ، وبينه وبين معاوية قرابة

قريبة من جهة أخرى ، وهو عبد الله بن الحارث وأمه أخت معاوية ، وقال
أنت خالك ، وقل له : ان أمنت الناس بايعتك .

ويستطرد الدكتور طه قائلًا ، وكان الحسن أراد أن يصطنع شيئًا من
اللباقة ، فاحتفظ بشروط معاوية ، وطلب إلى معاوية مزيدًا هو تأمين
الناس ، ولكن معاوية كان أدهى من ذلك وأبرع كثيرًا ، فقد أعطى ابن
أخته طومارا ختم في أسفله وقال اكتب ما شئت .

فكتب فيه الحسن ، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي معاوية بن أبي
سفيان ، صالحه على أن يسلم إليه ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيها
بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين ، وعلى أنه ليس لمعاوية أن
يعهد لأحد من بعده ، وإن يكون الأمر شورى ، والناس آمنون حيث
كانوا على أنفسهم وأموالهم وذرائعهم وعلى ألا يبغي الحسن بن علي غائلة
سرا ولا علانية ، ولا يخيف أحدا من أصحابه ، شهد عبد الله بن الحارث ،
وعمر بن سلمة ، ثم رد عبد الله بن الحارث إلى معاوية بكتابه هذا
ليشهد عليه من شاء من أصحابه ففعل .

فتم الصلح ، ولكنه لم يتم دون أن يترك بين الرجلين شيئًا من اختلاف
الرأى وسوء التفاهم كما يقال في هذه الأيام .

ثم يقول الدكتور طه ، أكان الكتاب الأول الذي أرسله معاوية إلى
الحسن قائمًا يكفل للحسن ما أعطاه معاوية من الشروط ، ما عدا ولاية
العهد ، التي لم يرضها الحسن ، أم سقط بهذا الكتاب الذي كتبه للحسن
وأفضاه معاوية .

أما الحسن فقد رأى أن كتاب معاوية الأول ظل قائمًا ، وأما معاوية
فقد رأى أن الكتاب الثاني قد ألغى الكتاب الأول الغاء ، فليس للحسن
عنده إلا ما طلب من أن يكون الأمر شورى بعد موت معاوية ، ومن تأمين
الناس على أنفسهم ، وعلى أموالهم وذرائعهم ، ومن ألا يبغي الحسن غائلة
سرا وجهرا ، ومن أن يعمل في أمر المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة
الخلفاء الصالحين .

ثم يقول الدكتور طه ، ومن أجل اختلاف الرأى هذا ، طلب الحسن الى معاوية بعد أن استقام له الامر ، أن يقضى له بالشروط المالية ، فأبى عليه معاوية ، وقال له ، ليس لك عندى الا ما شربلت لنفسك .

وأراد الامام الحسن أن يحكم سعد بن أبى وقاص ، فلم يقبل معاوية تحكيما ، ولكنه أرضى الحسن بما أعطاه وما فرض له من مال .

رأى الدكتور طه حسين فى خطبة الامام الحسن بعد الصلح :

تعرض الدكتور طه لخطبة الامام الحسن التى خطبها بعد تنازله عن الخلافة ، ونفى ما تكلفه الرواة والمؤرخون من أن عمرو بن العاص أغرى معاوية بدعوة الحسن الى أن يتكلم ليظهر للناس عجزه .

وقال الدكتور طه فى دفاعه عن الامام الحسن : ان الحسن لم يختلس الصلح اختلاسا ، ولم يستخف به من الناس ، والحسن قد خطب الناس غير مرة فى حياة أبيه وبعد وفاته ، فلم يعرف منه عى أو حصر ، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك ، من أهل بيت لم يعرفوا قط بعى أو حصر ، وانما كانوا معدن الفصاحة واللسن وفصل الخطاب .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : وقد خطب الحسن فقال خير ما كان يمكن أن يقال ، وأصدق ما كان يمكن أن يقال أيضا ، قال (صيغة أخرى غير التى مرت عليك) .

« أيها الناس ان أكيس الكيس التقى ، وأحق الحقم الفجور ، ان هذا الأمر الذى سلمته لمعاوية ، اما أن يكون حق رجل كان أحق به منى فأخذ حقه ، واما أن يكون حقى فتركته لصالح أمة محمد وحقن دماؤها ، فالحمد لله الذى أكرم بنا أولكم ، وحقن دماء آخركم .

دفاع الدكتور طه حسين عن موقف الامام الحسن بعد الصلح :

يقول الدكتور طه ، ان الصلح أسخط على الحسن جماعة من أصحابه الذين أخلصوا له ولأبيه ، وأخلصوا فى بغض معاوية وأهل الشام ، ورأوا

فى هذا الصلح نوعا من التسليم لم يكن يلائم ما بذلوا أيام على من جهد، ولم يكن يلائم كذلك ما كان فى أيديهم من قوة ، فمنهم من كان يقول للحسن : يا مذل المؤمنين ، ومنهم من كان يقول له : يامذل العرب ، ومنهم من قال له : يا مسود وجوه العرب .

ولكن الحسن لم يحفل بشيء من ذلك ، وانما رضى عن خطته كل الرضا ، ورأى فيها حقنا للدماء ، ووضعاً لأوزار الحرب ، وجمعا لكلمة الأمة ، وتمكيناً للمسلمين من أن يستقبلوا أمورهم مؤتلفين لا مختلفين ، ومتفقين لا متفرقين ، ومن أن يفرغ أهل الثغور لشغورهم ، يردون عنها طمع العدو فيها ، وفيما وراءها ، ومن أن يفرغ الجند للفتح ، يستأنفونه من حيث وقته الفتنة .

ثم يقول ، ولم يكن قعود الحسن عن الحرب جبناً أو فرقا ، وانما كان كراهية لسفك الدماء من جهة ، وشكا فى أصحابه من الجهة الأخرى .

ثم تعرض الدكتور طه لمعارضة الامام الحسين لفكرة الصلح حين استشاره أخوه الامام الحسن ويقول ، أن الامام الحسين كان يرى أن يستمسك أخوه ويمضى فى الحرب ، الا أن الامام الحسن امتنع عليه وأنذره ، وعقب الدكتور طه قائلاً ، وليس فى هذا شيء من الغرابة ، فقد كان على نفسه يتنبأ ببعض ذلك ، ويتحدث بأن الحسن سيخرج من هذا الأمر ، وبأن الحسين هو أشبه الناس به .

ظهور حزب الشيعة بعد التنازل عن الخلافة لمعاوية :

يقول الدكتور طه ان الامام على ، لم تكن له قبل فتنة عثمان شيعة ممتازة من الأمة ، ولم تكن له شيعة بالمعنى الذى يعرفه الفقهاء والمتكلمون أثناء خلافته ، وانما كان له أنصار وأتباع ، وكانت كثرة المسلمين كلها له أنصاراً وأتباعاً ، حتى كانت موقعة صفين .

ويقول : وقد قتل على ، وليس له حزب منظم ، ولا شيعة مميزة ، بل لم ينظم الحزب العلوى ، ولم توجد الشيعة المميزة الا بعد تنازل الامام الحسن عن الخلافة لمعاوية .

بين الامام الحسن واشراف الكوفة :

قلنا ان أهل العراق ندموا على ما كان من تعريضهم في جنب خليفتهم
كما ندموا على ما كان من أمر الصلح .

ويقول الدكتور طه ، انه أقبل على الامام الحسن ذات يوم وفد من
أشراف الكوفة ، فقال له متكلمهم وهو سليمان بن صرد الخزاعي : ما ينقض
تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة ، كلهم
يأخذ العطاء ، وهم على أبواب منازلهم ، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم ،
سوى شيعتك من أهل البصرة ، وأهل الحجاز ، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في
العقد ولا حظا من العطية .

« فلو كنت اذ فعلت ما فعلت ، أشهدت على معاوية وجوه أهل
المشرق والمغرب ، وكتبت عليه كتابا بأن الأمر لك بعده ، كان الأمر علينا
أيسر ، ولكنه أعطاك شيئا بينك وبينه ثم لم يف به ، ثم لم يلبث أن قال
على رؤوس الناس ، اني كنت شرطت شروطا ، ووعدت عدات ، ارادة لاطفاء
نار الحرب ، ومداراة لقطع هذه الفتنة ، فأما اذ جمع الله لنا الكلمة والألفة ،
وأمننا من الفرقة ، فان ذلك تحت قدمي .

فوالله ما اغترني بذلك الا ما كان بينك وبينه وقد نقض ، فاذا شئت
فأعد الحرب جنة وأذن لي في تقدمك الى الكوفة ، فأخرج عنها عامله ،
وأظهر خلعه ، وتبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين . »

تعريف بسليمان بن صرد الخزاعي :

والى أرى من المفيد أن أعرف القارئ الكريم بهذا الرجل العظيم ،
فهو صحابي جليل ، وهو الذي تزعم الشيعة للأخذ بثأر مولانا الامام
الحسين وقاتل الأمويين حتى قتل ، وتزعم المختار بن عبيد الله الثقفي الشيعة
من بعده ونكل بقتلة الامام الحسين نكالا شني صرور قوم مؤمنين كما
سلف القول .

ونعود لما كنا فيه ، يقول الدكتور طه ، وقال الآخرون مثلما قال
سليمان بن صرد ، فهم اذن انما جاءوا المدينة ولقوا الحسن ليعاتبوه أولا

لانه جنح للسلم على رغم ما كان عنده من قوة وعدد ، وليعاتبوه ثانيا لأنه حين أمضى الصلح لم يشهد عليه وجوه الناس من أهل المشرق والمغرب ، ولم يشترط لنفسه ولاية عهد ، ثم لينبئوه ثالثا أن معاوية قد قهض الصلح ، وأعلن تقضه على رموس الأشهاد ، ثم ليطلبوا اليه بعد ذلك أن يعيد الحرب جنة ، وأن يأذن لهم أن يسبقوا الى الكوفة ، فيعلنوا فيها خلع معاوية ، ويخرجوا منها عامله ، وحينئذ ينبذ الحسن الى معاوية على سواء أن الله لا يحب الخائنين .

ثم يقول الدكتور طه ، وقد قبل الحسن منهم شيئا ، ورفض شيئا ، وكان فيما قبل منهم ناصحا لهم ، رفيقا بهم ، مؤثرا السلم وحقق الدماء ، ولكنه لم يؤنسهم ، وانما أبقي لهم شيئا من أمل ، فقال لهم فيما روى البلاذري :

أتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ، ولسلطانها أعمل وأنصب ، ما كان معاوية بأأس منى بأسا ، ولا أشد شكية ، ولا أمضى عزيمة ، ولكنني أرى غير ما رأيتم ، وما أردت فيما فعلت الا حقن الدماء ، فارضوا بقضاء الله ، وسلموا الأمر ، والزموا بيوتكم ، وامسكوا ، وكفوا أيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر .

ويعقب الدكتور طه قائلا : فقد أعطاهم الحسن كما ترى الرضا ، حين أعلن اليهم أنهم شيعة أهل البيت ، وذوو مودتهم ، واذن فمن الحق أن يسمعوا له ، ويأتمروا بأمره ، ويكونوا عندما يريد منهم ، ثم بين لهم أنه لم يصلح معاوية عن ضعف ولا عن عجز ، وانما أراد حقن الدماء ، ولو قد أراد الحرب ، لما كان معاوية أشد منه قوة ولا أعسر مراسا ، ثم طلب اليهم أن يرضوا بقضاء الله ، ويطيعوا السلطان ، ويكفوا أيديهم عنه ، وأنبأهم بأنهم لن يفعلوا ذلك آخر الدهر ، ولن يستسلموا لعدوهم في غير مقاومة ، وانما هو انتظار الى حين ، هو انتظار الى أن يستريح الأبرار من أهل الحق ، أو يريح الله من الفجار من أهل الباطل .

ويعتقد الدكتور طه أن اليوم الذي لقي فيه الحسن هؤلاء الوفد من أهل الكوفة ، هو اليوم الذي أنشئ فيه الحزب السياسى المنظم لشيعة على وبنيه ، نظم الحزب فى المدينة فى ذلك المجلس ، وأصبح الحسن له رئيسا ، وعاد أشرف الكوفة الى من وراءهم ينبئونهم بالنظام الجديد ، والخطبة المرسومة ويهينونهم لهذا السلم الموقوت ، ولحرب تثار ، حين يأتى الأمر بالارتها من الامام المقيم فى المدينة .

ثم يقول : ومضى أمر الحزب على ذلك ، فجعل الشيعة يلقى بعضهم بعضا يتذكرون أمورهم ويسجلون على معاوية وولاته ، ما يتجاوزون به حدود الحق والعدل ، وينتظرون أن يأمرهم الامام بالخروج .

ولكن الامام لم يأمرهم بالخروج ، وكان الحسن وفيا لمعاوية ببيعته ، حفيظا له على عهده ، مستعينا به ان احتاج الى المعونة مهما يكن نوعها ، ولكنه مع ذلك كان معارضا ، ولم يكن يستخفى بمعارضته ، وانما كان يظهر منها ما يشاء فى المدينة حيث كان يقيم ، وفى مكة حين كان يلزم بها أثناء الموسم .

موقف معاوية من الامام الحسن :

يقول الدكتور طه : ان معاوية كان رفيقا بالحسن أعظم الرفق ، واصلا له أحسن الصلة ، ولكن معارضة الحسن كانت تبلغه ، فيعاتبه فيها لينا حيناً ، وشديدا حيناً .

ولكن مكان الحسن من معاوية لم يكن محببا اليه ، فقد كان معاوية رجلا بعيد النظر ، لم يكد يطمئن الى الخلافة ، ويرى أنها قد اطمأنت اليه ، حتى فكر فى أن يجعلها تراثا من بعده لآل أبى سفيان ، وكان يفكر فى ابنه يزيد دائما ، فيرى أن الحسن هو الحائل بينه وبين ما يريد من ذلك ، فهو تعجل الصلح مع الحسن فمضى عليه ولاية الأمر من بعده .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : ومن الحق أن الحسن لم يقبل منه ذلك وانما اشترط عليه أن تكون الخلافة بعده شورى بين المسلمين ، يختارون لها من أحبوا ، وكان الحسن فى أكبر الظن يرى أن المسلمين لن يعدلوا

به بعد وفاة معاوية أحدا ، وكانت الشيعة تؤمن بذلك أشد الايمان ، وتدعو له قتلح فى الدعاء .

موقف معاوية من الامام الحسين :

ويقول الدكتور طه ، وما ينبغى أن يذكر أمر الحسين بن على ، فان الحسين لم يكن نصب نفسه للبيعة اماما للمسلمين ، ولم يكن معاوية قد صالحه ، ولا وده ولا شرط له ، ومع ذلك فقد هم معاوية أن ينصى الحسين عن مكانه شيئا ، لتخلص له الطريق من ابنى فاطمة ، وسبى النبى ، فقال ذات يوم لعبد الله بن عباس معازحا يريد الجدل « أنت سيد قومك بعد الحسن » ولكن عبد الله بن عباس لم ينخدع له ، وانما أجابه فى صراحة « أما وأبو عبد الله (أى الحسين) حى فلا » .

ويستطرد الدكتور طه قائلا : ومع ذلك فلم يتردد معاوية فى أن يسابع بولاية العهد لابنه يزيد ، وأكره الحسين كما أكره غيره من شباب المهاجرين على أن يسكتوا عن هذه البيعة التى كانوا ينكرونها فى أنفسهم أشد الانكار .

تعقيب عل راي الدكتور طه :

انصافا لأبناء المهاجرين أقول انهم عارضوا معاوية علانية معارضة شديدة عندما أبدى رغبته فى بيعة ابنه يزيد ، واليك أمثلة من تلك المعارضة: أراد معاوية أن يستطلع رأى أهل الحجاز ، فرحل الى المدينة سنة ٥٠ هـ متظاهرا بالحج ، ودعا اليه الزعماء أمثال عبد الله بن عباس وعبد الله ابن جعفر وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبى بكر ولم يدع الحسن أو الحسين .

واقترح معاوية عليهم أن يعهد بولاية العهد لابنه يزيد ، فهبوا فى وجهه مستكرين الفكرة كل الاستنكار .

وتكلم عنهم عبد الله بن الزبير فقال ، أما بعد ، فان الخلافة لقرش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وأفعالها المرضية ، مع شرف الآباء وكرم

الأبناء ، فاتق الله يا معاوية وانصف من نفسك ، فان هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ، وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمه رسول الله ، وعلى خلف حسنا وحسينا ، وأنت تعلم من هما وما هما ، فاتق الله يا معاوية وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك .

وقال ابن عمر ، لقد كان قبلك خلفاء ، وكان لهم بنون ، وليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ، فلم يحابوا في هذا الأمر أحدا ، ولكن اختاروا لهذه الأمة حيث علموهم .

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر ، يا معاوية انك والله لوددنا أن نكلك الى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد ، والذي نفسى بيده لتجعلنها شورى أو لاعيدها جذعة ، ثم قام ليخرج ، فتعلق به معاوية وقال : على رسلك ، اللهم أكفنيه بما شئت ، وهدأ من روعه .

فلما رأى معاوية أن الموقف يقتضى الشدة عدل عن ملائنتهم ، وأمر مناديه أن ينادى فى الناس ليجتمعوا فى المسجد ، فتوافدوا ، وقصد الصحابة حول المنبر ، ثم دعا معاوية رئيس حرسه وقال له : أقم على كل رجل من هؤلاء رجلين ، ومع كل واحد سيف ، فان ذهب رجل منهم يرد على بكلمة بتصديق أو تكذيب فليضرباه بسيفهما .

ثم صعد معاوية المنبر ، وقال غير صادق ، ان عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن على ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، قد رضوا وبايعوا ليزيد ، ثم طلب منهم البيعة فبايع الناس كلهم ، ثم غادر مكة الى المدينة حيث بايعه أهلها ثم غادرها الى الشام ، فأقبل الناس على هؤلاء السادة يلومونهم ، فقالوا والله ما بايعناه ولكن فعل وفعل .

موقف الامام الحسين مع معاوية من بيعة يزيد :

عندما ذهب معاوية الى الحجاز لأخذ البيعة لابنه يزيد ، بدأ بالمدينة ، واجتمع بالامام الحسين وعبد الله بن عباس وأجلس الامام الحسين عن يمينه ، وأجلس ابن عباس عن يساره ، وخطب فمدح ابنه يزيد ، وعرض

بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولى عمرو بن العاص القيادة فى غزوة ذات السلاسل ، مقدما إياه على المهاجرين ، وقال : لكم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة .

وهم ابن عباس بالاجابة ، فأشار اليه مولانا الحسين بالسكوت ، ليبدأ هو بالاجابة ، فقال مولانا الحسين معارضا ومجيبا :

يا معاوية ، لم يؤد القائل وان أطنب فى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع جزاء ، وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتتكب عن استبلاغ البيعة ، وهيئات هيئات يا معاوية ، فضح الصبح فحمة الدجى ، وبهرت الشمس ألوار السرج .

ولقد فضلت حتى أفرطت ، واستأثرت حتى أجحفت ، ومنعت حتى بخلت ، وجرت حتى جاوزت المدى ، ما بذلت لذى حق من اسم حقه بنصيب ، حتى أخذ الشيطان حفله الأوفر ، ونصيبه الأكمل .

وفهمت مذكرته عن يزيد ، من اكتماله وسياسته لأمة محمد ، تريد أن توهم الناس فى يزيد ، كأنك تصف محجوبا ، أو تنعت غائبا ، أو تخبر عما احتويته بعلم خاص .

وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه ، فخذ ليزيد ما أخذ هو به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش ، والعمام السبق لأترابهن ، والقيينات ذوات المعازف ، وضروب الملاحى تجده ناصرا .

ودع عنك ما تحاول ، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه ، فوالله ما برحت تقدم باطلا فى جور ، وحنقا فى ظلم ، فى يوم مشهود ، ولات حين مناص .

ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الأمر ، ومنعتنا عن آباءنا تراثا ، ولقد والله أورثنا رسول الله ولادة ، وجئت لنا بما حجبتكم به القائم عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذعن للحجة بذلك ، وردة الايمان الى النصف ، فركبتم الأغاليل ، وفعلتم الأفاعيل ، وقتلتم كان ويكون ، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك ، فهناك فاعتبروا يا أولى الأبصار .

وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
وتأميره له ، وقد كان ذلك ، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحة
الرسول ويبعثه له ، وما صار لعمرو يومئذ ، حتى أنف القوم امرته ،
وكرهوا تقديمه ، وعدوا عليه أفعاله ، فقال صلى الله عليه وسلم ، « لا جرم
معشر المهاجرين ، لا يعمل عليكم بعد اليوم » .

فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول ، فى أوكد الأحوال وأولاها
بالمجتمع عليه من الضواب ، أم كيف ضاهيت بصاحب تابعا ، وحولك من
يؤمن فى صحبته ، ويعتمد فى دينه وقرابته ، وتتخطاهم الى مسرف
مفتون ، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي فى دنياه ، وتشقى
بها فى آخرتك ، ان هذا لهو الخسران المبين ، وأستغفر الله لى ولكم .

وعندئذ نظر معاوية الى ابن عباس وقال : ما هذا يا ابن عباس ، ولما
عندك أدهى وأمر ، فقال ابن عباس : لعمر الله انها لذرية الرسول ، وأحد
أصحاب الكساء ، ومن البيت المطهر ، فاله عما تريد ، فان لك فى الناس
مقنعا ، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

فقال معاوية : أعوذ الحلم التحلم ، وخيره التحلم عن الأهل ، انصرف
فى حفظ الله .

الامام الحسين يعدد اخطاء معاوية :

روى ابن قتيبة فى الامامة والسياسة ، أن معاوية كتب للامام
الحسين بأن أمورا انتهت اليه عنه وأنذره فى كتابه قائلا : فانك متى
تنكرنى أنكرك ، ومتى تكذبنى أكدك ، فاتق شق عصا هذه الأمة ..
فانظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يستخفنك
السفهاء والذين لا يعلمون » .

قال : فلما وصل كتاب معاوية رد عليه الامام الحسين قائلا : أما بعد
فقد بلغنى كتابك تذكر فيه أنه انتهت اليك عنى أمور ، أتت لى عنها راغب
وأنا بغيرها عندك جدير ، وان الحسنات لا يهدى لها ولا يسدد اليها الا
الله تعالى .

وأما ما ذكرت أنه رقى اليك عنى ، فإنه انما رقاہ اليك الملاقون ،
المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الجمع ، وكذب الغاؤون ، ما أردت لك
حربا ، ولا عليك خلافا .

وانى لأخشى الله فى ترك ذلك منك ، ومن الاعذار فيه اليك ، والى
أوليائك القاسطين (الجائرين) الملحدین ، حزب الظلمة وأولياء الشياطين .

ألمست القاتل حجر بن عدى أخا كندة وأصحابه المصلين العابدين ،
الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفطعون البدع ، ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ، ولا يخافون فى الله لومة لائم ، ثم قتلتهم ظلما
وعدوانا ، من بعد ما أعطيتهم الايمان المغلظة ، والموائيق المؤكدة جراءة
على الله واستخفافا بعهده .

أولست قاتل عمرو بن الحقيق صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وآله ، العبد الصالح ، الذى أبلىته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه ،
فقتلته بعد ما أمنتہ وأعطيته من اليهود ، ما لو فهمته العصم (نوع من
الوعول فى ذراعيه بياض) لنزلت من رؤوس الجبال .

أولست بمدعى زياد بن سمية ، المولود على فراش عبيد ثقيف ،
فزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الولد
للفراش وللعاھر الحجر » ، فتركت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله
تعمدا ، وتبعت هواك بغير هدى من الله ، ثم سلطته على أهل الاسلام ،
بقتلهم ، ويقطع أيديهم وأرجلهم ، ويسمل أعينهم ، ويصلبهم على جذوع
النخل ، كأنك لست من هذه الأمة وليسوا منك .

أو لست قاتل الحضرمى ، الذى كتب اليك فيه زياد ، أنه على دين
على ، كرم الله وجهه ، فكتبت اليه أن اقتل كل من كان على دين على ، فقتلهم
ومثل بهم بأمرك .

وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولأمة محمد ، واتق شق عصا
هذه الأمة ، ولا تردهم الى فتنة ، وانى لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من
ولايتك عليها : ولا أعظم نظرا لنفسى ولدينى ولأمة محمد صلى الله عليه

وسلم ، أفضل من أن أجاهدك فإن فعلت فإنه قربة إلى الله ، وإن تركته فإني استغفر الله لديني ، وأسأله توفيقه لإرشاد أمري ، وقلت فيما قلت إن أنكرتك تنكرني ، وإن أكدك تكدني ، فكدني ما بدا لك ، فإني أرجو ألا يضرني كيدك ، وألا يكون علي أحد أضر منه علي نفسك ، لأنك قد ركبت جهلك ، وتحرصت علي نقض عهده .

ولعمري ما وفيت بشرط ، ولقد نقضت عهده بقتل هؤلاء النفر ، الذين قتلتهم بعد الصلح والإيمان واليهود والمواثيق ، فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ، ولم تفعل ذلك بهم إلا لذكرهم فضلنا ، وتعظيمهم حقنا ، فقتلتهم مخافة أمر ، لعلك لو لم تقتلهم ، مت قبل أن يفعلوا ، أو ماتوا قبل أن يدركوا .

فأبشريا معاوية بالقصاص ، واستيقن بالحساب ، واعلم أن الله تعالى كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ..

وليس الله بناس لأخذك بالظنة ، وقتلك أوليائه على التهم ، وفيك أوليائه من دورهم إلى دار الغربة ، وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث ، يشرب الشراب ، ويلعب بالكلاب ، ما أراك إلا قد خسرت نفسك ، وتبرت دينك ، وغششت رعييتك وأخربت أمانتك ، وسمعت مقالة السفية الجاهل ، وأخفت الورع التقى والسلام .

قال ، فلما قرأ معاوية كتاب الامام الحسين عليه السلام ، قال : لقد كان في نفسه ضب ما أشعر به فلما أشاروا عليه أن يجيبه بما يصغر إليه نفسه ، قال لو أني ذهبت لعيب علي محقا ، فما عسيت أن أقول فيه ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل (١٢) وما لا يعرف ، ومتى ماعبت رجلا بما لا يعرفه الناس ، لم يحفل به ، ولا يراه الناس شيئا وكذبوه ، وما عسيت أن أعيب حسينا ، والله ما أرى للعيب فيه موضعا ، وقد رأيت أن أكتب إليه أتوعده وأتهده ، ثم رأيت ألا أفعل .

وكل منصف من المطلعين على موقف الامام الحسين من معاوية في مخالفاته لشروط الصلح وشروط الخلافة ، وفي حمله الناس على بيعة

يزيد كرها ، يرى أن الامام الحسين نصيح لله ، وأدى أمانة الله ، ودافع دفاعا منقطع النظير عن حقوق الأمة ، في حياة معاوية ، وقد رأيت كيف جابهه بشجاعة وقوة وروعة ، وهو على سرير ملكه ، وأما بعد معاوية ، فقد بذل أغلى ما يملك دفاعا عن الحق وأهله ، بذل روحه الزكية ، التي توجت أرواح الشهداء في سبيل الحق .

العلامة العقاد وموقف الامام الحسين :

ويرحم الله العلامة العقاد اذ يقول في كتابه «أبو الشهداء» : ومن هو الشهيد ان لم يكن هو الرجل الذي يكلف الأيام ضد طباعها ويصدق الخير في طبيعة الانسان والخير عزيز والدنيا به شحيحة ، والحسين رضى الله عنه ، قد طلب خلافة الراشدين حيث لا تنمى خلافة الراشدين ، وكان الصراع بين الحسين ويزيد ، أول تجربة من قبيلها بعد عهد النبوة ، وعهد الخلفاء الأولين ، قد بذل فيها الحسين روحه ، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدموم من الحياة فهو أبو الشهداء ، وينبوع شهادة متعاقبة ، لا يقرن بها ينبوع في تاريخ البشر أجمعين .

هل تم لمعاوية ما أراد :

قلت في مقدمة كتابي « الامام الحسين بن علي » الذي تفضل المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فنشره في ١٥ شوال ١٣٨٥ الموافق ٥ فبراير ١٩٦٦ ما نصه :

« وآكاد أجزم أنه لو كشف الغيب لمعاوية ، فرأى أن الملك الذي أراد تأسيسه لبنى سفيان سينقل على عجل الى مروان وبنيه ، لفضل بذلكه الحاد ، ودهائه السياسى ، أن تبقى الخلافة شورى بين المسلمين ، كما كانت ، ولما راقته له فكرة المغيرة بن شعبة فى استخلاف يزيد ، ولم يرد المغيرة بما أشار وجه الله ، فقد كان الحق واضحا ، وقد رضى معاوية أن يخلفه الامام الحسن فى شروط الصلح بينهما ، ولكن لم يطل عمر الامام الحسن .

« واذا كان معاوية قد عزل مروان عن ولاية المدينة وولى مكانه سعيد ابن العاص ، فلا أظنه كان يجب أن يراه وارثا للملك يزيد ويورثه لبيته وذريتهم ، خاصة وأنه عارضه فى بيعة يزيد وقال له فأقم الأمريا ابن أبى سفيان ، واهدا من تأميرك الصبيان ، واعلم أن لك فى قومك نظرا ، وأن لهم على مناوأتك وزرا .

« كذلك ما كان يرضى معاوية لعبد الله بن الزبير أن يأخذ الخلافة قهرا من بنى أمية ، وما من شك فى أن معاوية كان يرى الحق ولكنه رآه مغطى بحب الآباء الغريزي للأبناء ، فحجبت الحقيقة عن عينيه ، فكان ما كان ، وترتب على تلك البيعة بلايا ورزايا حاقت نكباتها بالمسلمين ، ففرقت جمعهم وشتت شملهم ، فهم كذلك الى اليوم ، بعد أن كانوا يدا واحدة ، وقلبا واحدا ، والغيب لله ، والله غالب على أمره ، والمملك عقيم ، كما قال عبد الملك بن مروان ، فى رثاء مصعب بن الزبير ، حين قتله ، وكان صديقا له قبل أن يتولى الملك عبد الملك » .

ومما تقدم يعلم القارئ الكريم ، انه لم يتم لمعاوية ما أراد ، وصديق من قال : وتقدرون فتضحك الاقدار ، على أقنا لو قلنا ان مروان وبنيه من بنى أمية ، وقد ملكوا وكان ملكهم ثمرة لهم من ثمرات بيعة يزيد ، فان ملكهم لم يدم بعد مقتل الامام الحسين الاستين عاما لم تبلغ بهم ما أملوا من أن يكون ملكا خالدا على الزمن ، وكان مقتل الامام الحسين هو المعول الذى أتى على بنيانهم من القواعد وأسقطهم الى الابد .

بعض شهادات ضد معاوية

الشهادة الاولى :

تبدأ تلك الشهادات بشهادة ضده ، واجهه بها فى حياته صوت الحق ، الذى نطق على لسان سعية بن غريض وقد جاء عنه فى كتاب الأغاني لأبى الفرج ، انه كان يهوديا وأسلم وعمر طويلا .

وقال أبو الفرج فيما رواه عنه بسنده فى الأغاني عن الهيثم بن عدى قال :

حج معاوية حجتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلة يحج عليها نساؤه وجواريه ، قال فحج في احدهما فرأى شيخا يصلى في المسجد الحرام ، عليه ثوبان أبيضان ، فقال من هذا قالوا ، سعية بن غريض .. فأرسل اليه يدعوه ، فأناه رسوله فقال ، أجب أمير المؤمنين ، قال : أو ليس قد مات أمير المؤمنين ، قيل فأجب معاوية :

فأناه ، فلم يسلم عليه بالخلافة ، فقال له معاوية ، ما فعلت أرضك التي بتيماء ، قال يكسى منها العارى ، ويرد فضلها على الجار ، قال ، أتييها قال نعم ، قال بكم ، قال بستين ألف دينار ، ولولا خلة أصابت الحى لم أبعها ، قال لقد أغليت ، قال ، أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تبال ، قال : أجل ، واذ بخلت بأرضك فأشددنى شعر أبيك يرثى به نفسه ، فقال قال أبى :

يا ليت شعرى حين ألدب هالكا ماذا تؤبنى به ألواحى
أيقن لا تبعد ، فرب كريهة فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد ضربت بفضل مالى حقه عند الشتاء وهبة الأرواح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم ولقد رددت الحق غير ملاحى
واذا دعيت لصعبة سهلها أدعى بأفصح مرة ونجاح

فقال ، أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك ، قال ، كذبت ولؤمت ، قال ، أما كذبت فنعم ، وأما لؤمت فلم ، قال ، لأنك كنت ميت الحق في الجاهلية وميته في الاسلام ، أما فى الجاهلية ، فقاتلت النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى جعل الله عز وجل كيدك المردود ، وأما فى الاسلام فمئنت ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة ، وما أنت وهى ، وأنت طليق ابن طليق فقال معاوية : لقد خرف الشيخ فأقسموه ، فأخذ بيده فأقيم .

الشهادة الثانية :

وتبع الشهادة المتقدمة ، بشهادة حفيده معاوية الثانى بن يزيد ، الذى ولى الخلافة بعد أبيه وبقي فيها أربعين يوما ، فقد صعد المنبر فقال :

« أيها الناس ان جدى معاوية ، فازع الأمر أهله ، ومن هو أحق منه ، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على بن أبى طالب وركب بكم ما تعلمون ، حتى أتته منيته ، فصار فى قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بخطاياها .

« ثم قلد أبى الأمر ، فكان غير أهل لذلك ، وركب هواه وأخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، وصار فى قبره رهينا بذنوبه وأسيرا بجرمه .
« ان من أعظم الأمور علينا لسوء مصرعه وبئس منقلبه ، وقد قتل عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأباح الحرم وخرب الكعبة ، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشأنكم أمركم » .

وقد زلزلت خطبته هذه أركان الدولة الأموية ، خاصة وأنه لم يعين خلفا له على الرغم من الحاح أهله عليه ، بعد أن رأوا أن عدم استخلافه ، يمكن لعبد الله بن الزبير فى الخلافة ، وقد ذهب بعض المؤرخين الى أنهم سموه ، وذهب بعضهم الى أنهم طعنوه .

وقد بايعت شبه الجزيرة العربية لابن الزبير ، كما بايعته كل من مكة والمدينة ، حيث تطلع الناس الى الخلاص من الحكم الأموى ، وقد كانت فظائع الحرة التى وقعت على أهل المدينة ، ماثلة فى الأذهان ، وكذلك بايعت بلاد العراق لابن الزبير ، كما أقرت مصر خلافته ، وبايعه كثير من أهل الشام .

الشهادة الثالثة :

وهى شهادة رجل من العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من رمى بسهم فى الاسلام ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اللهم سدّد رميته واستجب دعوته » وهو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، وهى ليست خاصة ببيعة يزيد ، والا كنا قدمنّاها على غيرها ، انما هى خاصة بالبدعة التى ابتدعها معاوية ، وهى سب الامام على بن أبى طالب وقد بدأها هو ، وأمر ولاته باتباعها ، فكان الامام على ، وهو هو من الاسلام والمسلمين ، يسبه علانية بنو أمية وعمالهم دون أن يخافوا الله فيه .

وقد ولى معاوية سعد بن أبي وقاص ، فلم يتبع بدعة السب هذه مخالفاً بذلك معاوية ، فقال له معاوية ، ما يمنعك أن تسب أبا تراب (كنية الامام على التي كناه بها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فقال سعد ، أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن تكون لى واحدة منهن ، أحب الى من أن يكون لى حمر النعم ، فلن أسبه :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وقد خلفه فى بعض المغازى ، فقال له على ، يا رسول الله ، تخلفنى مع النساء والصبيان ، فقال أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، الا أنه لا نبوة بعدى . وسمعتة يقول يوم خيبر ، لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فتناولنا لها فقال : ادعوا لى عليا ، فأثاه وبه رمد ، فبصق فى عينيه ، ورفع الراية اليه ، ففتح الله عليه .

ولما نزلت هذه الآية ، (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) ، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا ، فقال : اللهم هؤلاء أهلى .

فهذه شهادة رجل كان من أصحاب الشورى الستة ، وكان امامنا على منافسا له فى الخلافة ، لكن لم يعدل به الهوى عن شهادة الحق ، والوقوف مع الحق حيث كان ، ولو ضايق ذلك صاحب السلطان .

الشهادة الرابعة :

وهى شهادة الخليفة الأموى الورع ، عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، فقد أبطل بدعة السب ، التي ابتدعها معاوية ، وأبدلها عمر عليه السلام بقوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون) .

أقول وقد قرأت فى سبب إبطالها ، أن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز تلقى فى صباه العلم عن رجل ورع من ذرية عتبة بن مسعود ، فرأى فى

طريقه الى المسجد ، عمر بن عبد العزيز ، بين صبيان بنى أمية ، يسبون الامام عليا ، فلما جاء عمر المسجد ليتلقى درسه ، أشاح الشيخ بوجهه عنه ، فسأل شيخه عن سبب ذلك ، فقال سمعتك تسب الامام عليا مع الصبيان ، يا بنى متى علمت أن الله غضب على أهل بدر بعد اذ رضى عنهم ، قال عمر ، وهل كان على فى بدر ، قال الشيخ ، وهل كانت بدر كلها الا لعلى .

يقول عمر ، ومن يومئذ ، نويت فى نفسى ، انى لو وليت أمر المسلمين أبطلت بدعة السب . وقد أنجز ما نواه حين ولى الخلافة فأرضى الله ورسوله .

الشهادة الخامسة :

وفى مناسبة عمر بن عبد العزيز ، أذكر ما دار بينه وبين أبيه ، عبد العزيز بن مروان ، حين كان واليا على المدينة ، فقد قال له عمر ، يا أبت أراك تهذر بالخطبة حتى اذا جئت الى سب على تلجلجت ، قال يا بنى لو يعلم الناس من أمر على ما يعلم أبوك ، ما بقى واحد منهم معنا .
وكتفى بتلك الشهادات الخمس حتى لا يطول بنا الكلام ، وتوضيح الواضحات من المشكلات كما يقولون .

اهل الكوفة فى توديعهم للامام الحسن :

روى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى قال : لما كان عام الصلح ، أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أياما ، ثم تجهز للشخص للمدينة ، فدخل عليه المسيب بن نجبة الفزارى ، وظبيان بن عمارة التيمى ، ليودعاه فقال الحسن :

الحمد لله الغالب على أمره ، لو أجمع الخلق جميعا على ألا يكون ما هو كائن ، ما استطاعوا .

فقال أخوه الحسين عليه السلام ، لقد كنت كارها لما كان ، طيب النفس على سبيل أبى ، حتى عزم على أخى فأطعته ، وكأنه يجذ أنفى بالموسى .

فقال المسيب ، انه والله ما يكبر علينا هذا الأمر ، الا أن تضاموا
وتنتقصوا ، فأما نحن فانهم سيطلبون مودتنا بكل ماقدروا عليه .

فقال الامام الحسين ، يامسيب ، نحن نعلم أنك تحبنا ، فقال الامام
الحسن عليه السلام ، سمعت أبي يقول ، سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : « من أحب قوما كان معهم » .

فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع فقال ليس الى ذلك سبيل .

الامام الحسن عند توديعه الكوفة :

قال فلما كان من غد خرج ، فلما صار بدير هند ، نظر الى الكوفة
وقال :

ولا عن قلى فارقت دار معاشرى هم المانعونى حوزتى وذمارى
فانظر ، رعاك الله ، الى وفائه بأهل مودته ، فقد ذكر الكوفة بأهل
مودته ، ولم يذكرها بأهل عداوته ، وهذا شأن عباد الرحمن ، يقبلون من
المحسن ، ويتجاوزون عن المسيء (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) .

نصيحته رضى الله عنه لبعض خصوم ابيه :

قال المدائنى (فيما نقله ابن أبى حديد) ، حدثنا سليمان بن أيوب عن
الأسود بن قيس العبدى ، أن الحسن عليه السلام لقي يوما حبيب بن
مسلمة فقال له : يا حبيب رب مسير لك فى غير طاعة الله ، فقال أما مسيرى
الى أييك فليس من ذلك ، قال بلى والله ، ولكنك أطعت معاوية على دنيا
قليلة زائلة ، فلئن قام بك فى دنياك ، لقد قعد بك فى آخرتك ، ولو كنت
اذ فعلت شرا ، قلت خيرا ، كان ذلك كما قال عز وجل (خلطوا عملا
صالحا وآخر سيئا) ولكنك كما قال الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون) .

وهى كما تراها نصيحة أمينة من رجل الدين لرجل الدنيا ، فهل
من مدكر !?

الامام الحسن يفهم خصومه :

وصف معاوية الامام الحسن يوما فقال ، انه ممن لا تطلق عارضته ، وكان ذلك حين وقعت مفاخرة بينه وبين رجالات من قريش ، من خصوم أبيه وخصومه .

وهي مفاخرة طويلة ، ذكرت مفصلة في مراجعها ، وقد رأيت أن أوجز ما جاء عنها في شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد .

ومع ما أوجزته ، سيرى القارئ الكريم ، عارضة الامام الحسن في قوتها ، وهو يلقم الحجر خمسة من كبار رجالات قريش وعلى رأسهم معاوية بعد أن استتب له الملك واستقر .

فقد اجتمع في دار معاوية : عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة .

وقد كان بلغهم عن الامام الحسن قوارص ، وبلغه عنهم مثل ذلك ، فقالوا لمعاوية ، يا أمير المؤمنين ، ان الحسن قد أحيا أباه وذكره ، وقال فصدق ، وأمر فأطيع ، وخفقت له النعال ، وان ذلك لرافعه الى ما هو أعظم منه ، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا .

قال معاوية ، فما تريدون ، قالوا ابعث اليه فليحضر لنسبه ونسب أباه ، ونعيه ونويحه ، ونخبزه أن أباه قتل عثمان وقرره بذلك ، ولا يستطيع أن يغير علينا شيئا من ذلك .

قال معاوية : اني لا أرى ذلك ولا أفعله ، قالوا عزمنا عليك يا أمير المؤمنين لتفعلن ، فقال ويحكم لاتفعلوا فوالله ما رأيته جالسا عندي الا خفت مقامه وعيبه لي ، قالوا ابعث اليه على كل حال قال ان بعثت اليه لأنصفه منكم .

فقال عمرو بن العاص ، أتخشي أن يأتي باطله على حقنا ، قال معاوية ، أما اني بعثت اليه لأمره أن يتكلم بلسانه كله ، قالوا مره بذلك .

قال ، أما اذ عصيتُموني ، وبعثتم اليه وأيتم الا ذلك فلا تمرضوا له في القول (أي لاتجعلوا قولكم مريضا) واعلموا أنهم أهل بيت

لا يعيبهم العائب ، ولا يلصق بهم العار ، ولكن اقدفوه بحجره ، تقولون له ، ان أباك قتل عثمان ، وكره خلافة الخلفاء من قبله .

فبعث اليه معاوية ، فجاءه رسوله ، فقال ان أمير المؤمنين يدعوك ، قال من عنده ، فسماهم له ، فقال الحسن عليه السلام : مالهم خر عليهم السقف من فوقهم ، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون .

ثم قال الامام الحسن ، يا جارية ، أبغيني ثيابي ، اللهم اني أعوذ بك من شرورهم ، وأدرا بك في نحورهم ، وأستعين بك عليهم فاكفنيهم كيف شئت ، وأنى شئت ، بحول منك وقوة ، يا أرحم الراحمين .

ثم قال : فلما دخل على معاوية ، أعظمه وأكرمه وأجلسه الى جانبه ، وقد ارتاد القوم وخطرنا الفحول ، بغيا في أنفسهم وعلوا ، ثم قال معاوية يا أبا محمد ، ان هؤلاء بعثوا اليك وعصوني .

فقال الحسن عليه السلام سبحان الله « الدار دارك والاذن فيها اليك ، والله ان كنت أجبتهم الى ما أرادوا وما في أنفسهم ، اني لأستحي لك من الفحش ، وان كانوا غلبوك على رأيك اني لأستحي لك من الضعف ، فأيهما تقرر وأيها تنكر ، أما اني لو علمت بمكانهم جئت معي بمثلهم من بنى عبد المطلب ، وما لي أن أكون مستوحشا منك ولا منهم ان وليي الله ، وهو يتولى الصالحين » .

فقال معاوية يا هذا ، اني كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملوني على ذلك مع كراهتي له ، وان لك منهم النصف ومني ، وانما دعوناك لنقرر ان عثمان قتل مظلوما ، وأن أباك قتله ، فاستمع منهم ثم أجبهم ، ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تكلم بكل لسانك .

ثم تكلموا واحدا بعد واحد ، وكانوا فيما تكلموا به متجنين متحاملين ، ولقد جائبوا الصواب فيما تكلموا به ، ويكفي كأنموذج لتحاملهم ، أن أقل للقاريء الكريم كلام عمرو بن العاص وهو أول متكلم فيهم :

تكلم عمرو ، فحمد الله ، وصلى على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ،
ثم ذكر عليا ، عليه السلام فلم يترك شيئا يعيبه به الا قاله ، وقال انه شتم
أبا بكر وكره خلافته ، وامتنع من بيعته ، ثم بايعه مكرها ، وشرك في دم
عمر ، وقتل عثمان ظلما ، وادعى من الخلافة ما ليس له .

ثم ذكر الفتنة يعمر بها ، وأضاف اليه مساوىء ، وقال يا بنى عبد
المطلب ، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء ، واستحلالكم ما
حرم الله من الدماء ، وحرصكم على الملك واتيانكم ما لا يحل .

ثم انك يا حسن ، تحدث نفسك أن الخلافة صائرة اليك ، وليس
عندك عقل ذلك ولا لبه ، كيف ترى الله سبحانه سلبك عقلك ، فتركك
أحمق قريش ، يسخر منك ويهزأ بك ، وذلك لسوء عمل أبيك .

وانما دعوناك لنسبك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرد الله به ، وكفانا
أمره ، وأما أنت فأنت في أيدينا نختار فيك الجصال ، ولو قتلناك ما كان
علينا اثم من الله ، ولا عيب من الناس ، فهل تستطيع أن ترد علينا وتكذبنا ،
فإن كنت ترى أننا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا والآن اعلم أنك
وأباك ظالمان .

أقول ، وقد كنت أنكر عقلى ، وأن أقرأ مقالة عمرو هذه ، فكيف
قالها ، وظن أنه صادق فيما قال ، مع أنه والله لم يقل صدقا ، ولا عدلا ،
وقد كنت أربأ به في ذكائه أن يخبط ، بهوى سياسى ، مثل هذا الخبط ،
وهو خبط عشواء وأضل ، ولئن كان أرضى معاوية ، فقد أغضب الله ربه ،
وكانه كلام محموم يهذى فلا يدري ما يقول ولا حول ولا قوة الا بالله .

والا فبماذا يستحل حرمة الامام الحسن وآله ، وبماذا يستحل دم
الامام الحسن ، بعد أن وقف من السلم موقفا خلده في التاريخ ويرحم
الله السيد محمد اقبال فيلسوف الباكستان العظيم اذ يقول مشيرا بذلك
الموقف الكريم ، فى قصيدته التى مرت عليك :

حسن الذى صان الجماعة بعد ما أمسى تفرقها يحل عراها
ترك الخلافة ثم أصبح فى الديار امام الفتها وحسن علاها

على أن امامنا الحسن ، عرض عليه معاوية ، أن يكون الخليفة من بعده ، وطبعا كان ذلك بعلم عمرو ورضاه ، فهل كانت صورة الامام الحسن عندهما يومئذ هي الصورة القبيحة التي نطق بها عمرو افكارا وبهتاناً في مقالته المتقدمة ، التي يطعن بها حليفه معاوية قبل أن يطعن بها الامام الحسن ، لأنه لو صدقت الصورة ، وحاشا ، لكان اختيار معاوية الحسن للخلافة من بعده أسوأ اختيار ، وأن كذبت الصورة ، وهي كاذبة فعلا فلا يسمع قول لكذاب ، لأن الوقت أثمن من القول الكاذب ..

وما لي أرد عليهم ، وقد أغناى الامام الحسن ، وأنى لئلى أو لأكبر منى أن يزاخمه ، فقد أجابهم واحدا واحدا ولقى عمرو منه جزاءه كما سترى :

حمد الامام الحسن الله ، وأثنى عليه ، وصلى على رسوله وآله ثم قال :

« أما بعد ، يا معاوية ، فما هؤلاء شتمونى ، ولكنك شتمتى ، فحشا ألفتة ، وسوء رأى عرفت به ، وخلقاً سيئاً ثبت عليه ، وبغياً علينا ، عداوة منك لمحمد وأهله ، ولكن اسمع يا معاوية واسمعوا ، فلاقولن فيك وفيهم دون ما فيكم .

أنشدكم الله ، أيها الرهط ، أن تعلمون أن الذى شتمتموه منذ اليوم ، صلى للقبليتين كليهما وأنت يا معاوية بهما كافر ، تراهما ضلالة ، وتعبد اللات والعزى غواية .

وأنشدكم الله ، هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما ، بيعة الفتح ، وبيعة الرضوان ، وأنت يا معاوية ، باحداها كافر ، وبالأخرى فاكث .

وأنشدكم الله هل تعلمون ، أنه أول الناس ايمانا ، وأنتك يا معاوية وأباك من المؤلفة قلوبهم ، تسرون الكفر وتظهرون الاسلام ، وتستمالون بالأموال .

وأنشدكم الله ، أستم تعلمون أنه كان صاحب راية رسول الله يوم بدر ، وأن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه ، ثم لقيكم يوم أحد

ويوم الأحزاب ، ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومعك ومع أبيك راية الشرك .

وفى كل ذلك يفتح الله له ، ويفلج حجته ، وينصر دعوته ، ويصدق حديثه ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك المواطن كلها عنه راض ، وعليك وعلى أبيك ساخط .

وأشددك الله يامعاوية ، أنذكر يوما جاء أبوك على جمل أحمر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله عليه وسلم فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق .

أتسى يا معاوية الشعر الذى كتبتة الى أبيك لما هم أن يسلم تنهاه عن ذلك :

يا صخر لا تسلمن يوما فتفضحنا بعد الذين بيدر أصبحوا فرقا
خالى وعمى وعم الأم ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
ولا تركنن الى أمر تكلفنا والراقصات به فى مكة الخرقا
فالموت أهون من قول العداة لقد حاد ابن حرب عن العزى اذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر مما أبديت أيها الرهط ، أنعلمون أن عليا حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيه (ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) وأن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أكابر أصحابه الى بنى قريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا ، فبعث عليا بالراية ، فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله ، وفعل فى خير مثلها .

ثم قال يا معاوية ، أظنك لا تعلم ، أنى أعلم ما دعا به عليك رسول الله صلى الله عليه وآله ، لما أراد أن يكتب كتابا الى بنى خزيمة ، فبعث اليك ابن عباس ، فوجدك تأكل ، ثم بعث اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، ثم بعث اليك مرة أخرى فوجدك تأكل ، فدعا عليك الرسول بجوعك ، ونهيك الى أن تموت (جاءت هذه القصة فى ترجمة معاوية فى أسد الغابة منقولة من صحيح مسلم) .

وأفاض الامام الحسن فى وقائع أخرى مع أبى سفيان ، ثم وجه كلاما لعمر بن العاص ، عده عمرو قذفا ، وطالب معاوية بإقامة الحد على الامام الحسن ، فقال معاوية خل عنه ، لا جزاك الله خيرا ، وقد استحسنت عدم ثقله اختصارا .

ومما قاله الامام الحسن لعمر بن العاص ، فأنت عدو بنى هاشم فى الجاهلية والاسلام ، ثم اناك تعلم ، وكل هؤلاء الرهط يعلمون ، أنك هجوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين بيتا من الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اللهم انى لا أقول الشعر ولا ينبغى لى ، اللهم العنه بكل حرف ألف لينة — فعليك اذن من الله مالا يحصى من اللعن .

وأما ما ذكرت من أمر عثمان ، فانت سمرت عليه الدنيا نارا ، ثم لحقت بفلسطين ، فلما أتاك مثله قلت ، أنا أبو عبد الله اذا تكأت قرحة أدميتها ، ثم حبست نفسك الى معاوية ، وبعث دينك بدنياك ، فلسنا نلومك على بغض ، ولا نعاتبك على ود ، وبالله ما نصرت عثمان حيا ، ولا غضبت له مقتولا ، الى آخر ما عنفه به ثم قال له ، فهذا جوابك ، هل سمعته .

وكان مما قاله الامام الحسن للوليد بن عقبة :

وأما أنت يا وليد ، فوالله ما ألومك على بغض على ، وقد جلدك ثمانين فى الخمر ، وقتل أباك بين يدى رسول الله صبرا ، وأنت الذى سماه الله الفاسق ، وبسمى عليا المؤمن ، حيث تفاخرتما فقلت له ، اسكت يا على ، فأنا أشجع منك جنانا ، وأطول منك لسانا ، فقال لك على ، اسكت يا وليد فأنا مؤمن ، وأنت فاسق ، فأنزل الله تعالى فى موافقة قوله « أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون » ثم أنزل فيك على موافقة قوله أيضا « ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا » ويحك يا وليد مهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك :

أنزل الله والكتاب عزيز فى على وفى الوليد قرآنا
فتبوى الوليد اذ ذاك فسقا وعلى مبسوا ايماانا
ليس من كان مؤمنا عمرك الله كمن كان فاسقا خواانا

ثم التفت الامام الحسن الى عتبة ، وقال متهمًا :

وأما أنت يا عتبة ، فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأحاورك
وأعاتبك ، وما عندك خير يرجي ، ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك الا
سواء ، وما يضر عليا لو سببته على رؤوس الأشهاد ، وأعقب ذلك بكلام
قارس أمسكت عن نقله اختصارا ، ثم التفت الامام الحسن الى المغيرة ،
وقال له في سخرية لاذعة :

وأما أنت يا مغيرة ، فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه ، وإنما
مثلك مثل البعوضة اذ قالت للنحلة ، استمسكي ، فاني طائرة عنك ، فقالت
النحلة ، وهل علمت بك واقفة على ، فأعلم بك طائرة عني ، وأتبع ذلك
بكلام قارس أمسكت عن نقله اختصارا .
ثم وجه كلامه للجميع قائلا :

وأما فخركم علينا بالامارة ، فإن الله تعالى يقول « واذا أردنا أن
نهلك قرية ، أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا »
قالوا ، ثم قام الامام الحسن فنفض ثوبه ، وانصرف ، فقال معاوية
قد أبأتكم أنه ممن لا تطلق عارضته ، ونهيتكم أن تسبوه فعصيتُموني ،
والله ما قام حتى أظلم على البيت ، قوموا عني ، فقد فضحككم الله وأخزاكم
بترككم الحزم ، وعدولكم عن رأي الناصح المشفق والله المستعان .

استرعاء نظر :

والى أود أن استرعى نظر القارئ الكريم الى الاعتبارات الآتية :

١ — ان الامام عليا لم يكرهه أحد على بيعة أبي بكر ، كما ادعى عمرو
ابن العاص ، وكان تأخره عن بيعته بعض الوقت في أرجح الأقوال
كما مر عليك لسببين :

أ) انه لم يشترك في اجتماع السقيفة ، وكان مشغولا بتجهيز
مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يرجو أن يدعى
للاجتماع باعتباره من السابقين الأولين .

ب) ان السيدة الزهراء زوجته ، كانت تطالب سيدنا أبا بكر رضى الله عنه فى ميراثها من أبيها فى أرض فدك ، ولم يجبها ، وأخبرها أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه فهو صدقة ، وما زال الخليفة الأول يسترضيها حتى رضيت عنه ، وهدد بترك الخلافة ان لم تكن الزهراء عنه راضية ومما قاله فى استرضائها، « يا حبيبة رسول الله . والله ان قرابة رسول الله أحب الى من قرابتي ، والى لك لأحب الى من عائشة ابنتى .. »

فالامام على فى تأخره عن البيعة ، كان يطيب خاطر زوجته ، حتى اذا رضيت بايع وقد قال تعالى فى نية رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة « لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك » وفى ذلك ثناء على نية علمها الله ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغنى تطيبب خواطرن ، ثم عاتب تعالى زوجته فقال « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه .. الآية » .

ويضاف الى ما تقدم أن الامام عليا وان تأخر فى البيعة ، فانه لم يخرج على الخليفة الأول ولم يحاربه ، كما فعل معاوية وعمر ، حين خرجا على الامام على ، وحارباه دون حق .

٢ — أما أن سيدنا عليا شارك فى دم عمر ، فلم يقل أحد ذلك ، وكيف وهو يخاف الله خوف السابقين ، يقتل النفس التى حرم الله الا بالحق .

وسيدنا عمر صهره ، وحبيبه ، وستعلم فيما يلى أنه حرص على مصاهرة الامام على ليكون له نسب بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث وقف على ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل نسب ينقطع يوم القيامة الا نسبى » ، وكان سيدنا عمر ، كما مر القول ، يقول لا أبقانى الله فى بلد لست بها يا أبا الحسن ، فهل كان يشك فى عداوته ويقول ذلك أو يصاهره .

٣ - ان سيدنا عمر حين استخلف ، أشار بواحد من الستة الذين انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وكان فيهم امامنا على ، فكان موضع ثقته الى آخر رمق من حياته .

٤ - ان سيدنا عمر قال لبعض جلسائه مشيرا الى فضل الامام على : لوها الأجلح لحملهم على الجادة ، فقالوا وما يمنعك أن تستخلفه ، قال لا أحملها حيا وميتا فليختاروا لأنفسهم ..

٥ - روى الامام القرطبي في تفسيره (في سورة الحديد) أن الامام عليا كرم الله وجهه قال منوها بفضل الشيخين أبي بكر وعمر :

سبق النبي صلى الله عليه وسلم وصلى أبو بكر ، وثلاث عمر ، فلا أوتى برجل فضلنى على أبى بكر الا جلده حد المفترى ثمانين جلدة وطرح الشهادة .

٦ - أما دم عثمان ، فان الامام عليا وابنيه الامامين الحسن والحسين ، دفعوا عنه بما لم يدفع عنه متهموه ، وكان عمرو بن العاص أول الناصحين لعثمان باعتزال الخلافة ، وكان يقاطع عثمان وهو يخطب ليسترضى الثائرين ، وكان يقول انى لألقى الراعى فأحرضه على عثمان ، وقد مر عليك بادل على شماتته به حين قتل ، وأما معاوية فلم يدفع عنه بشيء ، كما أنه لم يقتص من قتلته ، كما كان يطلب من أمير المؤمنين على .

وذكره بالقصاص ورثة عثمان فتهرب ، وقد روى العلامة العقاد في كتابه عبقرية الامام على ، أن معاوية زار المدينة فسمع ابنة عثمان تقول على مسمع منه : وا أبتاه ، فقال لها متهربا من القصاص وهو فى سلطانه :

يا ابنة أخى ان الناس أعطونا طاعة ، وأعطيناهم أمانا ، وأظهرنا لهم حلما. تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل انسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره فإذا نكثنا بهم نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا تكون أم

لنا ، ولأن تكونى بنت عم أمير المؤمنين ، خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين ..

وهذا الذى علمته من قول معاوية ، يريك بدليل واضح ، أن دم عثمان كان تكأة يخدعون بها الجاهل ، ويحرضون بها أهل الشام ، الذين اتقادوا اتقياد الأعمى لقائده ، بدافع من المال الذى أغدقه عليهم معاوية بلا حساب .

وإذا كان معاوية قد نجح فى استمالة أنصار أهل البيت بماله ، فاستمالة أهل الشام كانت عليه أهون وأرخص ، أو ليس هو الذى قال : لاستميلن بالدنيا ثقة على ، ولا قسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنيائى آخرته . وقد غلبت على الناس الدنيا ، وصدق أمير المؤمنين على حين قال لأتباعه : والله ما معاوية بأدهى منى ، ولكنه يغدر ويفجر ، ولولا كراهية الغدر ، لكنت من أدهى الناس .

وحين قال لهم ، ولكنه لا رأى لمن لا يطاع .

وحين قال لهم ، لم تكن بيعتكم إياى فلتة ، وليس أمرى وأمركم واحدا ، انى أريدكم لله وأتم تريدوننى لأنفسكم .

أقول وما أصدق سيدنا عثمان رضى الله عنه حين قال فى إحدى خطبه :

« ان ما تبلى به هذه الأمة ، قدر واقع لا يدفع ، وان فتنة الدنيا طغت على النفوس طغيانها الذى لا تجدى فيه الحيلة أو المحاولة » .

كما أقول صدق الامام الحسين رضى الله عنه حين قال :

« الناس عبيد الدنيا ، والدين لعق على ألسنتهم ، يحوطونه ما درت به معاشهم ، فاذا محصوا بالبلاء ، قل الديانون » .

بين عمرو بن العاص والامام الحسن مرة أخرى :

روى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى قال ، لقي عمرو بن العاص الحسن بن على عليه السلام فى الطواف ، فقال له ، يا حسن ، زعمت أن

الدين لا يقوم الا بك وبأييك ، فقد رأيت الله أقامه بمعاوية ، فجعله راسيا بعد ميله ، وبيننا بعد خفائه ، أفرضى الله بقتل عثمان .

أو من الحق أن تطوف بالبيت ، كما يدور الجمل بالطحين ، عليك ثياب كفرقىء البيض (القشرة الملتزقة ببياض البيض) وأنت قاتل عثمان ، والله أنه لآلم للشعث ، وأسهل للوعث أن يوردك معاوية حياض أييك .

فألقمه الامام الحسن عليه السلام الصخر ورد عليه قائلا :

« ان لأهل النار لعلامات يعرفون بها ، الحادا لأولياء الله ، وموالاة لأعداء الله ، والله انك لتعلم أن عليا لم يرتب في الدين ، ولم يشك في الله ساعة ولا طرفة عين قط .

وايم الله لتنتهين يا ابن أم عمرو ، أو لألفذن خضنيك بنوافذ أشد من القعضية (الأسنة) فاياك والتهجم على ، فاني من قد عرفت ، لست بضعيف الغمزة ، ولاهش المشاشة (أى رؤوس العظام) ولا مريء المأكلة .

« واني من قریش كواسطة القلادة ، يعرف حسبي ، ولا أدعى لغير أبى ، وأنت من تعلم ويعلم الناس ، تحاكت فيك رجال قریش ، فغلب عليك جزارها ، الأمهم حسبا ، وأعظمهم لؤما ، فاياك عنى ، فإناك رجس ، ونحن أهل بيت الطهارة ، أذهب الله عنا الرجس وطهرنا تطهيرا » .
قال فأفهم عمرو وانصرف كئيبا .

مقارنة بين معاوية وعمرو :

دلى اطلاقى على أن معاوية كان يحسن معاملة السبطين الحسن والحسين ، واذا قدم عليه أحدهما رجب به قائلا : مرحبا وأهلا ، وكان يجلسهما معه على سرير الملك ، وكان يقضى لهما الحاجات ، وكان يتحاشى اغضابهما ، لا بل انه أوصى يزيد ابنه بالامام الحسين وجاء فى وصيته تلك : ... « وان له رحما ماسة ، وحقا عظيما وقرابة من محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فان قدرت عليه

فاصفح عنه ، فانى لو أنى صاحبه عفوت عنه » ، ولعل حسن معاملة معاوية للسبطين هو الذى جعل بعض الرواة يقولون ان الذى تولى سسم الامام الحسن هو اليزيد وليس معاوية .

معاوية يتمسح عند موته فى آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

جاء فى شرح كتاب زاد المسلم ، قال صاحب العقد الفريد أنه لما قتل معاوية ويزيد غائب ، أقبل يزيد ، فوجد عثمان بن محمد بن أبى سفيان جالسا ، فأخذ بيده ودخل على معاوية ، وهو يجود بنفسه ، فكلمه يزيد فلم يكلمه فبكى يزيد .

ثم قال معاوية أى بنى ، ان أعظم ما أخاف الله فيه ، ما كنت أصنع بك ، يا بنى انى خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا مضى لحاجته وتوضأ ، أصب الماء على يديه ، فنظر الى قميص لى قد انخرق من عاتقى ، فقال لى ، يا معاوية ألا أكسوك قميصا ، قلت بلى ، فكسانى قميصا لم ألبسه الا لبسة واحدة ، وهو عندى ، واجتز (قص شعره) ذات يوم فأخذت جزارة شعره وقلامة أظافره ، فجعلت ذلك فى قارورة .

فاذا مت يا بنى فاغسلنى ، ثم اجعل ذلك الشعر والأظفار فى عيني ومنخرى وفمى ، ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شعارا من تحت كفنى ، ان نفعنى شئ نفع هذا .

تفاوت الصحابة فى الدرجات :

لاشك أن الصحابة رضوان الله عليهم هم أفضل الأمة المحمدية ، وقد نزلت آيات شتى فى القرآن الكريم تنوه بفضلهم وسبقهم وغفران ذنوبهم ورفع درجاتهم .

الا أنهم رضوان الله عليهم يتفاضلون فى الدرجات عند الله فيما بينهم ، نطق بذلك كتاب الله الكريم ، كما نطقت السنة النبوية المطهرة . من ذلك مثلا قوله تعالى فى سورة الحديد (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله والله ميراث السموات والأرض لا يستوى منكم من أنفق من قبل

الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أففقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) .

والمراد بالفتح فى قول أكثر المفسرين فتح مكة ، وذهبت قلة الى أنه صلح الحديبية .

وجاء فى تفسير الامام القرطبى كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ، وثقتان أحدهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة قبل فتح مكة أفضل من القتال والنفقة بعد ذلك ، لأن حاجة الناس قبل الفتح كانت أكثر لضعف الاسلام ، والاتفاق حينئذ كان على المنفقين أشق ، والأجر على قدر النصب . قال ، والآية نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه ، وفيها دليل واضح على تفضيله وتقديمه ، لأنه أول من أسلم (من الرجال) ، وأول من أففق على النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم قال ، وقد وعد الله الجميع الجنة ، مع تفاوت الدرجات ، كما أن المهاجرين مفضلون على الأنصار ، وقد بين ذلك بجلاء سيدنا أبو بكر فى اجتماع السقيفة فقال للأنصار ، وقدما فى القرآن عليكم نحن الأمراء وأنتم الوزراء .

وأقول ، ولا شك أن الامام عليا بسبقه الى الاسلام صبييا دون الحلم ، وبقتاله الرائع قبل الفتح من أصحاب الدرجات العليا بنص الآية المتقدمة ، كيف لا وقد قال فيه أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : لولا سيفه ما قام عمود الاسلام .

اجتهاد الصحابة :

الى أومن باجتهاد الصحابة فى تصرفاتهم ، كما أومن أنهم عدول ، ولا يشذ منهم عن هذه القاعدة فى رأى ، الا من خالط تصرفاته هواه الشخصى الذى يخرج عن سواء السبيل .

فاذا قست كلا من معاوية وعمر بن العاص بهذا المقياس ، لا أقول باجتهاد أى منهما ، فقد كان معاوية فى خصومته للامام على ، كرم الله وجهه

يشد ملكا ، يتشبه فيه بكسرى وقيصر ، حيث كان أهل السابقة في الدين يريدون خلافة الراشدين .

وحين أطفأ نيران الفتنة الامام الحسن عليه السلام بتنازله عن الخلافة ، لم يقف الهوى بمعاوية عند ملكه هو بل غلبه الهوى ، وحب ابنه ، وتأسيس الملك في بيته ، فأكره المهاجرين والانصار على بيعه ابنه برهبة السيف ، وترتبت على تلك البيعة المشؤومة الحوادث التي غرست الحزن الدائم في قلوب المسلمين ، كما كانت السبب المباشر في الخلاف القائم فيهم الى اليوم ، حتى في الآراء الدينية ، حيث جرت الخلافات السياسية الى الخلافات المذهبية ، وهي حالة تسوء ولا تسر ، وقد تأصلت في المسلمين علة الخلاف فاستعصت على علاج المصلحين ويا أسفاه .

وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسرى أهل بدر ، فأشار سيدنا أبو بكر وجماعة معه بأخذ الفدية ، وأشار سيدنا عمر بضرب رقابهم اذ لا هودة في الدين ، وحيث لم يكن قد نزل وحى ، فقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى الأغلبية وقبل الفدية .

ولما نزل قوله تعالى (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) تخرج الصحابة من الأكل من مال الفدية ، فأزال الله عنهم الحرج وأحل لهم الغنيمة فقال (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فأقرهم على اجتهدهم ، لأنهم وان أخطأوا الرأي الصائب لكنهم أخطأوا باجتهد جماعى ، لم يغلبهم فيه هوى فردى لنفع شخصى بل أرادوا أن يأخذوا الفدية ليستعينوا بها في المصلحة العامة ومواجهة أعدائهم الكافرين ، وقد وضع ذلك سيدنا أبو بكر في رأيه .

ومن الواضح أن معاوية لا يسه هوى الملك لنفسه وتعمدها الى ابنه وأعقابها ، فخرج على ولى الأمر أولا بغير حق ، ثم خرج عن أصل الشورى الذى كان يطلبه الى الامام على ، ثم الذى شرطه عليه في شروط الصلح الامام الحسن بن على ، وهو النهج الأقوى الذى سارت عليه سنة أسلافنا الأولين الصالحين .

وعمر بن العاص ، اشترط على معاوية في مؤازرته أن يعطيه خراج مصر بأكمله ان تم له الظفر على الامام على ، فكانت المصلحة الخاصة ، دافعة له ، في مواقفه العدائية ، لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وياحبذا لو لم يزل به الهوى هذه الزلة ، وهو فاتح الشام ومصر .

وما أصدق ما قال معاوية في شجاعة أدبية ، أما أبو بكر فلم تردده الدنيا ولم يردّها ، وأما عمر فقد أرادته الدنيا فلم يردّها ، وأما نحن فقد تقلبنا فيها ظهرا لبطن .

مقارنة بين موقف الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

سلم الامام الحسن الأمر لمعاوية ، ولم يفعل الامام الحسين فعله مع يزيد ، ولعل اختلاف الموقفين يشير شكوكا في افهام بعض الناس ، والمنصف المتأمل يرى أن كلا منهما كان مجتهدا في رأيه ، ومحقا في موقفه .

أما عذر الامام الحسن في التنازل فقد بان للقارىء المتأمل في الحوادث التي جرت ، فإن أنصار معاوية كانوا من أهل الدنيا ، تلعب الأموال بأهوائهم ، وقد عرف معاوية علتهم فنثر عليهم الذهب والفضة ثرا ، فوجدوا في يدى معاوية ما يشتهون ..

وكان معاوية صالحا لأهل الدنيا ، وكان أهل الدنيا صالحين لمعاوية ، وقد مر عليك ما قاله عمرو بن العاص ، لا يصلح لهذا الأمر الا رجل له خسران يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر ، وما قاله معاوية : لأستميلن بالدنيا قناة على ، ولأقسمن فيهم الأموال حتى تغلب دنيائى آخرته ، فلم يكن فى أهل العراق أحد فى قلبه مرض الا طمع فى معاوية .

أما أنصار الامام الحسن ، فهم أنصار أبيه ، وقد وصفهم أبوه فقال : أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، وقليل منهم من كان معه قلبا وقالبا .

وقد طلب الامام الحسن خلافة الراشدين ، وخاف الله كآبئه فى أموال المسلمين ، فلم ينثر على جنوده الأموال ثرا ، بل أراد أن يقصا على

الناس معه انتصارا للحق وطلبا للأخرة ، فلم يتحسّن لذلك منهم الا أهل الصدق والوفاء والدين ، وقليل ما هم .

وقد خذله فى موقف الجّد ، كما رأيت ، ابن عمه عبيد الله بن عباس والتمسه الناس ليصلّى بهم الصبح فوجدوه فى عسكر معاوية ، فلا رده دينه وورعه ، ولا ردّعه عصيته لبني هاشم ، فلم يبق الى جوار خليفة الحق وابن عمه أمير المؤمنين الحسن عليه السلام وغلبت دنياه على دينه ، وخمدت حمية العصية فكان منه ذلك الموقف المخزى ، وقد ذهب المال الذى أغراه وبقي لاصقابه عار الموقف .

وفد رأينا للحق أنصارا أوفياء فى صف الإمام الحسن ، لكننا رأيناه فى قلة من أمثال قيس بن سعد ، وعدى بن حاتم ، وقيس بن سعيد ، لكن معاوية كان معه عشرات الألوف ، يأترون بأمره ، ويتنهون بنهيه .

لذلك لم يكن عجيبا ما علمته من أن جند الامام الحسن اعتدوا عليه ، ونهبوا عسكره ، وشتموه على مسمع الناس فى سفاهة الحمقى ، الذين لا يكادون يفقهون قولا .

أما الامام الحسين ، فقد عرفت أنه كان يعارض أخاه فى الصلح مع معاوية ، وحين أصر أخوه رضى لبرأيه على كره منه ، وقد زاد الشيعة معارضة بعد موت الامام الحسن ، وشجعتهم معارضة الامام الحسين لسياسة معاوية ، كما شجعتهم قسوة ولاية معاوية فى معاملتهم ، وخاصة ما كان منها على يد زياد وابنه عبيد الله .

وآلت الخلافة لمعاوية ، عن رضا من الامام الحسن ، لكن يزيد آلت اليه الخلافة عن معارضة من الامام الحسين وسائر أبناء المهاجرين ، لكن معاوية حمل الناس على البيعة بقوة السلطان ورهبة السيف .

وكان الصراع ، كما يقول العلامة العقاد ، بين الحسين ويزيد أول تجربة من قبلها بعد عهد النبوة ، وعهد الخلفاء الأولين ، قد بذل فيها الحسين روحه ، وطبيعة الشهادة موكلة ببذل الحياة لما هو أدوم من الحياة فهو أبو الشهداء ، ولنبوع شهادة متعاقبة ، لا يقرن بها ينبوع فى تاريخ البشر أجمعين .

اجتهاد كل من الامامين الحسن والحسين عليهما السلام :

ويرى ابن أبي حديد أن كلا من الامامين الحسن والحسين ، عليهما السلام ، كان مجتهدا فيما رآه ، فسلم الامام الحسن الأمر الى معاوية ، ونازع الامام الحسين اليزيد فى الخلافة وعمل كل فى موقفه بموجب اجتهاده ، وما غلب على ظنونهما من المصلحة .

وقد كان تمكن الامام الحسن من المصلحة الحاضرة ، أكثر من تمكن الامام الحسين فى حاله الحاضرة ، لأن جند الحسن كان حوله ومطيئا به ، وهم كما روى مائة ألف سيف ، ولم يكن مع الامام الحسين من يحيط به ، ويسير بمسيره الى العراق الا دون مائة فارس ، ولكن ظنهما فى عاقبة الأمر ومستقبل الحال كان مختلفا .

فكان الامام الحسن يظن خذلان أصحابه عند اللقاء والحرب ، وكان الامام الحسين يظن نصرة أصحابه عند اللقاء والحرب ، فلذلك أحجم احدهما ، وأقدم الآخر .

ويقول ابن أبي حديد فى موضع آخر ، وقد صح فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما شاور فى أمر أسرى بدر أبا بكر أشار ألا يقتلهم ، وأشار عمر بقتلهم ، فمدحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعا . ويتضح لك شعار الامام الحسين ، حين طلبوا اليه أن يبايع لليزيد ابقاء على حياته وإتقاء للموت الذى يلقاه ان لم يبايع فقال لقائد الجيش الذى أرسلوه لقتاله : أبا الموت تخوفنى وتمثل :

سأمضى وما بالموت عار على الفتى اذا ما نوى خيرا يجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه وخالف مشورا وفارق مجرما
فان عشت لم أندم وان مت لم ألم كفى بك ذلا أن تعيش وترغما

وقال أيضا فى شمع نبوى هاشمى ، لا والله ، لا أعطيهم يدي اعطاء الذليل ولا اقرار العبيد ، ألا وان الدعى بن الدعى خيرنا بين اثنتين : السلة أو الذلة (والسلة اقتراع الشئ ويقصد البيعة) وهيئات منا الذلة ، يا بى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون ، وحجور طابت ، وبطون طهرت ، وألوف حمية ، ونفوس أبية .

وصية الامام الحسن لآخيه الامام الحسين :

روى ابن عبد البر من وجوده في كتاب الاستيعاب ، أن الامام الحسن ، لما حضرته الوفاة قال للامام الحسين أخيه :

ياأخي ، ان أباك رحمه الله ، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استشف لهذا الأمر ، ورجا أن يكون صاحبه فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، فلما حضرت أبابكر الوفاة تشوف لها أيضا ، فصرفت عنه الى عمر ، فلما احتضر عمر جعلها شورى بين منته هو أحدهم ، فلم يشك أنها لاتعدوه ، فصرفت عنه الى عثمان ، فلما هلك عثمان ببيع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها ، فما صفا له شيء منها .

واني والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة ، فلا أعرفك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك .

اني وقد كنت طلبت الى عائشة اذا مت أن تأذن لي ، فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت نعم ، واني لا أدري ، لعلها كان ذلك منها حياء ، فاذا أنامت فاطلب ذلك اليها ، فان طابت نفسها فادفني في بيتها ، وما أظن القوم الا سيمنعونك اذا أردت ذلك ، فان فعلوا فلا تراجعهم في ذلك وادفني في بقيع الغرقد ، فان لي بن فيه أسوة .

أقول وقد مر عليك ما يؤيد صدق فراصة الامام الحسن ، فقد اعترض مروان على دفن الامام الحسن الى جوار جده صلى الله عليه وسلم ، فدفن في البقيع الى جوار والدته السيدة الزهراء رضي الله عنهما وعن ذويهما .

لماذا خالف الامام الحسين وصية الامام الحسن :

اني شخصا أعتقد أن الذي اضطر الامام الحسين لمخالفة الوصية التي أوصاه بها أخوه ، حين خرج من مكة الى الكوفة هي الاعتبارات الآتية :

١ - خروج معاوية عن مبدأ الشورى ، وجعله ملك بنى سفيان وراثيا ، يتوارثه الخلف عن السلف ، وهو أمر خطير على الاسلام وأهله .

٢ - بيعة معاوية ليزيد ، وهو تابعى ، مع فسقه المشهور بين الناس وتركه لخيار الصحابة من المهاجرين والأنصار .

٣ - إيفاد الامام الحسين لابن عمه مسلم بن عقيل ، ليستوثق له من حال أهل الكوفة ، وقد أحسن أهل الكوفة استقباله وابعوا تحت سمعه وبصره لابن عمه الامام الحسين ، وكتب بذلك للامام الحسين ، فخرج من مكة الى الكوفة على بينة من أمره ، لكن أفسد بيعة الامام الحسين تولية عبيد الله بن زياد على الكوفة (مع ولايته على البصرة) فاشتري أهل الكوفة بالمال وأشاع فيهم الرعب ، فعدروا بمسلم بن عقيل وتخلوا عنه ومكنوا ابن زياد منه فقتله ، وكان الامام الحسين قد وصل الى مشارف الكوفة ووقع استشهاد مع أهله وصحبه في كربلاء ، وهو قادر واقع ، والحذر لا ينجى من القدر ، وانا لله وانا اليه راجعون .

و شاء الله ، جلت حكمته ، أن يرتبط باستشهاد الامام الحسين سقوط دولة بنى أمية ، فان استشهاد كان معول هدمها ، وان يرتبط باستشهاد قيام الدولة العباسية فى المشرق ، والفاطمية فى المغرب ، والأموية فى الأندلس (حتى قضى عليها بنو حمود الاشراف الحسنيون) .

ولا تنس أن أهل الرأى نصحوا لسيدنا أبى بكر الصديق بعدم قتال أهل الردة فخالفهم جميعا حيث رأى باجتهاده أن قتالهم واجب وقال أينقص الدين وأنا حى (ولكل وجهة هو موليها) .

وقد حى الامام الحسين حياة الشهداء ، وباء خصومه بزوال ملكهم بعد ستين سنة من استشهاد ، وهو عمر قصير فى طول الحياة ، وفد نالوا من عدالة الله جزاءهم فأخذوا وقتلوا تقتيلا ، وشربوا على يد المخثر بن عبيد الله وأبى العباس السفاح وأعمامه ، مرارة بغيرهم ، والآخرة أشد عذابا وأبقى ، وما ربك بظلام للعبيد .

اتماما للفائدة ، تعرض لبعض الوقائع التي يحسن بالقارىء أن يعلم بها ، فى مناسبة قراءته لتاريخ الامام الحسن .

بين معاوية وحجر بن عدى وأصحابه :

علم القارىء الكريم مما مر عليه أن معاوية قتل حجر بن عدى وأصحابه ، وهامى بعض التفاصيل :

جاء فى تاريخ الطبرى من حوادث سنة احدى وخمسين مقتل حجر بن عدى الكندى ، وذلك أن معاوية بن أبى سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فى سنة ٤١ ، دعاه وأوصاه بشتى على وذمه والعيب على أصحابه والاقتصاء لهم ، وباطراء شيعة عثمان ، والادناء لهم والاستماع منهم .

فأقام المغيرة على الكوفة عاملا لمعاوية ، سبع سنين وأشهر ، لا يدع ذم على والوقوف فيه ، والدعاء لعثمان ، والتزكية لأصحابه ، والظالين بدمه . فكان حجر بن عدى ، اذا سمع ذلك ، قال بل اياكم فذم الله ولعن ، ثم قام فقال ان الله عز وجل يقول (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وأنا أشهد أن من تدمون وتميرون لاحق بالفضل .

ولما هلك المغيرة سنة ٥١ ، جمعت الكوفة والبصرة لزياد بن سمية ، فصعد المنبر ، وذكر عثمان وأصحابه فقرظه ، وذكر قتلته ، ولعنهم ، فقام حجر ففعل مثل الذى كان يفعل بالمغيرة .

ورجع زياد الى البصرة ، وولى الكوفة عمر بن الحريث ، فبلغه أن حجرا يجتمع اليه شيعة على ، ويظهرون لمن معاوية والبراءة منه ، فشخص الى الكوفة ، وخطب يوم الجمعة ، وأطال الخطبة وآخر الصلاة ، فقال حجر بن عدى : الصلاة ، فمضى فى خطبته ، ثم قال الصلاة ، فمضى فى خطبته فلما خشي حجر فوات الصلاة : ثار اليها وثار الناس معه ، فلما رأى ذلك زياد صلى بالناس .

وكتب الى معاوية فى أمره فكتب اليه معاوية ، أن شده فى الحديد ثم احمله الى ، فأخذ زياد حجر بن عدى وحبسه ، ثم أرسله الى معاوية فى

الحديد ، فلما جهل عليه ، سلم عليه فقال له معاوية ، والله لا أقيلك ،
أخرجوه فاضربوا عنقه .

وجاء فى التاريخ الكبير لابن عساكر ، أن حجر بن عدى الكندى ،
من أهل الكوفة ، وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان مع الجيش
الذى فتح الشام ، وشهد صفين مع على بن أبى طالب وقتل بمذراء من قرى
دمشق ومسجد قبره بها معروف .

وقال حجر لأصحابه ، ان قتلنى معاوية ، لا تفكوا قيودى ، وادفنونى
بها ، ولا تغسلوا عنى دما ، فأنى ألقى معاوية بذلك غدا .

وجمع زياد من أصحاب حجر ثلاثة عشر رجلا فتسوا به أربعة عشر ،
وأرسلهم مع حجر الى معاوية فقتل منهم سبعة ، فاستنظع أهل الكوفة ذلك
استنظاعا شديدا .

وقد قال معاوية ، ما قتل أحدنا الا وأنا أعرف فيم قتلته ما خلا حجرا ،
فأنى لا أعرف بأى ذنب قتلته .

أقول وهؤلاء ، الذين قتلهم معاوية ، كان الامام الحسن قد أخذ
الأمان لهم من معاوية ، وفى ذلك خروج سافر على شروط الصلح .

بين الامام الحسن وحجر بن عدى :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن المدائنى ، قال، دخل عبيدة بن عمرو
الكندى على الحسن عليه السلام ، وكان ضرب على وجهه ضربة ، وهو
مع قيس بن سعد بن عباد ، فقال ما الذى أرى بوجهك ، قال أصابنى مع
قيس .

فالتفت حجر بن عدى الى الامام الحسن فقال لوددت أنك كنت من
قبل هذا اليوم ، ولم يكن ما كان ، ألما رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا
مسرورين بما أحبوا .

فتغير وجه الامام الحسن ، وغمز الحسن عليه السلام حجرا فسكت
فقال الامام الحسن عليه السلام ، يا حجر ليس كل الناس يحب . اتحب ، ولا
رأيه كرايك ، وما فعلت ما فعلت الا ابقاء عليك ، والله كل يوم فى شأن .

الباب الثالث

المتهمات

- ✽ الكوتورون من الامام على
- ✽ حول اجتماع النبوة والخلافة
- ✽ السنة النبوية ومظاهر الملك
- ✽ اهل الكوفة في وصف الامام الحسن
- ✽ وصية امير المؤمنين على لابنه الامام الحسن

توبة طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة :

أجمع العلماء على توبة طلحة والزبير وأم المؤمنين سيدتنا عائشة من موقفهم فى واقعة الجمل ، فعليهم رضوان الله .

أما الزبير فقد انسحب من المعركة كما علمت ، وقال لأمر المؤمنين على حين ذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد أذكرتني ما أنسانيه الدهر ، ولو ذكرت ذلك ماخرجت .

وأما طلحة ، فقد رأى وهو وجود بنفسه ، رجلا الى جواره ، فقال من أى الفريقين أنت قال من فريق أمير المؤمنين على ، فقال أبلغه أنى مبايعه ، ولما بلغ ذلك أمير المؤمنين ، قال أبى الله أن يدخل طلحة الجنة الا ويعتى فى عنقه ، وقد جرن لقتله أمير المؤمنين عليه السلام ورثاه كما سلف القول .

أما سيدتنا عائشة ، فقد قالت لأمر المؤمنين على عليه السلام ، يا ابن أمى طالب ملكك فاسجح ، فقال لها غفر الله لك قالت وغفر لك ، وودت لو أنها ماتت قبل يوم الجمل بعشرين عاما ، وكانت تبكى وتقول وقرن فى بيوتكن ، كما أنها وهى خارجة من البصرة قالت للناس : أيها الناس لم يكن بينى وبين على فى التقديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها (أهل الزوج) وقد سئلت رضى الله عنها أى الناس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت فاطمة ، فقيل من الرجال ، قالت زوجها ، ان كان ما علمت فواما صراما .

وفى هذه المناسبة ، أذكر أن عبد الله بن الزبير وكان من قادة معركة الجمل ، كان يتردد على مجلس الامام الحسين ويسمع منه .

وكانت السيدة أم اسحق بنت طلحة زوجة للامام الحسن ، فلما حانت وفاته أوصى أخاه الامام الحسين ألا تخرج من بيوتهم ، وان يتزوجها الامام الحسين بعد انقضاء عدتها ، وفعل بالوصية ، وقد أعقب منها ، السيدة فاطمة (النبوية) التى تزوجت من ابن عمها الحسن بن الحسن ، وهى أم عبد الله الذى مر عليك ما كان بينه وبين المنصور .

هو قورون من الامام عل عليه السلام :

جاء في أخبار صفين ، فيما نقله بسنده ابن أبي حديد عن محمد بن اسحق ما خلاصته :

اجتمع عند معاوية في بعض ليالى صفين ، عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سفيان ، والوليد بن عقبة ، ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر ، وابن طلحة الطلحات .

فقال عتبة ، ان امرنا وأمر على بن أبي طالب لعجب ، ما فينا الا موتور محتاج .

أما أنا فقتل جدى عتبة بن ربيعة ، وأخى حنظلة وشرك فى دم عى شية يوم بدر ، أما أنت يا وليد فقتل أباك صبوا ، وأما أنت يا ابن عامر فصرع أباك وسلب عمك ، وأما أنت يا ابن طلحة فقتل أباك يوم الجمل (مع أن مروان هو الذى قتله واعترف بقتله) وأنت اخوتك ، وأما أنت يا مروان فقد أفلت .

قال معاوية ، هذا الاقرار ، فابن الغير ، قال مروان ، وأى غير تريد ، قال أريد أن تشجروه بالرماح ، قال والله يا معاوية ، ما أراك الا هاذيا أو هازئا .

فقال ابن عقبة شعرا ، عرض فيه بعمرو بن العاص ، حين نال منه أمانا على مقتلا فى صفين ، فالتقى عمرو بنفسه عن فرسه ، واستلقى وكشف عورته فأدار أمانا على وجهه ، وتركه ولم يقتله ، وكان عمرو يعير بها قى الناس وجاء فيما قاله ابن عقبة :

بقول لنا معاوية بن حرب	أما فيكم لو اترككم طلبوب
يشد على أبى حسن على	باسمر لا تهجنه الكعوب
فقلت له أتلعب يا ابن هند	كأنك بيننا رجل غريب
أفترينا بحية بطن واد	إذا نهشت فليس لها طيب
وما ضج يدب بيطن واد	أتيح له به أسد مهيب
بأضعف حيلة منا إذا ما	لقيناه ولقياه عجيب
سوى عمرو وقته خصيتاه	وكان لقلبسه منه وجيب

وقال عمرو بن العاص شعرا ، جاءت فيه شهادة صادقة فى امامنا على
وخصومه ، ومما قاله :

وعيرنى الوليد لقاء ليث	إذا ما شد هابته الأسود
فأما فى اللقاء فأين منه	معاوية بن حرب والوليد
فرمها منه يا ابن أبى معيط	وأنت الفارس البطل النجيد
وأقسم لو سمعت ندا على	لطار القلب وانتفخ الوريد
ولو لا قيته شقت جيوب	عليك ولطمت فيك الخدود

بين عمرو ومعاوية فى خلافته :

وروى ابن أبى حديد بسنده عن الواقدي قال :

قال معاوية يوما بعد استقرار الخلافة له ، لعمرو بن العاص ، يا أبا
عبد الله ، لا أراك الا ويغلبنى الضحك ، قال بماذا قال اذكر يوم حمل
عليك ، أبو تراب (كنية الامام على) فى صفين ، فازريت نفسك فرقا من
شبا سناته ، وكشفت سوائك له .

فقال عمرو ، وأنا منك أشد ضحكا ، الى لأذكر يوم دعاك الى البراز
فانتفخ سحرك ، وربا لسانك فى فمك ، وغصصت برقك ، وارتعلت
مرائصك وبدا منك ما أكره ذكره لك .

فقال معاوية ، لم يكن هذا كله ، وكيف يكون ، ودونى عك
والأشعريون ، قال : انك تعلم ان الذى وصفت دون ما أصابك ، وقد نزل
ذلك بك ، ودونك عك والأشعريون ، فكيف كان حالك ، لو جمعكما
مأقط الحرب (موضع القتال) .

فقال معاوية ، يا أبا عبد الله خض بنا الهزل الى الجبد ، ان الجبن
والفرار من على ، لا عار على أحد فيهما .

أمير المؤمنين عمر وولاته :

وروى بن أبى حديد بسنده أن حذيفة قال لأمير المؤمنين عمر رضى
الله عنه : انك تستمين بالرجل الذى فيه ، وبعضهم يرويه بالرجل الفاجر ،

فقال استعمله لأستعين بقوته ، ثم آكون على قفانه (أى أتبع أمره وأستقصى عمله) .

وقد فسر أمير المؤمنين عمر عليه السلام ، السبب فى تركه بنى هاشم وعدم استعمالهم فى الولاية ، فقال لا أدنس هؤلاء بالعمل .

ومعروف أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، كان شديد المحاسبة لعماله وولائه ، وكانت له هيبة فىهم وفى الرعية كلها ، حتى قالوا : كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج .

ولقد كتب أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، لعمر بن العاص وهو واليه على مصر :

انكم معشر الأمراء ، آكلتم الأموال ، وأخلدتم الى الأعداء ، فأنما تأكلون النار ، وتورثون العار ، وقد وجهت اليك محمد بن مسلمة ليشاطرك على ما فى يدك (أى بصادر نصف مالك) .

شهادة الامام على فى أمير المؤمنين عمر :

وحين جرى الى أمير المؤمنين عمر بجواهر كسرى ، ورآها قال مادحا لأعوانه ، ان فوما أدوا هذا لأمناء .

فقال له امامنا على : يا أمير المؤمنين : عففت فعفوا ، ولو رتعت لرتعوا . كما قال امامنا على مزكيا أمير المؤمنين عمر عند موته : ما أحد أحب الى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى .

أمير المؤمنين عمر يتزوج اخت الامامين الحسن والحسين :

روى ابن أبى حديد بسنده عن الزبير بن بكار قال : خطب عمر أم كلثوم بنت على عليه السلام ، فقال له انها صغيرة ، فقال زوجنيها يا أبا الحسن ، فأنى أرصد من كرامتها مالا يرصده أحد .

فقال ، أنا أبعثها اليك ، فان رضىتها زوجتكها فبعثها اليه ببرد ، وقال لها قولى هذا البرد الذى ذكرته لك ، فقالت له ذلك فقال ، قولى له فد رضىته رضى الله عنك .

ووضع أمير المؤمنين يده على ساقها ، فقالت له ، أتفعل هذا ، لولا
أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ، ثم جاءت أباهما فأخبرته الخبر ، وقالت
بعثنى الى شيخ سوء ، قال مهلا يا بني ، انه زوجك .

فجاء عمر الى مجلس المهاجرين فى الروضة ، وكان يجلس فيها
المهاجرون الأولون ، فقال رقتونى (أى هنتونى من قولهم بالرفاء والبنين).

قالوا بماذا يا أمير المؤمنين ، قال تزوجت أم كلثوم بنت على بن
أبى طالب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (كل سبب ونسب
وصهر ينقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وصهرى) .

وأنت ترى من ذلك أن أمير المؤمنين عمر ، رضى الله عنه ، أراد أن
يجمع الى مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (حيث كانت السيدة
حبيسة بنت عمر من أزواجه صلى الله عليه وسلم) النسب الكريم الذى
يربطه بذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون له ترنان ، شرف
من الصهر ، وشرف من النسب ، والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو
الفضل العظيم .

حول اجتماع النبوة والخلافة :

أنت قرأت ما جاء فى وصية الامام الحسن لأخيه الامام الحسين
عليهما السلام من قوله :

« والى والله ما أرى أن يجمع الله بينا أهل البیت النبوة والخلافة .
فلا أعرفنك ما استخفك أهل الكوفة فأخرجوك » .

وقد يسيء ، البعض فهم هذا الكلام ، فيظن أنه لا يجوز أن تجتمع
النبوة والخلافة فى بنى هاشم ، فان وقع للبعض هذا الفهم كان بعيدا من
الصواب ، ذلك بأن الله جمع سيدنا داود عليه السلام النبوة والخلافة ،
وكذلك جمعهما سيدنا سليمان عليه السلام ، وقال تعالى فى آل ابراهيم
عليهم السلام (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) .

وقد أدخل سيدنا عمر الامام عليا في الستة من أهل الشورى ، فلو كان يرى ذلك الفهم ما أدخله فيهم ، كما أن فضلاء المهاجرين والأنصار وأهل بدر بايعوا للامام علي بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان .

وواضح من ذلك أن الامام الحسن ، رأى بنور الله واستنبجا من معاكسات الظروف السياسية ، أن الله يريد أن يطهر آل البيت من حكم مجتمع أفسدته الدنيا ، فلم يكونوا أهلا لخلافة الراشدين ، ولو كان الامام الحسن يذهب لعذم الجواز ، ما أقر بيعة أبيه ولا تولى الخلافة بعده نحو سبعة أشهر ، كما أن امامنا عليا ما كان يقبل الخلافة لو كان يعتقد أنه لا يجوز أن تجتمع لبني هاشم الخلافة مع النبوة .

وقد صحت فراسة الامام الحسن ، فقد خذل أهل العراق الامام الحسين ، كما خذلوا أباه وأخاه من قبله ، وقد تبين أهل العراق الرشد من النفي بعد حين ، فندموا حيث لا ينفع الندم ، وبكوا أمير المؤمنين عليا وبنيه الى الأبد ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وكم لله من لطف خفى يدق خفاه عن فهم الذكي

السنة النبوية ومظاهر الملك :

جاء في كتاب عبد الله بن الزبير للدكتور على حسنى الخربوطلى أن أهل المدينة كانوا يتمسكون بالسنة النبوية ، ولذا لم يرضوا بصنع الدولة الأموية بصيغة دنيوية زمنية ، واقتباس بعض النظم الرومانية .

واستفاد ابن الزبير من مظاهر الملك التي صبغت الدولة الأموية ، وكان معاوية أول من أقام الحرس ، والشرطة والبوابين فى الاسلام ، وأرعى الستور ، واستكتب النصارى ، ومشى بين يديه بالحرا ب ، وأخذ الزكاة من الأعطية ، وجلس على السرير والناس تحته ، وجعل ديوان الخاتم ، وبنى وشيد البناء ، وسخر الناس فى البناء ، وكان معاوية يقول أنا أول الملوك .

أقول وصدق العلامة العقاد حين قال فى كتابه « عبقرية الامام » :

لم يكن معاوية زاهدا فى الخلافة فى عهد أبى بكر أو عمر أو عثمان، ولكن الخلافة كانت زاهدة فيه ، وقديما قال أبوه للعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد رأى جيش المسلمين فى فتح مكة : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما .

أهل الكوفة فى وصف الامام الحسن :

جمل الناس يكون عند خروج الامام الحسن من الكوفة ، فقليل له عليه السلام ، ما حملك على ما فعلت ، فقال : كرهت الدنيا ، ورأيت أهل الكوفة قوما لا يثق بهم أحد أبدا الا غلب ، ليس منهم أحد يوافق آخر فى رأى ولا هوى ، مختلفين . لانية لهم فى خير ولا شر ، لقد لقي أبى منهم أمورا عظاما ، فليت شعرى لمن يصلحون بعدى ، وهى أسرع البلاد خرابا

تمثيلية لبيعة يزيد فى حياة الامام الحسن :

علمت مما تقدم أن الذى ألقى الى معاوية فكرة البيعة ليزيد هو المغيرة بن شعبه ، وأراد بذلك أن يثبت معاوية فى ولاية الكوفة ، وكان هم بعزله وتولية سعيد بن العاص مكانه .

وطبعا صادفت فكرة المغيرة هوى فى نفس معاوية ، فلما اجتمعت وفود الأمصار فى دمشق ، وكان فيهم الأحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فقال له : اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتى وكلامى ، فاستأذننى القيام ، فاذا أذنت لك ، فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذى يحق له عليك من حسن الثناء عليه ، ثم ادعنى الى توليته من بعدى ، فائى رأيت وأجمعت على توليته ، فأسال الله فى ذلك وفى غيره حسن القضاء .

وهذا كما ترى املاء ارادة على الضحاك ، وكان صاحب شرطته .

ثم دعا معاوية عبد الرحمن بن عثمان الثقفى ، وعبد الله بن مسعده القزارى ، وثور بن معن السلمى ، وعبد الله بن عصام الأشعرى ، فأمرهم أن يقوموا اذا فرغ الضحاك وأن يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد .

فلما فرغ معاوية من خطبته ، قاموا فنفذوا أمر معاوية ، ومدحوا يزيد بما لبس فيه .

فقال معاوية : أوكلكم قد أجمع على هذا رأيه .

فقالوا : كلنا قد أجمع رأينا على ما ذكرنا .

قال : فأين الأحنف فاجابه ، قال الا تتكلم فقام الأحنف (أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وكان أحد الحكماء الدهاة ، وشهد صفين مع أمير المؤمنين على) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أصلح الله أمير المؤمنين ، ان الناس قد امسكوا فى منكر زمان قد سلف ، ومعروى زمان مؤتلف ، وبزيد ابن أمير المؤمنين نعم الخلف .

وقد حلت الدهر أشطره يا أمير المؤمنين ، فاعرف من تسند اليه الأمر من بعدك ، ثم اعص أمر من يأمرك ، لا يفرك من يشير عليك ولا بنظر لك ، وانت أنظر للجباة وأعلم باستقامة الطاعة ، مع أن أهل الحجاز أو أهل العراق لا يرضون بهذا ، ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسن حيا .

فغضب الضحاك بن قيس واعترض على كلام الأحنف فقام الأحنف مرة أخرى وحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، انا قد فررنا عنك قريشا ، فوجدناك أكبرمها زندا ، وأشدّها عقدا ، وأوفاهّا عهدا .

وقد علمت أنك لم تفتح العراق عنوة ، ولم تظهر عليها قعصا ، ولكنك أعطيت الحسن بن على من عهود الله ما قد علمت ليكون له الأمر من بعدك ، فان تف فأنت أهل الوفاء ، وإن تعذر تعلم .

والله ان وراء الحسن خيولا جيادا ، وأذرا شدادا ، وسيوفا حدادا ، ان تدن له شبرا من غدر ، تجد وراءه باعا من نصر .

وانك تعلم أن أهل العراق ما أحبوك منذ أبغضوك ، ولا أبغضوا عليا وحسنا منذ أحبوهما ، وما نزل عليهم فى ذلك خبر من السماء .

وإن السبوف التي شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عوانتهم :
والقلوب التي أبغضوك بها بين جوانحهم ، وإيم الله أن الحسن لأحب الى
أهل العراق من على .

فاعترض على كلام الأخنف عبد الله بن عثمان الثقفى ، وناقى معاوية
ومدح يزيد بما ليس فيه ، فمن ذلك قوله :

فاذا خار الله لك فاعزم ، ثم اقطع قالة الكلام ، فان يزيد أعظما حلما
وعلما ، وأوسعنا كفا ، وخيرنا سلفا ، قد أحكمته التجارب ، وقصدت به
سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف .

ثم هاجم الأخنف وعرض به قائلا : ولا يقفن بك دونها واقف ، بمن
هو شاسع عاص ، ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو ، وفى صدره داء
دوى ، أن قال فشر قائل ، وأن سكت فداء غائل .. الى آخر ما قال . فقام
معاوية فقال :

أيها الناس ، أن لا بليس من الناس اخوانا وخالانا ، بهم يستمدى ، وإياهم
يستعين وعلى السبتهم ينطق ، أن رجوا طبعنا أوجفوا ، وأن استغنى عنهم
أرجفوا ، ثم يلحقون القتن بالفجور ، ويشققون لها حطب النفاق .

عبابون ، مراتبون ، أن لووا عروة أمر حقنوا ، وأن دعوا الى غى
أسرفوا ، وليس أولئك بمتتهين ولا بمقلعين ، ولا متعطين ، حتى تصيبهم
صواعق عجزى وويل ، وتحل بهم قوارع أمر جليل ، تجتث أصولهم
كاجتثاث أصول النقم ، فأولى لأولئك ثم أولى ، فانا قد قدمنا وأنذرنا .
أن أغنى التقدم شئنا أو نفع النذر .

فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ، وترك المغيرة ، ودعا عبد
الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام أبو حنيف فقال :

ياأمير المؤمنين ، انا لانطق السنة مضر وخطبها ، أنت يا أمير
المؤمنين ، فان هلكت فيزيد بعدك ، فمن أبى فهذا ، وسل سيفه .

فقال معاوية : أنت أخطب القوم وأكرمهم . ثم قام الأخنف بن قيس

فقال :

أنت أعلمنا بلبله وفهاره ، وبسره وعلايته ، فإن كنت تعلم أنه شر لك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر الى الآخرة ، فانه ليس لك من الآخرة الا ما طالب .

واعلم أنه لاجبة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسن والحسين ، وأنت تعلم من هما والى ما هما ، وانما علينا أن نقول : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .

أقول ، وقد علمت ما كان من معاوية مع أهل الحجاز ، وقد عارضه أبناء المهاجرين فى مواجهته بكل شجاعة وصراحة ولكن ادعى أنهم بايعوا وحمل الناس برهبة السيف والسلطان على تلك البيعة المشؤومة التى كانت شرا مستطييرا على الاسلام الى اليوم والى ماشاء الله تعالى .

بين الامام على وابى موسى الأشعري والامام الحسن :

قد يقول القارئ لماذا قال أمير المؤمنين على حين أشاروا عليه أصحابه فى أن يكون الحكم أبا موسى الأشعري ، انه ليس لى ثقة ، فهذا هو الجواب .

كان أبو موسى أميرا على الكوفة ، وقد سمعه الامام الحسن يشبط أهل الكوفة ، ويصرفهم عن القتال ، وهو عكس ما كان ينتظر منه فى مناصرة أمير المؤمنين ، واليك ما قال أبو موسى لهم :

انها فتنة صماء ، النائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد خير من القائم ، والقائم خير من الراكب .

فكونوا جرثومة من جرائم العرب ، فأغمدوا السيوف ، وأنصلوا الأسنة (أى انزعوها) واقطعوا الأوتار ، وآووا المظلوم والمضطهدين حتى يلتئم هذا الأمر .

فرد عليه الامام الحسن قائلا :

يا أبا موسى ، لم تثبط الناس عنا ، فوالله ما أردنا الا الإصلاح ، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء .

ثم خاطب الامام الحسن أهل الكوفة وحثهم على اجابة دعوة ابيه
أمير المؤمنين فقال :

يا أيها الناس أجيئوا دعوى أميركم ، وسيروا الى اخوانكم ، فانه
سيوجد لهذا الأمر من ينفر اليه ، والله لأن يليه أولو النهى أمثل فى
العاجلة ، وخير فى العاقلة ، فاجيئوا دعوتنا ، وأعينونا على ما ابتلينا به
وابتليتم .

وكان لهذا ، الكلام أثره فى النفوس ، ثم قال رضى الله عنه أيها
الناس ، انى غاد ، فمن شاء منكم أن يخرج معى على الظهر ومن شاء
فليخرج فى الماء ..

فخرج معه تسعة آلاف ، أما أبو موسى فأخرجه الناس من قصر
الامارة ، واعتزل الامارة بأمر أمير المؤمنين .

وصية امير المؤمنين على لابنه الامام الحسن :

ونختم التمهات بوصية أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لابنه الامام
الحسن ، وليس أمير المؤمنين فى حاجة التقريظى أو تقریظ غبرى ، فهو
غنى فى علمه وبلاغته عن التعريف والتقريظ ، وشمس النهار لا تحتاج الى
دليل .

واليك نص الوصية منقولة من شرح نهج البلاغة لابن أبى حديد ،
وقد كتبها اليه بعاضرين عند انصرافه من صفين :

من الوالد الفانى ، المقر للزمان ، المدير العمر ، المستسلم للدهر ،
الذام للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الطاعن عنها غدا .

الى المولود المؤمل مالا يدرك ، السالك سبيل من قد هلك ، غرض
الأسقام ، ورهينة الأيام ، ورمية المصائب ، وعبد الدنيا ، وتاجر الغرور ،
وغريم المنايا ، وأسير الموت ، وحليف الهموم ، وقرين الأحزان ، ونصب
الآفات ، وصريع الشهوات وخليفة الأموات .

أما بعد ، فإن فيما تبينت من ادبار الدنيا عني ، وجموح الدهر علي ،
واقبال الآخرة الي ، ما يزعني عن ذكر من سواي ، والاهتمام بما ورائي ،
غير أني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي ، فصدقتني رأبي
وصرفني عن هواي ، وصرح لي محض أمري ، فأفضي بي الي جد لا يكون
فيه لعب ، وصدق لا يشوبه كذب ، وجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي ،
حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني ، فكأن الموت لو أتاك أنا ، فعناني
من أمره ما يعنيني من أمر نفسي ، فكتبت اليك كتابي مستظها به ، ان أنا
بقيت لك أو فنت .

فاني أوصيك بتقوى الله — أي بني — ولزوم أمره ، وعمارة قلبك
بذكره ، والاعتصام بحبله ، وأي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ، ان
أنت أخذت به .

أحي قلبك بالموعظة ، وأمته بالزهادة ، وقوه باليقين ، ونوره
بالحكمة ، وذالاه بذكر الموت ، وقرره بالفناء ، وبصره فجائع الدنيا ،
وحذرته صولة الدهر ، وفحش تقلب الليالي والأيام ، واعرض عليه أخبار
الماضين ، وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين .

وسر في ديارهم وآثارهم ، فانظر فيما فعلوا وعما اتقلوا وأين حلوا ،
فانك تجدهم اتقلوا عن الأحبة ، وحلوا دار الغربة ، وكأنك عن قليل قد
صرت كأحدهم .

وامر بالمعروف تكن من أهله ، وأنكر المنكر بيدك ولسانك ،
وباين من فعله ببجهدك ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولا تأخذك في الله
لومة لائم .

وخض الغمرات للحق حيث كان ، وتفقه في الدين ، وعود نفسك
النصير على المكروه ، ونعم الخلق التصبر في الحق .

والجبي نفسك في أمورك كلها الي الهك ، فانك تلجئها الي كهف
حريز ، ومانع عزيز .

وأخلص في المسألة لربك ، فإن يئده العطاء والحرمان ، وأكثر الاستخارة ، وتعلم وصيتي ، ولا تذهبن عنك صفحا ، فإن خير القول ما تمع .
واعلم أنه لاخير في علم لا ينفع ، ولا تنتفع بعلم لا يحق تعلمه .

أى بنى ، انى لما رأيتى قد بلغت سنا ، ورأيتى أزداد وهنا ، بادرت بوصيتى اليك ، وأوردت خصالا منها قبل أن يجعل بى أجلى دون أن أفضى اليك بما فى نفسى ، أو أن أقص فى رأى كما نصت فى جسمى ، أو يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا ، فتكون كالصعب انفور .
وانما قلب الحدث كالأرض الخالية ، ما ألقى فيها من شئ قبله .
فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ، ويشغل بك ، لتستقبل بجد رأيك من الأمر ماعد كفاك أهل النجارب بغيته وتجربته ، فتكون قد كتبت مؤونة الطلب ، وعوفيت من علاج التجربة ، فأتاك من ذلك ما قد كنا ننبه ، واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه .

أى بنى إنى وإن لم أكن عمرت عمر من كائن قبلى . فقد نظرت فى اسمائهم . وفكرت فى أحوالهم ، وسرت فى آثارهم ، حتى عدت كأحدهم . بل كانى بما انتهى إلى من أمورهم ، فدعوتهم مع أولهم إلى آخرهم ، وعرفت صفو ذلك من كدره ، ونعمه من ضرره ، فاستخلصت لك من كل أمر جليله وتوخيبت لك جميله ، وصرفت عنك مجهوله .

ورأيت حيث عنانى من أمرك ما يعنى الوالد الشفيق ، وأجمعت عليه من أدبك ، أن يكون ذلك وأنت مقبل العمر ، ومقبل الدهر ، ذو نعمة سليمة . ونفس صافية ، وإن ابتدئك بتعليم كتاب الله عز وجل وتأويله ، وشرائع الاسلام وأحكامه ، وحلاله ، وحرامه ، لا أجاوز ذلك بك أنى غيره .

ثم أشفقت أن يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه ، من هوانهم وآرائهم ، مثل الذى التبس عليهم ، فكان احكام ذلك على ما كره من تنبيهك له ، أحب الى من اسلامك الى أمر لا آمن عليك به الهلكة ، ورجوت أن يوفقك الله فيه لرشدك ، وأن يهديك لتصدقك ، فعهد اليك وصيتي هذه .

واعلم يا بنى ، أن أحب ما أنت آخذ به الى من وصيتى تهوى الله ، والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، والأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك والصالحون من أهل بيتك ، فانهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر ، وفكروا كما أنت مفكر ، ثم ردهم آخر ذلك الى الأخذ بما عرفوا ، والأمساك عما لم يكلفوا ، فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا ، فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم ، لا بتورط الشبهات ، وعلق الخصومات .

وابداً قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة بالهك والرغبة اليه فى توفيقك ، وترك كل شائبة أولجتك فى شبهة ، أو أسلمتكم الى ضلالة ، فإن أيقنت أن قد صفا قلبك فخشع ، وتم رأيك فاجتمع ، وكان همك فى ذلك هما واحداً ، فانظر فيما قسرت لك .

وان أنت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك ، وفراغ نظرك وفكرك ، فاعلم أنك انما تخبط العشواء ، وتتورط الظلماء ، وليس طالب الدين من خبط أو خلط ، والأمساك عن ذلك أمثل ، فتفهم يا بنى وصيتى ، واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة ، وأن الخالق هو المميت ، وأن المغنى هو المعيد ، وأن المبتلى هو المعافى ، وأن الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء والجزاء فى الميعاد ، أو ما شاء مما لا تعلم ، فإن أشكل عليك شئ من ذلك فاحمله على جهالتك ، فانك أول ما خلقت به جاهلاً ثم علمت ، وما أكثر ما تجهل من الأمر ، ويتحير فيه رأيك ، ويضل فيه بصرك ، ثم تبصره بعد ذلك .

فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك ، فليكن له تعبدك ، واليه رغبتك ، ومنه شفقتك ..

واعلم يا بنى ، أن أحداً لم ينبىء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وآله ، فارض به رائداً ، والى النجاة قائداً ، فالى لم ألك نصيحة ، وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظرى لك .

واعلم يا بنى ، أنه لو كان لربك شريك لأنتك رسله ، ولرايت آثار ملكه وسلطانه ، ولعرفت أفعاله وصفاته ، ولكنه اله واحد كما وصف نفسه ، لا يضاده فى ملكه أحد ، ولا يزول أبدا ولم يزل ، أول قبل الأشياء بلا أولية ، وآخر بعد الأشياء ، بلا نهاية ، عظم أن تثبت ربوبيته بأحاطة قلب أو بصر .

فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغى لملك أن يفعل فى صغر خطره ، وقلة مقدرته وكثرة عجزه ، وعظيم حاجته الى ربه ، فى طلب طاعته ، والخشية من عقوبته ، والشفقة من سخطه ، فانه لم يأمرك الا بحسن ، ولم ينهك الا عن قبيح .

يا بنى انى قد أباتك عن الدنيا وحالها ، وزوالها وانتقالها ، وأباتك عن الآخرة وما أعد لأهلها ، وضربت لك فيهما الأمثال ، لتعتبر بها وتحذو عليها .

انما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر ، با بهم منزل جديب ، فأموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا ، فاحتملوا وعشاء الطريق ، وفراق الصديق ، وخشونة السفر ، وجشوبة المطعم ، ليأتوا سعة دارهم ، ومنزل قرارهم ، فليس يجدون لذلك ألما ، ولا يرون تفقة فيه مغرما ، ولا شيء أحب اليهم مما قربهم الى منزلهم ، وأدناهم الى محلتهم .

ومثل من اغتربها ، كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب ، فنبأهم الى منزل جديب ، فليس شيء أكره اليهم ، ولا أفظع عندهم ، من معارقة ما كانوا فيه ، الى ما يهجنون عليه ، ويصيرون اليه .

يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، وأكره له ما تكره لها ، ولا تغلم كما لا تحب أن تغلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارضى من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تغل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ، ولا تغل ما لا تحب أن يقال لك .

واعلم أن الاعجاب ضد الصواب ، وآفة الألباب ، فاسع فى كدحك ،
ولا تكن خازنا لغيرك ، وإن أنت هديت لقصدك ، فكن أخشنع ماتكون
لربك .

واعلم أن أمامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة ، وإنه لاغنى
بك فيه عن حسن الارتياح ، وقدر بلاغك من الزاد ، مع خفة الظهر ، فلا
تحملن فوق ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك ، وإذا وجدت
من أهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة ، فيوافقك به غدا حيث
تحتاج اليه فاغتنمه ، وحمله إياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه ،
فلعلك تطلبه فلا تجده .

واغتنم من استترضك فى حال غناك ، ليكمل قضاءه لك فى يوم
عبرتك .

واعلم أن أمامك عقبة كؤودا ، المخف فيها أحسن حالا من المثل ،
والمبطيء عليها أقبح حالا من المسرع ، وأن مهبطك بها لا محالة ، اما على
جنة أو على نار ، فارتد لنفسك قبل نزولك ، ووطئ المنزل قبل حلولك ،
فليس بعد الموت مستعجب ، ولا الى الدنيا منصرف .

واعلم أن الذى بيده خزائن السموات والأرض قد أذن لك فى
الدعاء ، وتكفل لك بالاجابة ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وتسترجه
ليرحمك ، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك الى من
يشفع لك اليه ، ولم يمنحك ان أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ،
ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ، ولم يشدد عليك فى قبول الانابة ،
ولم يناقشك بالجريمة ، ولم يؤنسك من الرخصة ، بل جعل نزوعك عن
الذنب حسنة ، وحسب سيئتك واحدة ، وحسب حسنتك عشرة .

وفتح لك باب المتاب ، وباب الاستعتاب ، فإذا ناديته سمع . نداءك ،
وناجيته علم لجواك ، فأفضيت اليه بحاجتك ، وأبشته ذات نفسك ،
وشكوت اليه همومك ، واستكشفت كروبك ، واستعنته على أمورك ،
وسألت من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره ، من زيادة الأعمار
وصحة الأبدان ، وسعة الأوراق .

ثم جعل فى يدك مفاتيح خزائنه ، بما أذن لك فيه من مسأاته ،
فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته ، واستطردت شأبيب رحمته ،
فلا يقنطنك إبطاء اجابته ، فان العطية على قدر النية ، وربما أخرجت عنك
الاجابة ، ليكون ذلك أعظم لأجر السائل ، وأجزل لعطاء الآمل .

وربما سألت الشيء فلا تؤتاه ، وأوتيت خيرا منه عاجلا أو آجلا ، أو
صرف عنك لما هو خير لك ، فرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو
أوتيته ، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله ، وينفى عنك وباله ، فالمدح
لا يبقى لك ولا تبقى له .

واعلم يا بنى أنك خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللنماء لا للبناء ، وللموت
لا للحياة ، وأنت فى منزل قلعة ، ودار بلغة ، وطريق الى الآخرة ، وأنت
طريد الموت الذى لا ينجو منه هاربه ، ولا يفوته طالبه ، ولا بد أنه مدركه
فكن منه على حذر أن يدركك وأنت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك
منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك ، فاذا أنت أهلكت نفسك .

يا بنى أكثر من ذكر الموت ، وذكر ما تهجم عليه ، وتفضى بعد الموت
إليه ، حتى يأتيك وقد أخذت منه حذرک ، وشددت له أزرک ، ولا يأتیک بفتنة
فيهرک .

واياك أن تغتر بما ترى من اخلاص أهل الدنيا اليها ، وتكالبهم عليها ،
افقد نباك الله عنها ، ونعتت هى لك نفسها ، وتكشفت لك عن مساوئها ،
فانما أهلها كلاب عاوية ، وسباع ضارية ، يهر بعضها على بعض ، ويأكل
عزيزها ذليلها ، ويقهر كبيرها صغيرها ، نعم معقله ، وأخرى مهملة ، قد
أضلت عقولها ، وركبت مجهولها ، سروح عاهة بواد وعث ، ليس لها
راع يقيمها ، ولا مسيم يسيما .

سلكت بهم الدنيا سبيل العمى ، وأخذت بأبصارهم عن منار الهدى ،
فتأهوا فى حيرتها ، وغرقوا فى نعمتها ، واتخذوها ربا فلعبت بهم ، ولعبوا
بها ، ونسوا ما وراءها ، رويدا يسفر الظلام ، كأن قد وردت الأظلمان ،
يوشك من أسرع أن يلحق .

واعلم يا بنى أن من كانت مطيته الليل والنهار ، فانه يسار به وان كان واقفا ، ويقطع المسافة وان كان مقيما وادعا .

واعلم يقينا أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدو أجلك ، وأنتك فى سبيل من كان قبلك .

فخفص فى الطلب ، وأجمل فى المكتسب ، فانه رب طلب قد جسر الى حرب ، وليس كل طالب بمرزوق ، ولا كل مجمل بمحروم .

وأكرم نفسك عن كل دنية وان ساقطت الى الرغائب ، فانك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضا ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرا ، وما خير لا ينال الا بشر ، ويسر لا ينال الا بعسر .

واياك أن توجف بك مطايا الطمع ، فتوردك مناهل الهلكة ، وان استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ، فانك مدرك قسمك ، وأخذ سهمك ، وان اليسير من الله سبحانه ، أعظم وأكرم من الكثير من خلقه ، وان كان كل منه .

وتلافيك ما فرط من صمتك ، أيسر من ادراكك ما فات من منطقك ، وحفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء ، وحفظ ما فى يدك أحب الى من طلب ما فى يدى غيرك ، ومرارة اليأس ، خير من الطلب الى الناس ، والحرقة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره ، ورب ساع فيما يضره ، من أكثر أهجر ، ومن تفكر أبصر .

قارن أهل الخير تكن منهم ، وبان أهل الشر تبغ عنهم ، بشس الطعام الحرام ، وظلم الضعيف أفحش الظلم ، اذا كان الرفق خرقا ، كان الخرق رفقا ، ربما كان الدواء داء ، والداء دواء ، وربما فصيح غير الناصح ، وغش المستصح .

واياك والاتكال على المنى ، فانها بضائع النوكى ، والعقل حفظ التجارب ، وخير ما جربت ما وعظك .

بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ، ليس كل طالب يصيب ، ولا كل غائب يثوب ، ومن الفساد اضاءة الزاد ، ومفسدة المعاد ، ولكل أمر عاقبة ، سوف ياتيک ما قدر لك ، التاجر مخاطر ، ورب يسير أنمی من كثير .

لا خير في معين مهين ، ولا في صديق ظنين ، ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ، ولا تخاطر بشئ رجاء أكثر منه ، وإياك أن تجمع بك مطية اللجاج .

احمل نفسك من أخيك عند صرمة على الصلة ، وعند صدوده على اللطف والمقاربة ، وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو ، وعند شدته على اللين ، وعند جرمه على العذر ، حتى كأنك له عبد ، وكأنه ذو نعمة عليك ، وإياك أن تضع ذلك في غير موضعه ، أو أن تفعله بغير أهله .

لا تتخذن عدو صديقك صديقا ، فتعادي صديقك ، وامحض إياك النصيحة ، حسنة كانت أو قبيحة ، وتجرع الغيظ ، فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ، ولا ألد مغبة .

ولن لمن غالطك ، فانه يوشك أن يلين لك ، وخذ على عدوك بالفضل فانه أحد الظفرين ، وإن أردت قطيعة أخيك ، فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها ، إن بدا له ذلك يوما ما .

ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ، ولا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ، فانه ليس لك بأخ من أضعت حقه .

ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا ترغبن فيمن زهد عنك ، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ، ولا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان ، ولا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فانه يسعى في مضرتة وتعمك ، وليس جزاء من سرك أن تسوءه .

واظلم يابنى أن الرزق رزقان ، رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فإن أنت لم تأتته آتاك .

ما أقبح الخضوع عند الحاجة ، والجفاء عند الغنى ، انما لك من دنياك ما أسلحت به مشواك ، وان كنت جازعا على ما تفلت من يديك ، فاجزع على كل ما لم يصل اليك .

استدل على ما لم يكن بما قد كان ، فان الأمور أشباه ، ولا تكونن ممن لا تنفعه العظة ، الا اذا بالغت في ايلامه ، فان العاقل يتعظ بالآداب ، والبهائم لا تتعظ الا بالضرب .

اطرح عنك ولرذات الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين .

من ترك القصد جار ، والصاحب مناسب ، والصديق من صدق غيبه ، والهوى شريك العسى ، ورب بعيد أقرب من قريب ، وقريب أبعد من بعيد ، والغريب من لم يكن له حبيب .

من تعدى الحق ضاق مذهبه ، ومن اقتصر على قدره كان أبقي له ، وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه ، ومن لم يبالك فهو عدوك .

قد يسكون اليأس ادراكا ، اذا كان الطمع هلاكا ، ليس كل عورة تظهر ، ولا كل فرصة تصاب ، وربما اخطأ البصير قصده ، وأصاب الاعمى رشده .

آخر الشر ، فانك اذا شئت تعجلته ، وقطيعة الجاهل ، تعدل صلة العاقل .

من أمن الزمان خاله ، ومن أعظمه أهانه .

ليس كل من رمى أصاب .

اذا تغير السلطان ، تغير الزمان .

سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار .

اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا ، وان حكيت ذلك عن غيرك ، واياك ومشاورة النبلاء ، فان رأيهم الى أفن ، وعزمهم الى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب أبقي

عليهن ، وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن ، واذ استطعت الا يعرفن غيرك فافعل .

ولا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها ، فان المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، ولا تعد بكرامتها نفسها ، ولا تطمعها في ان تشفع لغيرها .

واياك والتخاير في غير موضع غيرة ، فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم ، والبريئة الى الريب .

واجعل لكل انسان من خدمك عملا تأخذه به ، فانه أخرى ألايتواكلوا في خدمتك .

وأكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي اليه تصير ، ويدك التي بها تصول .

استودع الله دينك ودينك ، واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة والسلام .

وتلك الوصية هي مسك الختام ..

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

الفهرس

مقدمة ... ٥

الباب الاول تاريخه الشخصى

نسب الامام الحسن ...	١٩
مناقبه ...	٣٩
علمه ...	٤٤
جهاده ...	٥٠
أزواجه وأولاده ...	٥٢
وفاته ...	٦٩
من حكمه رضى الله عنه ...	٧٥

الباب الثانى تاريخه السياسى

كف بويح الامام على ...	٨١
الخلافة والملك ...	٨٩
فتنة الخوارج ...	٩٨
بيعة الامام الحسن ...	١٠٢
تنازله لمعاوية وكتاب الصلح ...	١٢١

الباب الثالث المتيمات

الموتورون من الامام على ...	١٧٢
حول اجتماع النبوة والخلافة ...	١٧٥
السنة النبوية ومظاهر الملك ...	١٧٦
اهل الكوفة فى وصف الامام الحسين ...	١٧٧
وصية الامام على لابنه الحسن ...	١٨١

مراجع الكتاب

القرآن الكريم
كتب السنة
تفسير القرطبي	للامام القرطبي
تفسير الألوسي	للامام الألوسي
تاريخ الأمم	لابن جرير الطبري
مقاتل الطالبين	لابي الفرج الاصفهاني
الكامل	لابن الاثير
مطالب السؤل	لابن ابي طلحة القرشي
الاعاني	لابي الفرج الاصفهاني
سرح نهج البلاعة	لابن ابي حديد
الاصابة	لابن حجر
الاسماعيل	لابن عبد البر
مروح الذهب	للمسعودي
الاسامة والسياسة	لابن قتيبة
الطبقات الكبرى	للامام الشعرائي
عبقريه الامام	للعقاد
عثمان ذو النورين	للعقاد
الفتنة الكبرى	لعميد الأدب العربي
على وبنوه	لعميد الأدب العربي
الامام زين العابدين	للشيخ احمد فهمي

كريمة الدارين	للشيخ أحمد فهمي
العقيلة الطاهرة	للشيخ أحمد فهمي
الحسن والحسين	للاستاذ محمد رضا
آل بيت رسول الله	للاستاذين كامل البنا وتوفيق عريه
الحسين	للمستشار علي الحسيني
نور الحي القيوم	للاستاذ أحمد عبد المنعم الحلواني
السمو الروحي	للاستاذ أحمد عبد المنعم الحلواني
عبد الله بن الزبير	للدكتور حسني الخربوطلي
فلسفة اقبال	للاستاذين الصاوي شعلان ومحمد الأعظمي
تاريخ الأمم الإسلامية	للشيخ الخضري
دائرة المعارف الإسلامية
مجلة منبر الإسلام
فاطمة الزهراء	للاستاذ عطية خميس المحامي
نور الأبصار	للشيخ الشبلنجي
شرح ورد سحر	للعارف عمر الشبراوي
الامام الحسين بن علي	للمؤلف

مطبع الأهرام التجارية - القلوب - مصر